



اللجنة التربوية
تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية
الجنة الشريعة العامة للعلماء على استكمال



موسى وعزرا مفاهيم التربوية في سير الآل والأصحاب

الجنة الآل والأصحاب



الآل
والأصحاب



موسى عن لفقيه التريون
في أسرار الآل والأصحاب

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

903. 239 الكويت. الديوان الأميري. اللجنة الاستشارية العليا للعمل على
استكمال أحكام الشريعة الإسلامية. اللجنة التربوية. موسوعة المفاهيم
التربوية في أسر الآل والأصحاب/ اللجنة الاستشارية العليا للعمل على
استكمال أحكام الشريعة الإسلامية. اللجنة التربوية. - ط 1. -
الكويت: اللجنة، 2007

455 ص؛ 24 سم

ردمك: 2 - 0 - 665 - 99906 - 978

1. السيرة النبوية - أهل البيت. 2. الصحابة والتابعون - موسوعات
3. الأخلاق الإسلامية. 4. الآداب الإسلامية - موسوعات
أ. العنوان. ب - الكويت. الديوان الأميري. اللجنة الاستشارية العليا
للعمل على استكمال أحكام الشريعة الإسلامية. اللجنة التربوية (ناشر)

رقم الإيداع: 2007/412

ردمك: 2 - 8 - 654 - 99906 - 978



فهرس الجزء الأول

الموضوع	الصفحة
المقدمة	١٩
* أبو أيوب الأنصاري	٢٥
نبذة عن حياته	٢٥
المواقف الأسرية في حياة أبي أيوب الأنصاري	٢٩
الموقف الأول: أدبه مع النبي ﷺ حين نزل عليه	٢٩
المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق	٣١
الموقف الثاني: ضيافته لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر	٣٥
المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق	٣٧
الموقف الثالث: موقف أبي أيوب وأم أيوب من قصة الإفك	٣٩
المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق	٤٠
الموقف الرابع: النبي ﷺ يرفض طلاق أم أيوب وأبو أيوب يمثل	٤١
المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق	٤٢
* أبو بكر الصديق	٤٤
نبذة عن حياته	٤٤
مع الصديق أبي بكر في بيته	٤٨
المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من أسرة الصديق أبي بكر	٥٨
المفهوم الأول: بز الوالدين وتوقير كبار السن	٥٨
المفهوم الثاني: التسوية بين الأبناء والبنات في الرعاية والتوجيه	٦٤
المفهوم الثالث: تنمية الذكاء وسرعة البديهة عند الأطفال	٦٥
المفهوم الرابع: إنفاق المال في سبيل الله	٦٧

	المفهوم الخامس: تحقيق أهداف التربية بإنقاذ الأهل والأولاد
٧٠	من النار
	المفهوم السادس: الإحسان إلى الخدم وتعليمهم الدين
٧٢	وتوظيف مواهبهم في خدمة دعوة الإسلام
٨٥	* أبو ذر الغفاري <small>رضي الله عنه</small>
٨٥	نبذة عن حياته
٨٧	المواقف الأسرية في حياة أبي ذر <small>رضي الله عنه</small>
٨٧	الموقف الأول: الترابط والتعاون بينه وبين أسرته
٨٨	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف الأسري السابق
٩٠	الموقف الثاني: أبو ذر مع أمه وأخيه وخاله وقبيلته
٩٢	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف في القصة السابقة
٩٥	الموقف الثالث: مع أهله في الشام
٩٦	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
٩٧	الموقف الرابع: مع زوجه حال الحياة (١)
٩٨	المفاهيم التربوية المستفادة من القصة السابقة
١٠١	الموقف الخامس: مع زوجه حال الحياة (٢)
١٠٢	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
١٠٣	الموقف السادس: مع زوجه حال الحياة (٣)
١٠٣	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
١٠٤	الموقف السابع: مع زوجه حال الوفاة
١٠٦	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
١٠٧	٨ - الموقف الثامن: موقف أسري مع ابن عمه
١٠٧	المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
١٠٩	* أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه
١٠٩	نبذة عن حياته

- المواقف الأسرية في حياة أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ١١٤
- الموقف الأول: مواجهته لأبيه في غزوة بدر ١١٤
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ١١٤
- الموقف الثاني: تصحيحه مفهوم الأجر والمثوبة لامرأته ١١٧
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ١١٨
- * أبو هريرة رضي الله عنه** ١٢٠
- نبذة عن حياته ١٢٠
- المواقف الأسرية في حياة أبي هريرة رضي الله عنه ١٢٦
- الموقف الأول: برّه بأمه ١٢٦
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ١٢٧
- الموقف الثاني: تنشئته أهله وجواريه على تقوى الله عز وجل ١٣٠
- المفهوم المستفاد من الموقف السابق ١٣٠
- الموقف الثالث: معاملته لخدمه ١٣١
- المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق ١٣١
- الموقف الرابع: اعترافه بنعمة الإسلام عليه واعتزازه به ١٣٢
- المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق ١٣٣
- * أروى بنت عبدالمطلب رضي الله عنها** ١٣٤
- نبذة عن حياتها ١٣٤
- المواقف الأسرية في حياة أروى رضي الله عنها ١٣٨
- الموقف الأول: أروى رضي الله عنها مع ابنها طليب بن عمير وإسلامها ١٣٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ١٣٨
- الموقف الثاني: مسانبتها لابن أخيها (الرسول صلى الله عليه وسلم) ١٤١
- المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف ١٤٢
- الموقف الثالث: تأييدها لولدها في دفاعه عن الرسول صلى الله عليه وسلم ١٤٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ١٤٥

- ١٤٨ * أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها
- ١٤٨ نبذة عن حياتها
- ١٤٩ المواقف الأسرية في حياة أسماء رضي الله عنها
- الموقف الأول: دفاعها عن أبيها أمام جدها، محافظة عليه من بطش
- ١٤٩ قريش
- ١٥٠ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٥١ الموقف الثاني: أسماء تقص على أبنائها قصة كفاحها مع الزبير رضي الله عنه
- ١٥٢ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٥٣ الموقف الثالث: صبر السيدة أسماء على شدة الزبير
- ١٥٣ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- الموقف الرابع: أسماء رضي الله عنها تقدم المثل لأبنائها في الإنفاق وبذل
- ١٥٤ الصدقات
- ١٥٥ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٥٦ الموقف الخامس: أسماء تحضُّ ولدها على الثبات في المبدأ حتى الموت
- ١٥٦ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٥٨ الموقف السادس: موقف أسماء من أمها المشركة
- ١٥٨ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٥٩ الموقف السابع: أسماء ترفض هدية ولدها
- ١٥٩ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٦٠ * الأقرع بن حابس رضي الله عنه
- ١٦٠ نبذة عن حياته
- ١٦٢ المواقف الأسرية في حياة الأقرع بن حابس رضي الله عنه
- ١٦٢ الموقف الأول: علاقته بأبنائه
- ١٦٢ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٦٤ الموقف الثاني: علاقته بذوي رَجْمِهِ

- ١٦٤ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٦٦ * أمامة بنت أبي العاص رضي الله عنه
- ١٦٦ نبذة عن حياتها
- ١٦٨ المواقف الأسرية في حياة أمامة بنت أبي العاص رضي الله عنه
- ١٦٨ الموقف الأول: حب الرسول صلى الله عليه وسلم لها
- ١٧٠ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٧٢ الموقف الثاني: زواجها
- ١٧٥ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٧٨ * أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها
- ١٧٨ نبذة عن حياتها
- ١٨١ المواقف الأسرية في حياة أم حبيبة رضي الله عنها
- ١٨١ الموقف الأول: هجرتها مع زوجها إلى الحبشة
- ١٨٢ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ١٨٣ الموقف الثاني: ثباتها على دينها وهجرتها
- ١٨٤ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ١٨٩ الموقف الثالث: تفضيلها الله ورسوله على أهلها
- ١٩١ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ١٩٣ الموقف الرابع: صلتها لرحمها
- ١٩٦ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ١٩٨ * أم رومان رضي الله عنها
- ١٩٨ نبذة عن حياتها
- ٢٠٢ المواقف الأسرية في حياة السيدة أم رومان رضي الله عنها
- ٢٠٢ الموقف الأول: خوفها الشديد على ابنتها وحنوها عليها
- ٢٠٤ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق

- الموقف الثاني: قيامها بدور التأديب والتهذيب لابنتها ٢١٣
- المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق ٢١٤
- الموقف الثالث: مراعتها حق زوجها في القوامة ٢١٤
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢١٦
- الموقف الرابع: حرص الوالدين على خير الأبناء ٢١٧
- * أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها ٢٢٠
- نبذة عن حياتها ٢٢٠
- المواقف الأسرية في حياة السيدة أم سلمة رضي الله عنها ٢٢١
- الموقف الأول: أولى المهاجرات إلى الحبشة والمدينة ٢٢١
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٢٤
- الموقف الثاني: ذروة الحب وسنانه ٢٢٦
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٢٦
- الموقف الثالث: تعلم وتعليم وثقة في الله تعالى ٢٢٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٢٩
- الموقف الرابع: عروس تطحن ليلة زفافها ٢٣١
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٣٢
- الموقف الخامس: أم سلمة من آل البيت ٢٣٣
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٣٤
- الموقف السادس: برها بأبناء زوجها السابق ٢٣٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٣٥
- الموقف السابع: مداعبة الرسول صلى الله عليه وسلم ابنتها وربيبته (زينب بنت أبي سلمة) ٢٣٧
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٣٧
- الموقف الثامن: عدم تدخل أحد في الشؤون الزوجية ٢٣٩
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٤١

- الموقف التاسع : يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ٢٤٢
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٤٣
- الموقف العاشر : كانت سبياً في أن يخص الله النساء بالذكر في القرآن ٢٤٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٤٦
- الموقف الحادي عشر : الشورى الصائبة في أحلك المواقف ٢٤٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٤٩
- الموقف الثاني عشر : اهتمامها بتوبة الله تعالى على العاصين ٢٥٢
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٥٢
- الموقف الثالث عشر : نُضرتها علياً بن أبي طالب ﷺ ابن عم زوجها وزوج ابنته إضافة إلى أن الحق معه ٢٥٣
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٥٤
- الموقف الرابع عشر : حبها الشديد لابن بنت زوجها الحسين بن علي ﷺ ٢٥٦
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٥٧
- * أم كلثوم بنت علي ﷺ** ٢٥٩
- نبذة عن حياتها ٢٥٩
- المواقف الأسرية في حياة السيدة أم كلثوم بنت علي ﷺ ٢٦١
- الموقف الأول : طاعتها لوالدها في أمر زوجها ٢٦١
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٦٢
- الموقف الثاني : حسن علاقتها بزوجها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ٢٦٣
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٦٤
- الموقف الثالث : القناعة والرضا ٢٦٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٦٦
- الموقف الرابع : جهدها في القضاء على فتنة أوشكت على الاشتعال ٢٦٧
- المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق ٢٦٨

- الموقف الخامس: صبرها الشديد عند استشهاد والدها ٢٦٩
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٦٩
- * أنس بن مالك رضي الله عنه ٢٧١
- نبذة عن حياته ٢٧١
- المواقف الأسرية في حياة أنس بن مالك رضي الله عنه ٢٧٥
- الموقف الأول: توجيهه رضي الله عنه ابنته إلى معايير الخير الحقة ٢٧٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٧٥
- الموقف الثاني: كتمان السر وحفظه الأمانة ٢٧٦
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٧٧
- الموقف الثالث: إتيان أمه به لخدمة الرسول صلى الله عليه وسلم وطلبها الدعاء له .. ٢٧٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٧٨
- الموقف الرابع: موقف ابنته منه في إخباره عن كثرة ذريته ٢٧٩
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٨٠
- الموقف الخامس: توجيهه لأبنائه في شأن التحديث بالعلم ٢٨٠
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٨٠
- * البراء بن مالك رضي الله عنه ٢٨٢
- نبذة عن حياته ٢٨٢
- المواقف الأسرية في حياة البراء بن مالك ٢٨٥
- الموقف الأول: البراء وقبول نصيحة أخيه أنس بن مالك ٢٨٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف ٢٨٦
- الموقف الثاني: جهاده في سبيل الله ودفاعه عن أخيه ٢٩٠
- المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف ٢٩١
- * البراء بن معروف رضي الله عنه ٢٩٣
- نبذة عن حياته ٢٩٣

- المواقف الأسرية في حياة البراء بن معرور رضي الله عنه ٢٩٥
- الموقف الأول: دعوته أهله إلى مشاركته في الخير ٢٩٥
- المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق ٢٩٦
- الموقف الثاني: دعوة عشيرته إلى الاحتكام للرسول ﷺ عند الخلاف ٢٩٦
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٩٧
- الموقف الثالث: تربيته لابنه على اتباع الحق ٢٩٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٢٩٩
- الموقف الرابع: مع ابن أخته ٢٩٩
- المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق ٣٠٠
- الموقف الخامس: مع زوجه بعد وفاته ٣٠٠
- المفاهيم التربوية المستفادة من القصة السابقة ٣٠١
- الموقف السادس: من وصاياهم لأهله ٣٠٣
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٣٠٣
- * بشير بن سعد رضي الله عنه ٣٠٦
- نبذة عن حياته ٣٠٦
- المواقف الأسرية في حياة بشير بن سعد رضي الله عنه ٣٠٧
- الموقف الأول: بشير يتيمن لابنه النعمان بدعوة من النبي ﷺ ٣٠٧
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٣٠٨
- الموقف الثاني: بشير بن سعد يهب لولده النعمان ٣٠٩
- المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الحديث ٣١٠
- الموقف الثالث: ابنة بشير في خدمة أبيها ٣١٣
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٣١٣
- * أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ٣١٥
- نبذة عن حياتها ٣١٥
- المواقف التربوية في حياة السيدة أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ٣١٦

- الموقف الأول: تحريمها رضوان الله عليها الحلال في طعام زوجها
- ٣١٧ وشرايه
- ٣١٧ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ٣١٨ الموقف الثاني: حرصها على عدم استغلال مكانة زوجها ﷺ
- ٣٢٠ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- الموقف الثالث: اهتمامها بالعبادة وتوجيه زوجها ﷺ لها
- ٣٢١ إلى صالح الأعمال
- ٣٢٢ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقفين السابقين
- الموقف الرابع: شكواها لرسول الله ﷺ من ضرئها أمهات المؤمنين
- ٣٢٣ رضي الله عنهن
- ٣٢٤ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف الأسري السابق
- ٣٢٥ الموقف الخامس: عتقها لغلام في سبيل الله
- ٣٢٥ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- الموقف السادس: رضاها التام هي وبقية أمهات المؤمنين
- ٣٢٦ بالمستوى المعيشي لزوجها ﷺ
- ٣٢٧ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ٣٢٨ الموقف السابع: علاقتها ﷺ بأخواتها أمهات المؤمنين
- ٣٢٩ المفاهيم التربوية المستخلصة من الموقف السابق
- ٣٣١ * الحسن والحسين ﷺ
- ٣٣١ نبذة عن حياتهما
- ٣٣٣ المفهوم التربوي المستفاد من فقه النبي ﷺ في تسمية الحسن والحسين
- ٣٣٦ المواقف التربوية في حياة الحسن والحسين ﷺ
- ٣٣٨ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ٣٥٤ * حمزة بن عبدالمطلب ﷺ
- ٣٥٤ نبذة عن حياته

- ٣٥٨ من مواقفه الأسرية
- ٣٥٩ المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف
- ٣٦٥ * خالد بن الوليد رضي الله عنه
- ٣٦٥ نبذة عن حياته
- ٣٧٨ المواقف الأسرية في حياة خالد بن الوليد رضي الله عنه
- ٣٧٨ الموقف الأول: أكله عند خالته ميمونة
- ٣٨٩ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ٣٨١ الموقف الثاني: صلته أخته واستشارتها
- ٣٨٢ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ٣٨٣ الموقف الثالث: حرصه على جلب ما يجب لأهله
- ٣٨٣ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ٣٨٦ الموقف الرابع: حرصه على إراحة أسرته
- ٣٨٦ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ٣٨٧ الموقف الخامس: طلاق زوجته وثناؤه عليها
- ٣٨٨ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ٣٨٩ الموقف السادس: عدله
- ٣٨٩ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ٣٩٣ الموقف السابع: حرصه على إشراك أهله في الجهاد
- ٣٩٤ المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق
- ٣٩٦ * خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
- ٣٩٦ نبذة عن حياتها
- ٣٩٧ المواقف الأسرية في حياة السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها
- ٣٩٧ الموقف الأول: اختيارها رسول الله ﷺ ليتاجر في مالها
- ٣٩٨ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق
- ٤٠٠ الموقف الثاني: رغبتها في الزواج من رسول الله ﷺ
- ٤٠١ المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

- الموقف الثالث: تزوجها من رسول الله ﷺ ٤٠٢
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤٠٣
- الموقف الرابع: هبتها زيدا لرسول الله ﷺ ٤٠٥
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤٠٥
- الموقف الخامس: موقفها من نزول الوحي أول مرة ٤٠٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤٠٩
- الموقف السادس: أول من آمن به ﷺ وأزره ٤١١
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤١١
- الموقف السابع: الله يقرؤها السلام ويشرها بيت في الجنة ٤١٣
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤١٣
- الموقف الثامن: تزويجها زينب لابن خالتها (أبي العاص بن الربيع) وإهداؤها قلادة نفيسة ٤١٦
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤١٦
- الموقف التاسع: قلادتها ورقة النبي ﷺ لرؤيتها ٤١٧
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤١٨
- الموقف العاشر: ما أبدل الله رسوله ﷺ خيراً منها ٤٢٠
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤٢١
- * السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ ٤٢٥
- نبذة عن حياتها ٤٢٥
- المواقف الأسرية في حياة السيدة رقية ؓ ٤٢٧
- الموقف الأول: هجرتها مع زوجها ؓ ٤٢٨
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤٣٠
- الموقف الثاني: طلبها الطلاق من زوجها إرضاء لله تعالى ٤٣١
- المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق ٤٣٢
- * المراجع ٤٣٤

شكر وتقدير

تتقدم اللجنة التربوية في اللجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بالشكر والتقدير لمبرة الآل والأصحاب، ومركز البحوث والدراسات فيها على ما بذلوه في «موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب» من مراجعة علمية، وإضافات مثرية، كان لها دور بارز في خروج هذا العمل بهذه الصورة، ويأتي التعاون الكبير بين اللجنة التربوية والمبرة في مجال تراث الآل والأصحاب الذي يعتبر أحد أهم محاور عمل المبرة ومركز البحوث والدراسات فيها - والتي تهتم أساساً بكل ما يخدم تراث الآل والأصحاب - ومن ثمّ التقت اللجنة التربوية في هذا المشروع الرائد في هدفها مع هدف المبرة، فكان نموذجاً جديداً للتعاون بين المؤسسات الفكرية والعلمية فيما يثري العمل الإسلامي والتراثي وزيادة علمية في رصيد المكتبة العربية والإسلامية.

وفق الله الجميع لمرضاته

المقدمة

لا شك أن العمل في إعداد وبناء الموسوعات يحتاج إلى جهود جماعية، وتفرغ علمي، مع استعداد للتنقيب الطويل عن المعلومة في المصادر المعتمدة، كما يحتاج إلى حسن اقتباس من المراجع، وغرابة منهجية للاستشهاد والأمثلة، مع تقابل بين المعطيات، ودراية بالأسانيد، وعلم واثق بالرواية، وإحاطة بشرائط التضعيف والتوثيق.

ويصاحب هذا كله فقه في فهم النصوص، وتسكين لوقائع الأحداث بما يخدم تلك النصوص، مع تنزيل للأحكام وفق مقاصد الإسلام وقيمه الإيجابية العليا.

إن هذا العمل هو الذي يدفع الهيئات العلمية والمؤسسات البحثية أن تكون من أولى اهتماماتها في مشروعاتها طويلة الأمد العمل الموسوعي، كما أصبح هذا المجال ميداناً رحباً تتنافس فيه هذه الهيئات باعتبار أن المخرج النهائي ذو معيارية راقية، خاصة على صعيد الكلمة المكتوبة.

وانطلاقاً من ذلك فإن اللجنة التربوية تقدم مشروعها الموسوعي الثالث: «موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل الأطهار والأصحاب الأخيار»، بعد أن وفقها الله تعالى في البدء بإنجاز موسوعتها الثانية: المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء ﷺ، وذلك بعد موسوعتها الأولى

«موسوعة الأسرة» .

إن هذه الموسوعة تعدّ الأولى من نوعها في موضوعها ومن ثم فسوف تسد ثغرة في المكتبة العربية الإسلامية يستشعرها من يعيش قريباً من سير هؤلاء العظماء، فأنى اتجهت أو طالعت - عزيزي القارئ - تجد عقب التاريخ الإسلامي، وشذى عطر الهدى للقرب من مصدر التربية الموحى إليه سيدنا محمد ﷺ، وهذا يتجلى بوضوح عند تعامل هؤلاء العظماء - أعني آل النبي الأطهار وصحابته الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين - كل مع أسرته التي يعيش معها، من الوالدين والزوج والولد ومن العم والخال وما تفرع منهم، في إطار من فنون التعامل المتحلية بكلمات السلوك .

إن هذه الموسوعة تحتاج إلى أن تكون جزءاً أساسياً من مكتبة الأسرة، يطالعها أفرادها من مختلف الأعمار، حتى يقتبس الجميع منها ما يعدّل السلوك ويقوم النفوس .

وقد تم استكتاب الإخوة الباحثين من ذوي الاختصاص في هذا الميدان، وفق اعتبارات منهجية وضعتها اللجنة التربوية مسبقاً، كي تكون منهاجاً للاستكتاب، ومعياراً لقبول المادة المكتوبة، ثم قام الفريق المختص في اللجنة التربوية بوضع الإطار العام للمفاهيم التربوية التي تتضمنها الموسوعة .

إن هذا المشروع المبارك الذي شارك فيه جمع من الإخوة

الاختصاصيين سواء على صعيد البحث أم على صعيد التحرير والمراجعة، والذي يضم تلك الثلة المباركة من الآل الأطهار والصحابة الأخيار رضي الله عنهم أجمعين لجدير بالاهتمام المكافئ، خاصة وأن اللجنة التربوية تستشعر مدى حاجة الإنسان - في أي مكان - للتزود من هذا النوع من الثقافة الذي يتعلق بقضايا الأسرة ومضامينها التربوية.

واللجنة التربوية وهي تقدم هذه الأجزاء بهذا النهج الذي اجتهدت فيه حتى رأى النور، تود أن تلفت النظر إلى أن بعض الاستكتابات لم يستطع أصحابها أن يجدوا سوى موقف أسري واحد أو اثنين، لأن المراجع في المكتبة الإسلامية رغم تعددها لم تذكر سواها، وربما يكون هذا راجعاً إلى أن هذا الجيل من الصحابة - وهم كثر - لم يهتم المؤرخون كثيراً بالسير الذاتية لهؤلاء الأفاضل رضوان الله عليهم أجمعين، وإنما كان اهتمامهم متجهاً نحو القضايا الضخمة في تاريخ صدر الإسلام من الجهاد والفتوحات، تلك القضايا التي أثرت بشكل كبير ومباشر في مسيرة الدعوة الإسلامية، أو قد يكون تركيزهم على المشهورين دون سواهم، مع أنهم جميعاً كانوا من صحابة رسول الله ﷺ، وكلهم عدول رضي الله عنهم، أو أنهم دونوا كل ما حصلوا عليه من معلومات سواء أقليلة كانت أم كثيرة، وبالتالي فإن البعض من الصحابة توفر عنهم معلومات كثيرة والبعض الآخر لم يصلنا عنه إلا النزر اليسير، وكان المؤرخون أمناء فيما ينقلون.

وكم تكون هيئة التحرير (*) - التي تتولى تحرير هذه الموسوعة - شاكراً إذا قام أحد الإخوة من القراء الفضلاء بالبحث عن مواقف أسرية لصحابة آخرين لم تتناولهم الموسوعة - بعد التحري الموثق عن هذه المواطن - ليكون لها موطئ قدم في هذه الموسوعة.

إن اللجنة التربوية ترحب أيما ترحيب باستقبال أي استدراك يراه أحد القراء، سواء كان تعديلاً أو تصحيحاً أو إضافة، كما أنها تقبل النصح - مهما كان مصدره - طالما أنه يضيف معلومة أو يرشد إلى الصواب.

نسأل الله تبارك وتعالى أن يكون هذا العمل مبارك الثمرات لتعم الفائدة المرجوة.

والله تعالى من وراء القصد وهو يهدي إلى سواء السبيل.

هيئة التحرير

(*) هيئة التحرير تتكون من:

- | | |
|---------------------------|--------------------------------------|
| رئيساً | د. عبد المحسن الجارالله الخرافي |
| عضواً | د. محمد المأمون محمد علي المحرزي |
| عضواً | د. أحمد عبد الغني محمد النجولي الجمل |
| مقرر اللجنة التربوية | أ. سامي محمد معتوق العسلاوي |
| مقرر موسوعة الآل والأصحاب | أ. عبد الناصر أحمد سباق جابر |

المنهجية المتبعة في الموسوعة

لما كان موضوع هذه الموسوعة واسعاً، وغنياً بالمادة العلمية والمواقف التربوية الأسرية، ويمكن تناوله من عدة جوانب ومن قبل باحثين أكفاء، ولكل أسلوبه وطريقته في العرض واختيار المناسب، واستنباط المفاهيم؛ لذا فقد وضعت اللجنة اعتبارات منهجية للإخوة المستكثبين حتى يسير الجميع على نمط واحد بقدر الإمكان، وكان من أهم ما ورد في هذه الاعتبارات ما يلي:

- ١ - ذكر المواقف الأسرية للصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم أجمعين من خلال كتب السنة والتاريخ.
- ٢ - إيراد الأحاديث الصحيحة والحسنة والتي لم يشتد ضعفها، وتخريجها في الهامش تخريجاً مختصراً، الهدف منه توثيق النص بعزوها إلى مصادرها من كتب الحديث دون قصد الاستقصاء.
- ٣ - إيراد الأقوال المأثورة والتي فيها مواقف أسرية للصحابة الأجلاء المستكثب عنهم وتوثيقها بعزوها إلى مصادرها.
- ٤ - إستخلاص المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من القصة، وهي بمثابة الدروس والعبر التي من أجلها سقت القصة.
- ٥ - الاستفادة من المؤلفات القديمة والمعاصرة التي تناولت حياة الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

٦ - ترتيب الصحابة الأجلاء رضوان الله عليهم أجمعين في هذه الموسوعة ترتيباً أبجدياً حتى يرفع الحرج، وبذلك نكون متأسين بعلمائنا الأفاضل الذين ترجموا للصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين من أمثال ابن حجر في الإصابة وغيره.

أبو أيوب الأنصاري

- نبذة عن حياته :

اسمه ونسبه وكنيته: هو الصحابي الجليل والسيد النبيل أبو أيوب خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار بن ثعلبة بن الخزرج، النجاري الخزرجي الأنصاري البصري .
إسلامه: أسلم أبو أيوب رضي الله عنه مُبَكَّرًا مع أوائل الأنصار الذين أسلموا، وسماه عروة بن الزبير فيمن شهد بيعة العقبة مع السبعين الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم (١) .

نزول النبي صلى الله عليه وسلم عليه: كان بنو النجار من الأنصار أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ كانت أم جده عبد المطلب منهم، ولهذا فإنه صلى الله عليه وسلم حين أراد النزول في المدينة في هجرته المباركة رغب في إكرامهم بالنزول عليهم، وكان أبو أيوب أكثرهم حظوة، إذ نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته، حتى بنى المسجد في أرض الغلامين النجاريين، وابتنى بجواره مَسْكَنًا لزوجِه سودة بنت زَمْعَةَ رضي الله عنها، وقد أصرَّ بنو النجار أن يتحمَّلوا هم ثَمَنَ المسجد، كما جاء في حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه (٢) . وذكر الزبير بن بكار أن الذي أرضى الغلامين بالثمن هو أبو أيوب رضي الله عنه .

(١) أخرجه الحاكم في المستدرک ٣/ ٤٥٧، وذكره ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/ ٣٦٩.

(٢) انظر: فتح الباري ٧/ ٢٤٦.

وقد وردَ أن الأنصار اقترعت أيهم يُؤوي رسول الله ﷺ؛ ففرعهم أبو أيوب، فأوى رسول الله ﷺ^(١). وهذا مما جعل الله من الفضل له.

تمسكه والتزامه بالسنة: كان أبو أيوب رضي الله عنه حريصاً كل الحرص على متابعة النبي ﷺ في كل شيء، حتى كان يتتبع موضع أصابع رسول الله ﷺ في الطعام، وهذا مؤشراً على اتباعه رضي الله عنه لرسول الله ﷺ فيما هو أهم من ذلك من أمور الدين وأحكام الشريعة، ومن ذلك أنه رأى النبي ﷺ يُداوِمُ على صلاة عند زوال الشمس فداوم هو عليها، كما في الحديث عند الإمام أحمد^(٢).

فهمه للقرآن وعلمه بأسباب النزول: كان أبو أيوب رضي الله عنه مُدركاً لمعاني القرآن، عارفاً بأسباب نزوله، يَضَعُ كلَّ آية موضعها ويفهمها على وجهها الصحيح، من غير تعسفٍ أو تكلف، ولهذا لما سمع بعض الناس يفهمون بعض الآيات على غير وجهها بادرَ رضي الله عنه بإيقافهم على معناها الصحيح، فعن أسلم أبي عمران التُّجِيبِي مولى تُجِيب قال: كُنَّا بِالْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَعَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدِ الْأَنْصَارِيِّ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَخَرَجَ إِلَيْنَا صَفٌّ عَظِيمٌ مِنَ الرُّومِ، وَخَرَجَ مِنَّا صَفٌّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ فَقَتَلَ فِيهِمْ، ثُمَّ جَاءَ مُقْبِلاً، فَصَاحَ النَّاسُ

(١) أخرجه أحمد ٤١٤/٥، والطبراني في الكبير ١٨٦/٤ (٩١/٤) عن أبي أيوب، بسند رجاله ثقات، لكن فيه بقية بن الوليد، وهو مدلس وقد عنعن.

(٢) أخرجه أحمد ٣١٨/٥.

فَقَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلْقَى بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّكُمْ تَتَأَوَّلُونَ هَذِهِ آيَةَ عَلَى غَيْرِ هَذَا التَّأْوِيلِ، وَإِنَّمَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةَ فِيْنَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ دِينَهُ، وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، قُلْنَا بَيْنَنَا سِرًّا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَلَوْ أَقَمْنَا فِيهَا، فَأَصْلَحْنَا مِنْهَا مَا قَدْ ضَاعَ مِنْهَا! فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذِهِ آيَةَ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا هَمَمْنَا بِهِ فِي أَنْفُسِنَا أَنْ نُقِيمَ فِي أَمْوَالِنَا، فَتُضْلِحَ مَا قَدْ ضَاعَ مِنْهَا، فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الَّتِي أَرَدْنَا أَنْ نَفْعَلَ، وَأَمَرْنَا بِالْغَزْوِ فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ يَغْزُو حَتَّى قَبِضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ^(١).

عدد مروياته: يُعَدُّ أَبُو أَيُّوبَ ﷺ من فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ وَعِلْمَائِهِمْ، وَمِنَ الْمُتَوَسِّطِينَ فِي الرِّوَايَةِ الَّذِينَ جَاوَزَ عِدَدَ أَحَادِيثِهِمُ الْمِائَةَ، فَقَدْ بَلَغَتْ عِدَّةَ أَحَادِيثِهِ فِي مَسْنَدِ بَقِي بْنِ مَخْلَدٍ (١٥٥)، وَفِي مَسْنَدِ أَحْمَدَ (١٠١)، وَاتَّفَقَ لَهُ الشَّيْخَانُ عَلَيَّ (٧) أَحَادِيثَ، وَانْفَرَدَ الْبُخَارِيُّ بِحَدِيثٍ وَاحِدٍ، وَمُسْلِمٌ بِخَمْسَةِ أَحَادِيثَ.

مرضه ووفاته وطلبه أن يدفن في أرض العدو: خرج أبو أيوب ﷺ في غزوة القسطنطينية سنة خمسين أو اثنين وخمسين، في

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي ٤٩١/١ (٦٠٠) بإسناد صحيح، وأبو داود في كتاب: الجهاد، باب: في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ ١٣/٣ (٢٥١٢)، والترمذي - وقال: حسن صحيح غريب - في كتاب: التفسير، باب: ومن سورة البقرة ١٩٦/٥ (٢٩٧٢)، وصححه ابن حبان ٩/١١ - ١٠ (٤٧١١)، والحاكم ٢/٢٧٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

خلافة معاوية رضي الله عنه ، فكتب الله له الوفاة غازياً في سبيل الله ، ودُفِنَ هناك تحت سور القسطنطينية .

عن محمد بن سيرين قال : شهد أبو أيوب بدرأ ، ثم لم يتخلف عن غزاة للمسلمين إلا هو في أخرى ، إلا عاماً واحداً ، فإنه استُعمِلَ على الجيش رجلٌ شابٌ ، ففقد ذلك العام ، فجعل بعد ذلك العام يتلَهَّفُ ويقول : وما عليَّ مَنْ استُعمل عليَّ ! وما عليَّ مَنْ استُعمل عليَّ ! وما عليَّ مَنْ استُعمل عليَّ ! قال : فمرض ، وعلى الجيش يزيد بن معاوية ، فأتاه يعودُه فقال : حاجتُك . قال : نعم حاجتي إذا أنا متُّ فاركب بي ثم سُخِّبْ بي في أرض العدو ما وجدت مَسَاغاً ، فإذا لم تجد مَسَاغاً فادفني ثم ارجع . قال : فلما مات ركب به ، ثم سار به في أرض العدو ، وما وجد مَسَاغاً ، ثم دفنه ورجع . قال : وكان أبو أيوب رضي الله عنه يقول : قال الله عز وجل ﴿ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا ﴾ ^(١) ، فلا أجدني إلا خفيفاً أو ثقيلاً ^(٢) .

وهكذا لقي أبو أيوب رضي الله عنه ربه راضياً مرضياً في ميدان الجهاد الذي أفنى فيه عمره ، وأبلى فيه أحسن البلاء شاباً وكهلاً وشيخاً ؛ ليكون مثلاً وقدوة لكلِّ مُسْلِمٍ يرجو الله والدار الآخرة ، رضي الله عنه ^(٣) .

(١) سورة التوبة ، جزء من الآية : (٤١) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى ٣/٣٦٩ بسند صحيح ، والحاكم في المستدرک ٣/٤٥٨ . والحديث في وفاته رضي الله عنه في غزوة القسطنطينية ووصاته بالدفن في أرض العدو أخرجه أحمد ٥/٤١٦ ، ٤١٩ ، ٤٢٣ .

(٣) انظر الترجمة في : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٣٦٨ ، التاريخ الكبير للبخاري ٣/١٣٦ ، =

المواقف الأسرية في حياة أبي أيوب الأنصاري

لما كانت هناك قرابة بين أبي أيوب الأنصاري ورسول الله ﷺ، لذا فسوف نذكر هنا مواقف مهمة حدثت من أبي أيوب الأنصاري لرسول الله ﷺ الذي كان قريباً له، وهذه المواقف من المواقف الأسرية.

الموقف الأول: أدبه مع النبي ﷺ حين نزل عليه

كان أبو أيوب ﷺ عظيم الأدب في ضيافته لرسول الله ﷺ، شديد الحرص على راحة النبي ﷺ، وعلى التماس بركته ﷺ، وكذلك كانت زوجته أم أيوب ﷺ، وقد ابتدأت خدمتها لرسول الله من أول يوم نزل عليهم ضيفاً كريماً.

فَعَنْ أَبِي أَيُوبَ ﷺ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي السُّفْلِ وَأَبُو أَيُوبَ فِي الْعُلُوِّ، قَالَ: فَاتَّبَعَهُ أَبُو أَيُوبَ لَيْلَةً، فَقَالَ: نَمَشِي فَوْقَ رَأْسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَتَنَحَّوْا فَبَاتُوا فِي جَانِبِ، ثُمَّ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «السُّفْلُ أَرْفَقُ»، فَقَالَ: لَا أَعْلُو سَقِيفَةً أَنْتَ تَحْتَهَا، فَتَحَوَّلَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْعُلُوِّ، وَأَبُو أَيُوبَ فِي السُّفْلِ، فَكَانَ يَضَعُ لِلنَّبِيِّ ﷺ طَعَامًا، فَإِذَا جِيءَ بِهِ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِهِ، فَيَتَّبَعُ

= الجرح والتعديل ٣/٣٣١، المعجم الكبير للطبراني ٤/١١٧، المستدرک للحاکم ٣/٤٥٧، حلیة الأولیاء لأبی نعیم ١/٣٦١، الاستیعاب لابن عبد البر ٢/٤٢٤، أسد الغابة ٢/٩٤، ٦/٢٥، تهذیب الکمال للمزی ٨/٦٦، سیر أعلام النبلاء ٢/٤٠٢، تاریخ الإسلام ٢/٣٢٧، تهذیب التهذیب ٣/٧٩، الإصابة ٢/٨٩، شذرات الذهب ١/٥٧.

مَوْضِعَ أَصَابِعِهِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا فِيهِ ثُومٌ، فَلَمَّا رَدَّ إِلَيْهِ سَأَلَ عَنْ مَوْضِعِ أَصَابِعِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: لَمْ يَأْكُلْ، فَفَزِعَ، وَصَعِدَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَحْرَامٌ هُوَ؟، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، وَلَكِنِّي أَكْرَهُهُ»، قَالَ: فَإِنِّي أَكْرَهُ مَا تَكْرَهُ، أَوْ مَا كَرِهْتَ. قَالَ: وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُؤْتِي^(١). أي تأتيه الملائكة والوحي، كما ورد ذلك صريحاً في بعض الروايات.

وَسِينُ ﷺ في رواية أخرى جانباً من هذا الحرص الذي دفعه إلى هذا الفعل، فيقول ﷺ: إِنْ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ نَزَلَ فِي بَيْتِنَا الْأَسْفَلِ، وَكُنْتُ فِي الْعُرْفَةِ فَأَهْرِيْقُ مَاءً فِي الْعُرْفَةِ، فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا تَتَّبِعُ الْمَاءَ؛ شَفَقَةً أَنْ يَخْلُصَ الْمَاءُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا مُشْفِقٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ فَوْقَكَ، انْتَقِلْ إِلَى الْعُرْفَةِ، فَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِمَتَاعِهِ فُنُقِلَ، وَمَتَاعُهُ قَلِيلٌ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنْتُ تُرْسِلُ إِلَيَّ بِالطَّعَامِ، فَأَنْظُرُ فَإِذَا رَأَيْتُ أَثَرَ أَصَابِعِكَ وَضَعْتَ يَدِي فِيهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ هَذَا الطَّعَامُ الَّذِي أُرْسَلَتْ بِهِ إِلَيَّ فَتَنْظَرْتُ فِيهِ، فَلَمْ أَرُ فِيهِ أَثَرَ أَصَابِعِكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَجَلٌ، إِنَّ فِيهِ بَصَلًا، فَكَرِهْتُ أَنْ أَكَلَهُ مِنْ أَجْلِ الْمَلِكِ الَّذِي يَأْتِينِي، وَأَمَّا أَنْتُمْ فَكُلُوهُ»^(٢).

(١) أخرجه مسلم في كتاب: الأشربة، باب: إباحة أكل الثوم ١٦٢٣/٣ (١٧١/٢٠٥٣)، وأحمد ٤١٥/٥.

(٢) أخرجه أحمد بإسناد صحيح ٤٢٠/٥، والحاكم ٤٦٠/٣ - ٤٦١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

المفهوم الأول: فضيلة أبي أيوب وأم أيوب رضي الله عنهما : حيث جعل الله بيتهما أول منزلٍ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت بأنه من بيوت أهله، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما بركت ناقته يوم أن دخل المدينة: «أَيُّ بُيُوتِ أَهْلِنَا أَقْرَبُ؟» فقال أبو أيوب: أنا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، هَذِهِ دَارِي وَهَذَا بَابِي. قَالَ: «فَانْطَلِقْ فَهَيِّئْ لَنَا مَقِيلًا». قَالَ: فَوَمَا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ.. الحديث^(١).

فحازت أسرة أبي أيوب رضي الله عنهم هذه المنزلة الرفيعة والمكانة العالية ببركة هذه الضيافة الكريمة، وكانت خَيْرَ مُضَيَّفٍ لَخَيْرِ ضَيْفٍ.

ولقد عرف خيارُ الصَّحَابَةِ هذه المنقبة وحفظوها لأبي أيوب رضي الله عنه، حتى تَسَى لابن عباس رضي الله عنهما أن يكافئه ببعض ما يَسْتَحِقُّ، ويبقى له كريم الجزاء عند الله في دار الخلد، فعن حبيب بن أبي ثابت، أن أبا أيوب الأنصاري قَدِمَ البَصْرَةَ، فَتَنَزَلَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، فَفَرَّغَ لَهُ بَيْتَهُ، وَقَالَ: لِأَضْنَعَنَّ بِكَ كَمَا صَنَعْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، وَقَالَ: كَمْ عَلَيْكَ مِنَ الدِّينِ؟ قَالَ: عَشْرُونَ أَلْفًا، فَأَعْطَاهُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا وَعِشْرِينَ مَمْلُوكًا، وَقَالَ: لَكَ مَا فِي الْبَيْتِ كُلُّهُ^(٢).

(١) أخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ٢٥٠/٧ (٣٩١١).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک ٥٢٠/٣ (٥٩٣٦).

المفهوم الثاني: الأدب العالي الذي تَمَتَّعَ به أبو أيوب وأم أيوب
 ﷺ : فإذا كان النبي ﷺ قد اختار الطابق الأسفل من بيت أبي أيوب؛ ليكون ذلك أرفقَ بأبي أيوب ﷺ، حيث يغشى النبي ﷺ عددٌ كثيرٌ من أصحابه، فإن نفسيهما الكريمتين لم تقبلا بالعلوِّ فوق رسول الله ﷺ، ولم يكفَّ أبو أيوب وأم أيوب ﷺ عن طلب راحة رسول الله ﷺ، حتى منعهما ذلك النوم، ودفعهما إلى الرفق الشديد عند الحركة، ثم لم تطب نفوسهما إلا بانتقال النبي ﷺ إلى الأعلى.

وقد جاء في رواية عند البطراني^(١): فَلَمَّا أَمْسَى وَبَاتَ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُوبَ يَذْكُرُ أَنَّهُ عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْفَلَ مِنْهُ، وَهُوَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَحْيِ، فَجَعَلَ أَبُو أَيُوبَ لَا يَنَامُ يُحَازِرُ أَنْ يَتَنَاطَرَ عَلَيْهِ الْغُبَارُ وَيَتَحَرَّكَ فَيُؤْذِيهِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ عَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا جَعَلْتَ اللَّيْلَةَ فِيهَا عَمَضًا أَنَا وَلَا أُمُّ أَيُوبَ، قَالَ: «وَمِمَّ ذَاكَ يَا أبا أَيُوبَ؟» قَالَ: ذَكَرْتُ أَنِّي عَلَى ظَهْرِ بَيْتِ أَنْتَ أَسْفَلَ مِنِّي، فَأَتَحَرَّكَ فَيَتَنَاطَرُ عَلَيْكَ الْغُبَارُ، وَيُؤْذِيكَ تَحْرِيكِي، وَأَنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْوَحْيِ... الحديث.

وإذا كان هذا الصحابي الجليل يستعظم أن يعلو النبي ﷺ في السكن، فكيف بمن يتقدم على رسول الله في أحكامه، ويقدم رأيه وهواه على سنة رسول الله ﷺ؟

المفهوم الثالث: الكرم السابغ الذي تمتع به أبو أيوب وأم أيوب
 ﷺ : فقد التزما بتقديم الطعام يومياً للنبي الكريم ﷺ سواءً مما صنعته

(١) المعجم الكبير (٣٩٨٦).

أم أيوب أو مما كان الصحابة يهدونه لرسول الله ﷺ، ويبدو أنهم كانوا يتكلفون صنْعَ الطَّعام للنبي ﷺ ولمن ينزل عليه من أصحابه، فقد أخرج الترمذي عن أم أيوب (رضي الله عنها)، أن النبي ﷺ نَزَلَ عَلَيْهِمْ فَتَكَلَّفُوا لَهُ طَعَاماً فِيهِ مِنْ بَعْضِ هَذِهِ الْبُقُولِ فَكَرِهَ أَكْلَهُ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: «كُلُّوهُ فَإِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ أُؤْذِيَ صَاحِبِي»^(١).

المفهوم الرابع: تعاون أبي أيوب وزوجه أم أيوب في خدمة النبي ﷺ: فقد جمعهما طريق واحد، واجتمع قلباهما على حبِّ الله ورسوله، وتوافقت نفساهما الكريمتان على الحق، ومن ثمَّ قامت أم أيوب مع زوجها، فتنحيا في جانب من البيت، حتى لا يؤذيا رسول الله ﷺ بالمشي فوق رأسه، ثم لما انكسرت جرَّة الماء، وخشيا أن ينزل الماء على رسول الله ﷺ من خلال السَّقْفِ، قاما معاً يجففان الماء ويمسحان آثاره، مع العلم بأن الزوجين الكريمين قد جففا هذا الماء بلحافهما الوحيد، ففي رواية أن أبا أيوب (رضي الله عنه) قال: فَقُمْتُ أَنَا وَأُمُّ أَيُّوبَ بِقَطِيفَةٍ لَنَا مَا لَنَا لِحَافٍ غَيْرَهَا نُنَسِّفُ بِهَا الْمَاءَ تَخَوُّفًا أَنْ يَقْطُرَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَيْءٌ فَيُؤْذِيهِ... الحديث^(٢).

(١) أخرجه الترمذي - وقال: حسن صحيح غريب - ٤/٢٦٢ (١٨١٠)، وأحمد ٦/٤٣٣، ٤٦٢.

(٢) أخرجه ابن إسحاق (سيرة ابن هشام ٣/٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير ٤/١١٩ (٣٨٥٥)، وصححه الحاكم على شرط مسلم وأقره الذهبي في المستدرک ٣/٥٢١.

المفهوم الخامس: التماس البركة بآثار رسول الله ﷺ: فقد رأينا أبا أيوب رضي الله عنه حين يرجع باقي الطعام الذي أكل منه رسول الله ﷺ يسأل عن موضع أصابعه الشريفة، ثم يتتبع آثار تلك الأصابع فيأكل من نفس الموضع الذي أكل منه رسول الله ﷺ؛ التماساً لبركته. ولم يكن أبو أيوب يفعل ذلك وحده، بل كان يفعل ذلك هو وأهل بيته، فقد أخرج الطبراني عن جابر بن سمرة، قال: كان يُهدى لرسول الله ﷺ القِصَاعُ وهو في دار أبي أيوب، فكان يبعث إليه فضل ما يأكل، فأنته قِصَعَةٌ فأرسل بها كما هي لم ينقص منها شيء، فقال أبو أيوب لأهله: لا تأكلوا حتى أعلم لم تركها؟ قال: فاستأذن عليه فدخل، فقال: لم يكن يأتينا من عندك شيء إلا أكلت منه غير هذه القِصَعَة لا أدري ما شأنها؟ قال: «كأن فيها ثوم فكرهت ربحه، أما إنه لا بأس به، إلا أنني كرهت ربحه»، قال: فإني أكره ما تكره إذا، قال: «فأنت أبصر»^(١).

المفهوم السادس: الاتباع الكامل لرسول الله ﷺ: حتى في الأمور التي لم يوجب رسول الله ﷺ على المسلمين أن يتبعوه فيها، بل إن أبا أيوب جعل مشاعره تتجاوب مع هدي رسول الله ﷺ فيحب ما أحب، ويكره ما كره، فهذا هو النبي ﷺ يقول له عن الطعام الذي لم يأكل منه: «إن فيه بصلاً، فكرهت أن أكله من أجل الملك الذي يأتيني وأما أنتم فكلوه» فيقول أبو أيوب رضي الله عنه: فإني أكره ما تكره، أو ما كرهت.

(١) المعجم الكبير ٢٢٧/٢ (١٩٤٠)، و١٢٤/٤ (٣٨٧٤).

الموقف الثاني: ضيافته لرسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما

كان أبو أيوب موصوفاً بالكرم معروفاً بالجود، وربما كان يدخر لرسول الله ﷺ من طعامه وحاجته، وكان النبي ﷺ ربما أتاه فأكل عنده، فكان ﷺ يسرُّ بذلك ويجتهد في إكرام رسول الله ﷺ.

فَعَن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ بِالْهَاجِرَةِ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ بِذَلِكَ عُمَرُ، فَقَالَ: يَا أبا بَكْرٍ، مَا أَخْرَجَكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قَالَ: مَا أَخْرَجَنِي إِلَّا مَا أَجِدُ مِنْ حَاقٍّ (أَي صَادِقٍ) الْجُوعِ، قَالَ: وَأَنَا وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ، فَبَيْنَمَا هُمَا كَذَلِكَ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْهِمَا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: وَاللَّهِ مَا أَخْرَجَنَا إِلَّا مَا نَجِدُ فِي بُطُونِنَا مِنْ حَاقٍّ الْجُوعِ، قَالَ: «وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ، فَقُومَا» فَانْطَلَقُوا حَتَّى أَتَوْا بَابَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ يَدْخُرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَاماً أَوْ لَبَناً، فَأَبْطَأَ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ، فَلَمْ يَأْتِ لِحِينِهِ، فَأَطْعَمَهُ لِأَهْلِهِ، وَانْطَلَقَ إِلَى نَخْلِهِ يَعْمَلُ فِيهِ، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى الْبَابِ خَرَجَتْ امْرَأَتُهُ، فَقَالَتْ: مَرْحَباً بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ، فَقَالَ لَهَا نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «فَأَيْنَ أَبُو أَيُّوبَ؟» فَسَمِعَهُ وَهُوَ يَعْمَلُ فِي نَخْلٍ لَهُ، فَجَاءَ يَشْتَدُّ، فَقَالَ: مَرْحَباً بِنَبِيِّ اللَّهِ ﷺ وَبِمَنْ مَعَهُ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، لَيْسَ بِالْحِينِ الَّذِي كُنْتُ تَجِيءُ فِيهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقْتُ» قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَقَطَعَ عِذْقاً مِنَ النَّخْلِ فِيهِ مِنْ كُلِّ التَّمْرِ وَالرُّطْبِ وَالْبُسْرِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أَرَدْتَ إِلَى هَذَا، أَلَا جَنَيْتَ لَنَا

مِنْ تَمْرِهِ؟» فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَحْبَبْتُ أَنْ تَأْكُلَ مِنْ تَمْرِهِ وَرُطْبِهِ وَبُسْرِهِ،
وَلَأَذْبَحَنَّ لَكَ مَعَ هَذَا، قَالَ: «إِنْ ذَبَحْتَ، فَلَا تَذْبَحَنَّ ذَاتَ دَرٍّ» فَأَخَذَ
عِنَاقًا أَوْ جَدِيًّا فَذَبَحَهُ، وَقَالَ لَامْرَأَتِهِ: اخْبِزِي وَاعْجِنِي لَنَا، وَأَنْتِ أَعْلَمُ
بِالْخَبْزِ، فَأَخَذَ الْجَدِيَّ، فَطَبَخَهُ وَشَوَى نِصْفَهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَ (أَي نَضَجَ)
الطَّعَامُ، وَضِعَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ، فَأَخَذَ مِنَ الْجَدِي، فَجَعَلَهُ
فِي رَغِيفٍ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَبْلُغْ بِهَذَا فَاطِمَةَ، فَإِنَّهَا لَمْ تُصَبِّ مِثْلَ
هَذَا مُنْذُ أَيَّامٍ» فَذَهَبَ بِهِ أَبُو أَيُّوبَ إِلَى فَاطِمَةَ، فَلَمَّا أَكَلُوا وَشَبِعُوا، قَالَ
النَّبِيُّ ﷺ: «خُبْزٌ وَلَحْمٌ وَتَمْرٌ وَبُسْرٌ وَرُطْبٌ - وَدَمِعَتْ عَيْنَاهُ - وَالَّذِي
نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ هَذَا لَهُوَ النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ، قَالَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا:
﴿ثُمَّ لَتَسْأَلَنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾^(١) فَهَذَا النَّعِيمُ الَّذِي تُسْأَلُونَ عَنْهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «بَلْ إِذَا أَصَبْتُمْ مِثْلَ
هَذَا، فَضَرَبْتُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَقُولُوا: بِسْمِ اللَّهِ، وَإِذَا شَبِعْتُمْ، فَقُولُوا:
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَشْبَعَنَا، وَأَنْعَمَ عَلَيْنَا وَأَفْضَلَ، فَإِنَّ هَذَا كِفَافٌ
بِهَا» فَلَمَّا نَهَضَ، قَالَ لِأَبِي أَيُّوبَ: ائْتِنَا غَدًا، وَكَانَ لَا يَأْتِي إِلَيْهِ أَحَدٌ
مَعْرُوفًا إِلَّا أَحَبَّ أَنْ يُجَازِيَهُ، قَالَ: وَإِنَّ أَبَا أَيُّوبَ لَمْ يَسْمَعْ ذَلِكَ،
فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَكَ أَنْ تَأْتِيَهُ غَدًا، فَأَتَاهُ مِنَ الْغَدِ، فَأَعْطَاهُ
وَلَيْدَتَهُ (أَي جَارِيَتَهُ الَّتِي تَخْدُمُهُ) فَقَالَ: «يَا أَبَا أَيُّوبَ، اسْتَوْصِ بِهَا

(١) سورة التكاثر، الآية: (٨).

خَيْرًا، فَإِنَّا لَمْ نَرَ إِلَّا خَيْرًا مَا دَامَتْ عِنْدَنَا»، فَلَمَّا جَاءَ بِهَا أَبُو أَيُّوبَ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا أَجِدُ لَوْصِيَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خَيْرًا مِنْ أَنْ أُعْتَقَهَا. فَأَعْتَقَهَا (١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: تكافل الصحابة ﷺ فيما بينهم وبخاصة في أوقات الشدة والحاجة: وقد ظهر ذلك واضحاً من صنيع أبي أيوب ﷺ مع أبي بكر وعمر ﷺ حين أَخْرَجَهُمَا الْجُوعُ مع رسول الله ﷺ، فقال أبو أيوب: مرحباً بنبي الله ﷺ وبمن معه، ثم مضى فجاء بالتمر، ثم ذبح العناق وأمر امرأته فخبزت، وأَحْسَنَ إِلَى ضَيْوْفِهِ ﷺ.

المفهوم الثاني: منزلة أبي أيوب ﷺ الخاصة عند رسول الله ﷺ: حيث كان يَدْخُرُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَعَاماً أَوْ لِبَنًا؛ إِكْرَاماً لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ولما رأى النبي ﷺ حاجة صاحبيه الكريمين إلى الطَّعَامِ سار بهما إلى دار أبي أيوب ﷺ دون غيره؛ لما لأبي أيوب في نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ من منزلة خاصة، بل إنه ﷺ وضع من اللحم في رغيف وبعث به أبا أيوب إلى فاطمة ﷺ.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه ١٦/١٢ (٥٢١٦)، والطبراني في المعجم الأوسط ٢/٣٦٤ (٢٢٤٧)، والصغير ١/٢٣ (١٨٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ١/٣١٨: «فيه عبدالله بن كيسان المروزي وقد وثقه ابن حبان وضعفه غيره وبقيه رجاله رجال الصحيح».

المفهوم الثالث: تعاون الزوجين في البيت وتوافقهما على خُلُقِ الكَرَمِ والإِحسان: فما إن رأت أمُّ أيوب النَّبِيَّ ﷺ وصاحبيه قادمين حتى استبشرت وحيَّت ورحَّبت بالضيوف الكرام، ثم جعلت تعين زوجها على إكرام رسول الله ﷺ وصحبه، وفيما اشتغل أبو أيوب بالدَّبْحِ والطَّبْخِ كانت أمُّ أيوب ﷺ مُشْتَغَلَةً بِالْعَجْنِ وَالخَبْزِ، حتى ينتهيا من إعداد النزل في أقرب وقت.

ومن المهم أن يتنبه الرِّجال - خصوصاً في مجتمعاتنا العربية - إلى ما فعله أبو أيوب؛ إذ لم يشغل امرأته بكل واجبات الإعداد، بل كلَّفها بما تُحسِنُه ولا يَشْتُقُّ عليها، وقام هو بما يمكنه، فقال لها: اعجني لنا وأنت أعلم بالخبز، وأخذ هو الجدي فطبخه وشوى نصفه، وتعاونوا بذلك على إكرام الضيوف.

المفهوم الرابع: مكافأة صانع المعروف على صنيعه: هذه قيمة إسلامية كريمة وهديّ نبوي عظيم، فعن عبد الله بن عمرٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيدُوهُ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ»^(١). وعملاً بهذا الهدي الكريم فقد كافأ النبي ﷺ أبا

(١) أخرجه أبو داود في كتاب: الزكاة، باب: عطية من سأل بالله عز وجل ٥٢٤/١ (١٧٦٢)، وفي كتاب: الأدب باب: في الرجل يستعيذ من الرجل ٧٤٩/٢ (٥١٠٨)، والنسائي في كتاب: الزكاة، باب: من سأل بالله عز وجل ٨٢/٥، وصححه ابن حبان ١٩٩/٨ (٣٤٠٨)، والحاكم ٧٣/٢ (٢٣٦٩) على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي

أيوب عليه السلام على صنيعه الطيب الكريم بأن أعطاه الجارية التي كانت تخدمه عليه السلام، وأوصاه بها خيراً.

المفهوم الخامس: دقة فهم أبي أيوب وعمق وعيه وحسن تطبيقه
لوصية رسول الله عليه السلام: إذ لم يجد في نفسه وجهاً لتفسير وصية رسول الله عليه السلام إياه بالجارية خيراً من إعتاقها؛ إكراماً وتنفيذاً لوصية رسول الله عليه السلام، وذلك غاية كمال الأدب والحب والطاعة. رضي الله عن سيدنا أبي أيوب وألحقنا به في الصالحين.

الموقف الثالث: موقف أبي أيوب وأم أيوب من قصة الإفك

عن مُحَمَّد بن إِسْحَاق، عن أبيه، قال ابن إِسْحَاق: حَدَّثَنِي أَبِي إِسْحَاق بن يَسَارَ عَنْ بَعْضِ رِجَالِ بَنِي التَّجَارِ أَنَّ أَبَا أَيُوبَ خَالِدَ بنِ زَيْدٍ قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُوبَ: يَا أَبَا أَيُوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ: بَلَى وَذَلِكَ الكَذِبُ، أَكُنْتُ يَا أُمَّ أَيُوبَ فَاعِلَةٌ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَهُ، قَالَ: فَعَائِشَةُ وَاللَّهِ خَيْرٌ مِنْكَ^(١).

وعن بعض الأنصار أن امرأة أبي أيوب قالت له حين قال أهل الإفك ما قالوا، فقال لها: يا أم أيوب أكنت تفعلين ذلك؟ فقالت: لا والله. فقال: فعائشة والله خير منك وأطيب. فأنزل الله عز

(١) ابن هشام ٤/٢٦٨، وعن ابن إسحاق أخرجه الطبري فقي التفسير ٩/٢٨٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٦/٤٨، وروي في نفس الموضع مثل ذلك عن أفلح مولى أبي أيوب.

وجل: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾^(١) يعني قول أبي أيوب لأم أيوب، وكان أبو أيوب قال لها: إن الذين قالوا لها هو إفك^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: معرفة أبي أيوب وأم أيوب الأدب الواجب نحو بيت النبوة الكريم: لما كانت نساء النبي ﷺ هنَّ أمهات المؤمنين فقد عرف الزوجان الكريمان أبو أيوب وأم أيوب ﷺ ما ينبغي أن يكون عليه يقين المؤمن نحو أمه، ونحو بيت النبوة الطاهر، وقد نقل عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في معنى ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا﴾^(٣) قال: ظن المؤمنون أن المؤمن لا يفجر بأمه. وهذا الذي دلَّ الحديث على أنه كان يقيناً في نفس أبي أيوب وأم أيوب، والآية بذلك شاهدة على وصفهما ﷺ بالإيمان.

وقيل: المعنى أنه كان ينبغي أن يقيس فضلاء المؤمنين والمؤمنات الأمر على أنفسهم، فإن كان ذلك يبعد فيهم فذلك في عائشة وصفوان ﷺ أبعد، وهذا النظر السديد هو الذي وقع من أبي أيوب الأنصاري وامراته. وهذا هو الذي عاتب الله تعالى عليه المؤمنين إذ لم يفعله جميعهم.

(١) سورة النور، الآية: (١٢).

(٢) مسند إسحاق بن راهويه ٩٧٨/٣ (١٦٩٠٨).

(٣) سورة النور، جزء من الآية: (١٢).

المفهوم الثاني: واجب المؤمن نفي شائعة الشر وقالة السوء عن المؤمنين: فقله تعالى: ﴿بِأَنْفُسِهِمْ﴾ معناه بإخوانهم، فأوجب الله على المسلمين إذا سمعوا رجلاً يَقْذِفُ أحداً، ويذكره بِقَبِيحٍ لا يعرفونه به أن ينكروا عليه ويكذبوه، مثلما فعل أبو أيوب وأم أيوب رضي الله عنهما، وتوعد سبحانه مَنْ ترك ذلك وَمَنْ نقله.

وقد عدل سبحانه عن الخطاب ﴿أُولَآئِكَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ إلى الغيبة ﴿ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ وعن الضمير إلى الظاهر؛ ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات، وليصرح بلفظ الإيمان دلالة على أن الاشتراك فيه مقتض أن لا يُصَدِّقَ مؤمن على أخيه ولا مؤمنة على أختها قول عائب ولا طاعن. وتقديم الظرف وهو ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ على عامله وهو «قلتم» للاهتمام بمدلول ذلك الظرف؛ تنبيهاً على أنه كان من واجبه أن يطرق ظنُّ الخير قلوبهم بمجرد سماع الخبر، وأن يتبرءوا من الخوض فيه فور سماعه.

وفي هذا تنبيه على أن حق المؤمن إذا سمع قالة في أخيه أن يبني الأمر فيها على الظن الحسن لا على الشك. وأن يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمؤمن الخير: ﴿هَذَا أَفْكٌ مُّبِينٌ﴾ هكذا بلفظ المصريح ببراءة ساحته، كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة الحال. وهذا من الأدب الحسن الذي قلَّ القائم به والحافظ له، وليتك تجد من يسمع فيسكت ولا يشيع ما سمعه بإخوته وأخواته!.

الموقف الرابع: النبي صلى الله عليه وسلم يرفض طلاق أم أيوب، وأبو أيوب يمثل

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ أَبَا أَيُوبَ رضي الله عنه

طَلَّقَ امْرَأَتَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ طَلَاقَ أُمِّ أَيُّوبَ كَانَ حُوبًا» قَالَ ابْنُ سيرين: الْحُوبُ: الْإِثْمُ^(١).

وعن أنس رضي الله عنه أن أبا أيوب أراد طلاق أم أيوب، فاستأذن النبي ﷺ فقال: «إِنَّ طَلَاقَ أُمِّ أَيُّوبَ لِحُوبٌ» فأمسكها^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف السابق:

المفهوم الأول: حفظ الجميل بين الزوجين وعدم استعجال الطلاق: قد تتعرض الحياة الزوجية لبعض الهزات المفاجئة نتيجة لأي سبب قد يعترضها، لكن الإسلام يُربي المؤمن والمؤمنة على حِفْظِ كُلِّ مِنْهُمَا الْجَمِيلَ لِلآخِرِ، وعلى وجوب ذكر الحسنات قبل البناء على السيئات، فتلك هي العشرة بالمعروف التي أمر الله بها ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾^(٣).

ومن ثم فإن النبي ﷺ لم يأذن لأبي أيوب رضي الله عنه في طلاق أم أيوب رضي الله عنها بعد تلك الحياة الحافلة بالفضائل والجلائل والمشاركة في كل أسباب البر والخير، ووصف ذلك بأنه حُوبٌ أي إثم. وهذا تقدير منه رضي الله عنه لتلك المرأة الصالحة ولمواقفها الجليلة،

(١) أخرجه الطبراني في الكبير ١٢/١٩٥ (١٢٨٧٦) و٢٥/١٣٦٧ (٣٢٨) وقال الهيثمي في المجمع ٩/٤٢٥: «وفيه يحيى بن عبد الحميد الحماني وهو ضعيف» وعزاه ابن كثير في تفسيره ١/٥٩٦ لابن مردويه.

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره ١/٥٩٦ لابن مردويه

(٣) سورة النساء جزء من الآية: (١٩).

التي أسلفنا بعضها من قبل . فهل يعي المسلمون هذا الدرس النبوي العظيم!؟

المفهوم الثاني : الطاعة الكاملة لرسول الله ﷺ وتقديم رأيه على هوى النفس : لقد ضرب أبو أيوب رضي الله عنه للمؤمنين نموذجاً عملياً فذاً في كيفية المتابعة الصّحيحة لسنة رسول الله ﷺ، حيث لم يبادر إلى تطليق زوجه باعتبار ذلك شأنًا شخصياً، بل ذهب يستأذن رسول الله ﷺ، وفي هذا إشارة إلى أن المسلم ينبغي له قبل أن يُقدم على أي تصرف أن يعرف حكم الله ورسوله فيما يقدم عليه، وما إذا كان ذلك مما يُحبه رسول الله ﷺ أو يبغضه .

ولم يكن ذلك من أبي أيوب رضي الله عنه مجرد استشارة غير ملزمة، بل إنه تقيد بما قاله رسول الله ﷺ، وأمسك أم أيوب فلم يُطلقها، وترك رغبته في طلاقها؛ نزولاً على رغبة رسول الله ﷺ في إمسакها، وذلك تمام الأدب اللائق بالمسلم والمسلمة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا﴾^(١) .

رضي الله عن أبي أيوب وأم أيوب وألحقنا بهم على خير وجه
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

* * *

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٦ .

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

- نبذة عن حياته :

إنَّه عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي التيمي وكنيته أبو بكر... وهو في العُودِ إلى مرة بن كعب مثل رسول الله ﷺ لأنَّ بين كل واحد منهما وبين مرَّة ستة آباء، فهذه موافقة اتفقت بينهم في النسب^(١).

والد الصديق: عثمان بن عامر، وكنيته أبو قحافة.

والدته: سلمى بنت صخر وكنيتها أمُّ الخير.

زوجاته وأولاده : -

* قتيلة بنت سعد ولدت له عبد الله وأسماء.

* أم رومان بنت عامر ولدت له عبد الرحمن وعائشة.

* أسماء بنت عميس ولدت له مُحَمَّدًا.

* حبيبة بنت خارجة ولدت له أم كلثوم.

إسلامه :

أخذ النبي ﷺ يدعو الأفراد إلى الله تعالى، وينتقي العناصر الصالحة والمعادن النفيسة، وكان يفتح كلَّ قلب بما يوائمه

(١) أبو بكر تيمي نسبة إلى تيم بن مرة من قريش. انظر الأنساب للسمعاني ٣/١٢١، والعبير ١/١١، حلية الأولياء ١/٨٢، وأسد الغابة ٣/٢٠٥.

وإناسبه؛ لأن لكل قلب من قلوب العباد مفتاحاً إذا وفق الداعية إلى معرفته انفتح القلب للهداية بإذن الله تعالى، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع الصديق ﷺ وهو صاحبه الذي يعرفه بدمائه خلقه، وكريم سجاياه، كما يعرف أبو بكر النبي ﷺ بصدقه وأمانته وأخلاقه التي تمنعه من الكذب على الناس، فكيف يكذب على الله.

ودار هذا الحوار الدعوي بين النبي ﷺ وبين الصديق ﷺ: يقول أبو بكر: «أحق ما تقول قريش يا محمد من تركك ألهتنا، وتسفيهك عقولنا، وتكفيرك آباءنا؟».

فقال النبي ﷺ: «بلى... إني رسول الله ونبيه، بعثني؛ لأبلغ رسالته، وأدعو إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له، ولا تعبد غيره، والموالاته على طاعته»^(١).

يقول ابن إسحاق: فأسلم وكفر بالأصنام وخالع الأنداد، وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر وهو مؤمن مصدق^(٢).

حقاً إنه المعدن النفيس يرى الحق فيسرغ إليه، وينفتح له قلبه فلا يتلثم ولا يتردد، وإنما يطمئن فؤاده وتسعد نفسه؛ لذا استحق الصديق هذه الجائزة العظمى من رسول الله ﷺ «ما دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كنبوة، ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم حين ذكرته له وما تردد فيه»^(٣).

(١) سيرة ابن إسحاق ٢٥٢/١ تحقيق السقا، وانظر البداية والنهاية ١٣، وأسد الغابة ٢٠٦/٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سيرة ابن إسحاق ٢٥٢/١ ومعنى «ما عكم» أي ما لبث.

هكذا أسلم ربُّ الأسرة، ثم دخل دار الأرقم، وتعلّم على يد النبي ﷺ وخرج وكله يقين أنه ما خُلِقَ إلا لهذه الدّعوة، وأن حياته لا بد أن توظّف لها، فابتدأ من اللحظة يعمل للإسلام، وكان عمله الدعوي تربية البيت وإعداده قلبياً ونفسياً وعملياً؛ ليكون نموذجاً للبيت المسلم العامل لله تعالى.

ومما هو معروف أن البيت ينطبع بشخصية الأب، ونحن هنا أمام رب أسرة حمل رصيذاً خلقياً كريماً يظهر فيما يلي: -

(١) أنه شريفٌ من أشرف قريش، حيث انتهى الشرف فيها إلى عشرة رهط في عشرة أبطن، منهم أبو بكر ﷺ الذي انتهت إليه في الجاهلية «الأشناق» وهي الديات والمغارم، فكان إذا احتمل شيئاً فسأل فيه قريشاً صدقوه، وأمضوا حمالة من نهض معه وإن احتملها غيره خذلوه»^(١).

(٢) وهو تاجر واسع الرّزق ذو مال وفير، وخير جزيل، وهذه السّعة في الرّزق جعلته موفور الكرامة لا يذلّ لأحد، بل يستحوذ على احترام الناس وثنائهم، فعاش عزيزاً كريماً ينفق ماله، ويصلُ رَحِمَهُ.

(٣) وهو موضع الألفة بين قومه، تميل قلوبهم إليه: - ذكر ابن إسحق في السّيرة أنهم كانوا يُحِبُّونَهُ وَيَأْلُفُونَهُ، ويعترفون له بالفضل العظيم، والخُلُقُ القويم؛ لذلك قال له ابن الدّغنة

(١) انظر الإصابة ٤/١٠٤.

حين لقيه مهاجراً:

- * إنك لتزين العشيرة.
- * وتعين على النوائب.
- * وتفعل المعروف^(١).

قال الحافظ في الإصابة: «ومن أعظم مناقبه أن ابن الدغنة سيد (القارة) لما رد عليه جوار مكة، وصفه بنظير ما وصفت به خديجة عليها السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواردًا فيها على نعت واحد من غير أن يتواطأ على ذلك، وهذه غاية في مدحه؛ لأن صفات النبي صلى الله عليه وسلم منذ نشأ كانت أكمل الصفات»^(٢).

(٤) وهو الذي حمّله خلقه الحميد على النفور من كل ما يخذش المروءة، وينقص الكرامة من أفعال الجاهلية وأخلاقهم التي تجانب الفطرة السليمة، وتتنافى مع العقل الراجح، والرجولة الصادقة؛ لذا حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فعن أم المؤمنين عائشة عليها السلام قالت: «ما شرب أبو بكر خمراً في الجاهلية ولا في الإسلام»^(٣).

هذا وقد أحسن السيوطي رحمه الله حين ترجم لأبي بكر رضي الله عنه فقال: «كان أبو بكر أعفّ الناس في الجاهلية»^(٤).

(١) السيرة ٢٥٠/١.

(٢) الإصابة ١٠٤/٤.

(٣) راجع الروايات في ذلك في كنز العمال ٤٨٨/١٢.

(٤) تاريخ الخلفاء ص ٣٩، ٤٠.

يقول العلامة رفيق بك العظم رحمه الله: «اللَّهُمَّ إن امرؤ نشأ بين الأوثان حيث لا دين زاجر، ولا شرع للنفوس قائد، وهذا مكانه من الفضيلة، واستمساكه بعرى العفة والمروءة، لجدير بأن يتلقى الإسلام ملء فؤاده، ويكون أول مؤمن بهادي العباد، مبادر بإسلامه لإرغام أنوف أهل الكبر والعناد، مُمَهِّدٌ لهم سبيل الاهتداء بدين الله القويم الذي يجتث أصول الرذائل من نفوس المهتدين بهديه المتمسكين بمتين سببه»^(١).

هذا هو الصديق رجل البيت، وتلك هي صفاته، يسرع إلى الحق، ويفتح قلبه للإسلام بصدق، ويدخل دار الأرقم فيتعلم على يد النبي ﷺ، ثم ينطلق إلى بيته؛ لبدأ الدعوة الفردية فيه بادئاً بالقدوة الحسنة، حتى رأى فيه أهله صفات المؤمن الصحيح الذي توجد معه كل أسباب النجاح.

مع الصديق أبي بكر ﷺ في بيته

الصديق أبو بكر ﷺ رجل دعوة من الطراز السامي، توافرت في حياته الشخصية والدعوية والأسرية جوانب الخير التي تبرز عظمة التربية التي ربي عليها رسول الله ﷺ أصحابه.

إنك إن نظرت إليه في إيمانه وجدت يقيناً تتضاءل بجانبه الجبال الرواسي، يقين المؤمن الذي لا تززع عقيدته شكوك، ولا تهزّه

(١) أشهر مشاهير الإسلام ص ١٢.

المصائب والابتلاءات، يقين المؤمن الذي أسلم قياده لله فصدَّق بكل ما جاء عنه وعمل به، يقين المؤمن الذي وثق في الرسول ﷺ فصدقه في كل ما جاء به عن الله وعمل به، يقين المؤمن الذَّاكر الشَّاكر الصابر المجاهد الذي يرجو ما عند الله من ثواب.

وإن نظرت إليه في حياته الدعوية وجدت رجلاً أحبَّ الدعوة حبًّا جمًّا، فوهب لها عقله الراجح، وفؤاده الذكي، وهبها علمه الراسخ، وعزمه القوي، فكان في ميدان الدعوة ذا حركة وبركة.

وإن نظرت إليه في حياته الأسرية وجدت رجل بيت تقي تَرَبَّى على يد خير نبي، رجل بيت أخذ الأسوة الحسنة من رسول الله ﷺ فأدخل أسرته في روضة الإسلام، واجتهد في تربيتها على منهج القرآن وسنة الرسول ﷺ فأضحى نموذجاً فريداً في تحقيق قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمُ وَأَهْلِيكُمُ نَارًا﴾^(١).

فإذا ركَّزنا الحديث على حياته الأُسريَّة وكيف نَجَحَ في تحويل البيت إلى خلية نحل لا تكلّ ولا تملّ من العمل بالإسلام وللإسلام فإننا نقدم حينئذ صورة حيَّة؛ لما يجب أن تكون عليه الأسرة المسلمة.

فإلى هذه الأسرة الكريمة: -

(١) سورة التحريم، جزء من الآية: (٦).

بيت في نور الإسلام

دخل الإسلام بيت الصديق مبكراً كما يلي : -

(١) الزوجة الأولى «أم رومان» بنت عامر بن عُويمِر من بني كنانة بن خزيمة، تزوجها أبو بكر وَأَسْلَمَتْ قديماً، وبايعت وهاجرت إلى المدينة مع أهل الرسول ﷺ وولده وولد أبي بكر حين قدم بهم في الهجرة، وكانت امرأةً صالحه، تُوفِّيت في عهد الرسول ﷺ سنة ست من الهجرة^(١).

(٢) وزوجته أسماء بنت عميس بن معبد بن الحارث أم عبد الله من المهاجرات الأوائل، أُسْلَمَتْ قديماً قبل دخول دار الأرقم، وبايعت رسول الله ﷺ، وهاجر زوجها جعفر الطيار ﷺ، فهاجرت معه إلى الحبشة، ثم هاجرت معه إلى المدينة، فاستشهد يوم «مؤتة» وتزوجها الصديق، فولدت له مُحمداً، وكانت فاضلة، صالحه، عالمة، روى عنها الصحابة (عمرو ابن موسى، وعبدالله بن عباس، وأم الفضل امرأة العباس) فكانت أكرم الناس أصهاراً، فمن أصهارها رسول الله ﷺ، وحمزة، والعباس، وغيرهم، وهي التي أوصى أبو بكر أن تتولى غسله فَعَسَلَتْهُ^(٢).

(١) للمزيد من ترجمتها انظر ابن سعد ٢٧٦/٨، جمهرة أنساب العرب ١/١٩٣، الإصابة ٤/٤٥٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ٨/٢٨٢.

٣) والزوجة الثالثة حبيبة بنت خارجة، من بني الحارث بن الخزرج، وهي التي ولدت لأبي بكر أم كلثوم، أقام عندها الصديق «بالسنح» وكانت مدة إقامته بعد البيعة ستة أشهر، وقد ورثت أبا بكر مع زوجته الأخرى أسماء بنت عميس^(١).

هكذا كانت الزوجات، مسلمات، تقيّات، صالحات، أقمن البيوت على السكينة والموودة والرحمة، وكان جهد الصديق معهن في إقامة الإسلام وتربية الأولاد على مائدة القرآن وسنة النبي ﷺ.

أولاد أبي بكر ﷺ

١) عبد الرحمن بن أبي بكر:

أسنُّ ولد أبي بكر، أسلم يوم الحديبية، وحسن إسلامه، وصحب رسول الله ﷺ، وقاتل المرتدين يوم اليمامة، أخرج خليفة بن خياط بسنده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: «رمى عبد الرحمن بن أبي بكر محكم اليمامة بسهم فوق في نحره فقتله» وعن ابن إسحق مثله^(٢).

٢) عبد الله بن أبي بكر:

الشاب الثبّت المجاهد، صاحب الدور العظيم في الهجرة، حيث كان يظل النهار بين أهل مكة يسمع أخبارهم، ثم يتسلل على الغار؛

(١) انظر الطبقات الكبرى ٣/١٦٩.

(٢) انظر نسب قريش ص ٢٧٦.

لينقل هذه الأخبار، ويبيت عند الغار حارساً، فإذا جاء الصباح عاد إلى مكة، وقد استشهد يوم الطائف: أصابه سهم فمأطله حتى قدم المدينة فمات بعد وفاة النبي ﷺ^(١).

(٣) محمد بن أبي بكر:

أمه أسماء بنت عميس، ولد عام حجة الوداع، وكان من فتيان قريش، ولدته أمه بالشجرة، حيث أحرم رسول الله ﷺ وهو متوجّه إلى مكة للحج، ثم كان في حجر علي بن أبي طالب، وولاه مصر، وبها قتل^(٢).

(٤) أسماء بنت أبي بكر:

هي المجاهدة الصابرة العابدة، ذات النطاقين، زوجة الزبير بن العوام، أسلمت بعد سبعة عشر إنساناً، وكانت أسن من عائشة، سمّاها رسول الله ﷺ ذات النطاقين؛ لأنها صنعت للرسول ﷺ ولأبيها سفرة لما هاجرا، فلم تجد ما تشدها به، فشقت نطاقها، وشدت به السفرة، فسمّاها رسول الله ﷺ ذات النطاقين، هاجرت إلى المدينة وهي حامل بعبد الله بن الزبير، فولدته بعد الهجرة، فكان أول مولود في الإسلام بعد الهجرة، بلغت مائة سنة، ولم يسقط لها سن، روي لها عن رسول الله ﷺ ستة وخمسون حديثاً، وروى عنها عبد الله بن عباس رضي الله عنه، وأبناؤها عبد الله وعروة

(١) المرجع السابق ص ٢٧٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٧٧، الاستيعاب لابن عبد البر ٣/١٣٦٦.

وعبد الله بن أبي مليكة وغيرهم، وكانت جواده، منفقة، توفيت بمكة سنة ٥٧٣هـ.

٥) عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها :

الصديقة بنت الصديق، تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأُعرِسَ بها في شوال، وكنّاها بأُمّ عبد الله، وكانت حبيبة إلى قلب النبي صلى الله عليه وسلم، ومثالاً للزوجة الطيبة الصالحة.

كان الشعبي رحمه الله يحدث عن مسروق أنه إذا تحدث عن أم المؤمنين عائشة قال: حدثني الصديقة بنت الصديق، المبرأة، حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومسندها يبلغ ألفين ومائتين وعشرة أحاديث (٢٢١٠) اتفق البخاري ومسلم على مئة وأربعة وسبعين حديثاً، وانفرد البخاري بأربعة وخمسين، وانفرد مسلم بتسعة وستين^(١).

٦) أم كلثوم بنت أبي بكر:

أمها حبيبة بنت خارجة، قال أبو بكر لأم المؤمنين عائشة حين حضرته الوفاة: إنّما هما أخواك وأختاك فقالت: هذه أسماء قد عرفتها فمن الأخرى؟ فقال: «ذو بطن بنت خارجة قد ألقى في خلدي أنها جارية فكانت كما قال، وولدت بعد موته»^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء ٢/١٣٥، ١٣٩، أنساب الأشراف ١/٢٦٠.

(٢) ابن سعد في الطبقات من طريق همام بن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ٣/١٩٥.

والدا الصديق :

والده: هو عثمان بن عامر أبو قحافة، أسلم يوم الفتح، وكان قد صعد الجبل تقوده بنت له وهو مكفوف البصر، فرماه بعض المسلمين فشججه، وسال الدّم على وجهه، فأدركه أبو بكر وهو يستدمي، فمسح الدم عن وجهه، وأقبل به على رسول الله ﷺ، فقال: يا أبا بكر «هلا تركته حتى نأتيه» فقال أبو بكر: هو أولى أن يأتيك يا رسول الله، فأسلم أبو قحافة، وباع الرسول ﷺ^(١).

والدته: هي سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وكنيتها أم الخير، أسلمت مبكراً كما روى القاسم بن محمد عن أم المؤمنين عائشة في واقعة إلحاح أبي بكر على النبي ﷺ على الظهور بمكة، وفيها، فقال أبو بكر: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ليس لي بأس إلا ما نال الفاسق من وجهي، وهذه أمي برة بولدها، وأنت مبارك فادع الله لها وادعها إلى الإسلام، يستنقذها الله بك من النار، فدعا لها رسول الله ﷺ ودعاها إلى الإسلام فَأَسْلَمَتْ^(٢).

ومن ذرية الصديق من هو من آل البيت

جعفر بن محمد الصادق ﷺ :

كان من ذرية الصديق المباركة الإمام جعفر بن محمد بن علي بن

(١) أسد الغابة ٣/٣٧٤، الإصابة ٢/٤٦١.

(٢) البداية والنهاية ٢/٢٩، ٣٠.

الحسين - ربحانة النبي ﷺ - بن علي بن أبي طالب، القرشي، الهاشمي، النبوي، المدني، عليهم الرضوان جميعاً أحد الأعلام.

أمُّه: أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر التيمي، وأمها أسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، ولهذا كان يقول: ولدني أبو بكر الصديق مرتين.

ولد سنة ثمانين، ورأى بعض الصحابة، وكان يترضى على الشيخين أبي بكر وعمر.

عن سالم بن أبي حفصة قال: سألت أبا جعفر وابنه جعفرًا عن أبي بكر وعمر فقال: يا سالم تولهما، وإبراً من عدوهما، فإنهما كانا إمامي هدى، ثم قال جعفر: «يا سالم أيسبُّ الرجل جده؟ أبو بكر جدي، لا نالني شفاعة محمد ﷺ يوم القيامة إن لم أكن أتولاهما وأبراً من عدوهما».

وعن هياج بن بسطام قال: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء.

وكان فصيحاً بليغاً ذكياً أديباً:

عن الفضل بن ربيع، عن أبيه، قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني، قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر ولبس ثياباً، أحسبه قال جدداً، فأقبلت به، فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله، فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه، وقال: مرحباً بالنقي

الساحة، البريء من الدغل والخيانة، أخي وابن عمي، فأقعه معه على سريريه، وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك، فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به. قال: أفعل، ثم قال: يا جارية ائتني بالتحفة. فأتته بمدهن زجاج فيه غالية فغلفه بيده وانصرف. فاتبعته. فقلت: يا ابن رسول الله، أتيت بك ولا شك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت. وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول فما هو؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك عليّ ولا تهلكني وأنت رجائي، ربِّ كم من نعمة أنعمت بها عليّ قلّ لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قلّ لك عندها صبري؟ فيا مَنْ قلّ عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قلّ عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رأني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبداً، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه، ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت. يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك، يا وهَّاب أسألك فرجاً قريباً وصبراً جميلاً، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية.

مات جعفر الصادق في سنة ثمان وأربعين ومئة، وعمره ثمان وستين سنة، رحمه الله^(١).

(١) نزهة الفضلاء، تهذيب سير أعلام النبلاء ٦٤٩/٢، ٦٥٠.

خادم الصديق : عامر بن فهيرة :

هو مولى أبي بكر الصديق، كان من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل أن يدخل رسول الله ﷺ دار الأرقم، أسلم وهو مملوك، وكان حسن الإسلام، وعذب في الله، فاشتراه أبو بكر فأعتقه، ولما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر إلى الغار بثور مهاجرين أمره أبو بكر أن يروح بالغنم عليهما، وكان يرعاها، فكان عامر يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما فاحتلبهما، وإذا غدا عبد الله بن أبي بكر من عندهما أتبع عامر بن فهيرة أثره بالغنم حتى يعفي عليه، فلما سار النبي ﷺ وأبو بكر من الغار هاجر معهما، فأردفه أبو بكر خلفه، ومعهم دليلهم، وشهد بدرًا، وأُحدًا، وقتل يوم بئر معونة، سنة أربع من الهجرة^(١).

* * *

(١) أسد الغابة ٣/٩٠.

المفاهيم التربوية والأسرية المستفادة من أسرة

الصديق أبي بكر رضي الله عنه

بعد هذا العرض لأسرة الصديق أبي بكر رضي الله عنه نستطيع بحمد الله وتوفيقه استنباط المفاهيم التربوية والأسرية التالية:

المفهوم الأول: بر الوالدين وتوفير كبار السن:

يمثل بر الوالدين قيمة تربوية عظيمة، غُني القرآن بها، كما عنيت السُّنة الشريفة بتأصيلها، حتى يتوفر للبيت المسلم الأمن والسلام، ويعيش تحت لواء السكينة والمودة والرَّحمة، ويعيش المجتمع المسلم تحت لواء الحب والقوة والسلام الاجتماعي، ليقوم الجميع بدورهم في خدمة الدين الحنيف.

وما ذكر القرآن الكريم الأمر بوحدانية الله تعالى إلا أتبعها بالأمر ببر الوالدين.

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١).

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢).

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في الآية: يأمر تعالى بعبادته

(١) سورة النساء، جزء من الآية: (٣٦).

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية: (٢٣).

وحده لا شريك له... وقرن بعبادته برّ الوالدين فقال: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ كقوله في الآية الأخرى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾^(١)، وقوله: ﴿إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍ﴾^(٢)، أي: لا تُسْمِعُهُمَا قولاً سيئاً حتى ولا التأفف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ ﴿وَلَا نَهْرُهُمَا﴾ أي: ولا يصدر منك إليهما فعلٌ قبيح كما قال عطاء بن رباح: أي لا تنفض بيدك عليهما، وكما نهاه عن القول القبيح والفعل القبيح أمره بالقول الحسن والفعل الحسن، فقال: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي: لينا طيباً حسناً بأدب وتوقير وتعظيم ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾^(٣)، أي: تواضع لهما بفعلك. ﴿وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّانِي صَغِيرًا﴾^(٤)، أي: في كبرهما وعند وفاتهما.

وقد جاء في برّ الوالدين أحاديث كثيرة منها الحديث المروي من طرق عن أنس وغيره أن النبي ﷺ لما صعد المنبر قال: «أمين أمين» قيل يا رسول الله علام أمنت؟ قال: أتاني جبريل فقال: يا محمد رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل عليك، قل أمين، فقلت: أمين. ثم قال: رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم خرج

(١) سورة لقمان، جزء من الآية: (١٤).

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية: (٢٣).

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٢٤).

(٤) سورة الإسراء، الآية: (٢٤).

فلم يغفر له، قل آمين، فقلت: آمين. ثم قال: رغم أنف رجل أدرك والديه أو أحدهما حيًّا فلم يدخله الجنة، قل آمين، فقلت: آمين.

وأخرج الإمام أحمد من حديث المقدم بن معديكرب عن النبي ﷺ قال: «إن الله يوصيكم بأبائكم إن الله يوصيكم بأمهاتكم إن الله يوصيكم بالأقرب فالأقرب».

وأخرج من حديث أشعث بن سليم عن أبيه عن رجل من بني يربوع قال: أتيت النبي ﷺ فسمعتة وهو يكلم الناس يقول: «يد المعطي العليا، أمك وأباك وأختك وأخاك ثم أدناك فأدناك»^(١).

وسوف يجني الأولاد ثمرة البرِّ بالآباء في الدنيا قبل الآخرة لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

والحياة الطيبة هي التي فيها الرزق الحلال، والقناعة، والعيش في الطاعة وذوق حلاوة العبادة^(٣).

نعم إن العمل الصالح مع الإيمان جزاؤه حياة طيبة في هذه الأرض، لا يهم أن تكون ناعمة رغدة ثرية بالمال فقد تكون به وقد لا يكون معها، وفي الحياة أشياء كثيرة غير المال الكثير تطيب بها الحياة في حدود الكفاية، فيها الاتصال بالله، والثقة به،

(١) تفسير القرآن العظيم ٣/٣٢ بتصرف.

(٢) سورة النحل، الآية: (٩٧).

(٣) انظر معالم التنزيل للبغوي ٣/٨٣.

والاطمئنان إلى رعايته وستره ورضاه، وفيها الصّحة والهدوء والرضى والبركة، وسكن البيت، ومودة القلوب، وفيها الفرح بالعمل الصالح، وآثاره في الضمير، وآثاره في الحياة... وليس المال إلا عنصراً واحداً يكفي منه القليل حين يتّصل القلبُ بما هو أعظم وأزكى وأبقى عند الله، وأن الحياة الطيبة في الدنيا لا تنقص من الأجر الحسن في الآخرة^(١).

كما أن من ثمرات برّ الوالدين في الدنيا تفريج الكرب، وتبديد الهموم، وسعة الرزق، والدليل على ذلك حديث الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار، وتوسّلوا إلى الله بصالح أعمالهم، فقال أولهم: «اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت - والقدح على يديّ - أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا فشربا غبوقهما. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرّج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه...»^(٢).

(١) في ظلال القرآن ٤/٢١٩٣.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء باب/ أمّ حَسِبَتْ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ - حديث الغار.

كما أن من ثمرة برِّ الوالدين في الدنيا أن يجعل الأبناء بررةً بأبائهم أيضاً.

إن من يبرِّ والديه، ويحسنُ إليهما، يُمنَح من الله عز وجل عطيةً غاليةً ذاكيةً، وهي أن يكون أبناء البار بررةً به، مُحسِنِينَ إليه؛ لأنه دَيْنٌ لا بد أن يُوفَّى، فمن أحسنَ جنىً في كبره برّاً ورَحمةً من أبنائه ومن أساءَ سلطَطَ الله عليه من ولده من يكون عاقاً فيذيقه ما أذاقَ أبويه من قبل.

قال ﷺ «البرّ لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تُدان»^(١).

وقال ﷺ: «برّوا آباءكم تبرّكم أبناءكم وعفّوا نسائكم»^(٢). وللحاكم عن جابر «برّوا آبائكم تبرّكم أبناءكم وعفّوا عن النساء تعفّ نسائكم، ومن تنصل له «أي اعتذر» فلم يقبل فلن يرد عليّ الحوض»^(٣).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: البر والصلة يطيلان الأعمار، ويعمران الديار، ويشيران الأموال، ويخففان سوء الحساب^(٤).

إنّ الصديق رضي الله عنه حين حرص على إسلام أمه «أم الخير» وطلب

(١) الحديث أخرجه أحمد عن أبي الدرداء موقوفاً.

(٢) الطبراني عن ابن عمر.

(٣) انظر كشف الخفاء ١/٣٣٦.

(٤) المصدر السابق ١/٣٣٤.

من رسول الله ﷺ أن يدعوا الله لها أولاً ثم يدعوها إلى الإسلام كان ذكياً فطناً حريصاً على إسلامها، موصداً الباب أمام الشيطان والهوى أن يلعبا بها، ويبعدها عن دعوة الله تعالى.

إنه بذكائه يعلم أن دعاء النبي ﷺ مُجَابٌ، فإذا دعا لها النبي أولاً ثم دعاها إلى الإسلام فسوف يكون القبول، وهذا ما حدث، حيث دعا لها الرسول ﷺ ثم دعاها إلى الإسلام فَأَسْلَمَتْ، ففَرِحَ الصُّدِيقُ بذلك، وعاد إلى بيته وأمه قَدْ أَسْلَمَتْ.

وفي يوم الفتح نرى الصُّدِيقَ ﷺ يحرص على أن يلتقي بأبيه، ويأخذ بيده إلى رسول الله ﷺ، فلَمَّا وصل إليه وجده قد أصيب في وجهه والدم يسيل على وجهه، فمسح الدم عن وجهه برفق وحنان، ودخل به الكعبة، وأقبل به على رسول الله ﷺ، فقال الرسول معلماً الناس جميعاً إكرام ذي الشَّيْبَةِ: «هلا تركته حتى نأتيه؟» وَأَسْلَمَ أبو قحافة، وباع رسول الله ﷺ.

إننا هنا أمام فقه عظيم لبرِّ الوالدين، حيث لم يقتصر الصُّدِيقُ على النفقة والإحسان لوالديه فقط، وإنما جعل من البرِّ هدايتهما إلى الله، والأخذ بيديهما إلى طريق الجنة، مما يُعَلِّمُ الأجيال الحِرْصَ على هداية الأبوين، وإنقاذهما من النَّارِ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١).

(١) سورة التحريم، الآية: (٦).

المفهوم الثاني: التَّسْوِيَةُ بين الأبناء والبنات في الرِّعَايَةِ والتَّوَجِيهِ
يرزق الله عز وجل الأبوين بالأبناء والبنات؛ ليكونوا زُهوراً في
روضة الأسرة المُسَلِّمَةِ. والإسلام يجعل ذلك أحد ركني الزَّيْنَةِ في
الدنيا ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(١)، وقد يعشق بعض
الناس الذكور من الأولاد بينما يكرهون الأنثى، فيجيء القرآن ليقبِّح
ذلك الفعل، وينعى على من فعله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ
وَجْهَهُ مُسْوِوًًا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٢)، وقد يُسيء إلى زوجته إن أنجبت
البنات، ويقسم عليها إن لم تنجب صبياً فسوف يطلقها!، وهو في
فعله ذلك جاهلٌ بِحِكْمَةِ خَالِقِهِ جل جلاله.

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا
وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يَزْوِجُهُمْ ذَكَرًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ
عَاقِمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾^(٣).

وقد يرزق الله الرَّجُلَ البين والبنات، فيفضل البينين، ويحرص
عليهم، بينما يُسيء إلى البنات، ولا يهتم بهنَّ كاهتمامه بالبينين،
بل قد يهدي إلى البينين ويترك البنات، وهنا نجد النبي ﷺ يقول:
«اتَّقُوا اللَّهَ وَاغْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ»^(٤) ورفَّضَ أن يشهد على مِنحَةِ

(١) سورة الكهف، الآية: (٤٦).

(٢) سورة النحل، الآية: (٥٨).

(٣) سورة الشورى، الآيتان: ٤٩، ٥٠.

(٤) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الهبة للولد.

صحابي لولدٍ من أولاده دون الآخرين وقال: «أشهد على ذلك غيري فإنني لا أشهد على جور»^(١).

ولذلك كان العدل بين الأولاد ذكوراً وإناثاً في التربية والإنفاق مَسْلُكُ الصَّالِحِينَ من الأمة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من ابتلي من هذه البنات بشيء فأحسن إليهن كُنَّ له سِتْراً من النار»^(٢).

والصديق رضي الله عنه ضرب المثل الطيب في هذا الميدان، فأحسَنَ تربية الأولاد بنين وبنات، ولم يفرِّق في المعاملة بينهم، ونراه يحرص كل الحرص على إسلام أولاده، ويعمل على دعوتهم إلى الله تعالى حتى أسلموا جميعاً بنين وبنات، فأسَلَمَتْ أسماء وعائشة، كما أسَلَمَ عبدالله وعبد الرحمن، ومن بعدهما محمد، وكانوا نماذج عالية في العمل للإسلام والصَّبْر على البلاء في سبيل الله عزَّ وجل، بل إن الصَّدِيقَ أَوْصَى بِنْتَهُ التي في بطن أمِّها والتي ولدت بعد موته وألهمَّ أَنَّهَا أنثى فكانت كما قال رضي الله عنه^(٣).

المفهوم الثالث: تنمية الذكاء وسُرْعَة البديهة عند الأطفال

يحتاج الأولاد إلى رعاية الآباء لهم، وهي رعاية لا تقتصر على الإطعام والكسوة فقط، وإنما هي رعاية أشْمَل وأعم، حيث يجب على الوالدين أن ينظروا إلى الأولاد نظرة تربية، تعني بفتح الطريق

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الهبة للولد.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة/ باب «اتقوا النار ولو بشق تمرة».

(٣) انظر الأثر الوارد في ذلك في ص ٥٣.

أمام مواهبهم، ومساعدتهم على إظهارها، والإبداع فيها. ولعلّ عناية الآباء بتنمية الذكاء وسرعة البديهة عند الطفل تبلغ به أن يكون من النوابغ.

إنّ أسماء وعائشة يُعطيان مثلاً مهماً لهذه التثنية: فعندما وصل النبي ﷺ إلى بيت الصديق رضي الله عنه ليلة الهجرة أسرعتا بذكاءٍ في تجهيز سفرة من الطعام تكفي النبي ﷺ وأباهما، ولم يستغرق ذلك الإعداد وقتاً طويلاً يُعطل مسيرة الهجرة، بل ساعد في إنجازها.

وها هي أسماء أيضاً تقوم بحيلة ذكيّة مع جدّها أبي قحافة حين أتى إلى بيت الصديق أبي بكر وعلا صوته قائلاً: ماذا ترك أبوك يا أسماء لكم من المال؟ أظنّه قد فجّعكم في ماله كما فجّعكم في نفسه، قالت أسماء «وهي تريد ألا يخرج السر عن جدار البيت»: فذهبت إلى خزانة المال، وأتيت بكمية من الحجارة ثم طرحت عليها ثوباً وقلت لجلي: يا أبتِ ضع يديك على هذا الخير «وكان جدّها قد كُفّ بصره». فلما وضع يده ظنّ ذلك مالاً فقال: «إن كان أبوك قد ترك لكم هذا المال فقد أحسن». قالت أسماء: والله ما ترك أبي مالاً وإنما أردت أن أسكن نائرة الشيخ^(١).

وها هو ذا عبد الله بن أبي بكر في رحلة الهجرة يظهر ذكاؤه، حيث يتّضح من الروايات الواردة أنه كان يظّل سواد النهار يتنقل بين نوادي أهل مكة يسمع الأخبار التي يتداولها الناس عن الهجرة،

(١) طبقات ابن سعد ١/١٢٣ والسيرة النبوية للذهبي ٣٢٧ والبداية ٣/١٧٧.

وما تنوي قریش فعله، وفي المساء يذهب إلى الغار فيقرأ نشرة الأخبار على النبي ﷺ والصديق، ثم يبيت أمام الغار حارساً، وفي الصباح الباكر يعود مسرعاً إلى بيته، كأنه ما فارقه، حتى لا يرتاب مشرك فيه، أو يتبعه إلى الغار.

وكذلك عني الصديق بالخادم عامر بن فهيرة حتى توقد ذكاؤه، وفي الهجرة كان يرعى غنمه مع رعيان مكة، حتى إذا عادوا إلى مكة مساء تباطأ بغنمه حتى يدخلوها، ثم يميل بغنمه على الغار، فيحلب للرسول وللصديق لبناً طازجاً، ثم إذا جاء الصبح سار خلف عبد الله بن أبي بكر ليُغْفِي على آثار أقدامه كي لا يستدلّ المشركون على شيء^(١).

وهكذا تكون القيمة التربوية من أسرة الصديق تعليماً لكل أسرة حتى ينشأ الجيل الذكي الموهوب.

المفهوم الرابع: إنفاق المال في سبيل الله

للمال في حياة الناس قديماً وحديثاً دوره الخطير، وأهميته العظيمة، إذ هو للحياة عصبها، من امتلکه صارت أزمة كثير من الأشياء في يديه، وأصغى له من يناديه بقلبه وأذنيه، وسريعاً ما يلبي نداءه، وينفذ ما أملاه عليه.

كما أن للمال في الدعوة دوره الذي لا ينكر، فهو المحرك لقواها، والدافع لحركتها نحو الانتشار بين الناس.

(١) السيرة النبوية لابن حبان ص ١٢٩ والسيرة الحلبية ٢/٢١٣ والبداية ٣/١٨٤.

ولقد أدرك الصديق عليه السلام هذه المعاني كلها وهو التاجر الموفور المال، فاستخدم ماله في خدمة الدعوة، بل إنه وظف المال توظيف الخبير الذي يدرك أي الوجوه في الإنفاق أولى، وأهم للدعوة، فرأى العبيد والأرقاء الذين أسلموا يُفْتَنُونَ وَيُعَذَّبُونَ؛ ليخْرُجُوا مِنَ الْإِسْلَامِ، ويعودوا إلى الكفر، فيأبون ذلك، فيشترتهم الصديق ويعتقهم، حتى أعتق بلالاً وعامر بن فهيرة وأم عبيس وزنيرة والنهدية وابنتها وأبا فكيهة وجارية من بني مؤمل.

وهو بذلك يعطي قدوة لأهل بيته في الإنفاق وعدم الشح أو البخل، ولكنه قد لا يسلم من عتاب وإنكار من حوله! مثلما اعترض أبوه أبو قحافة وقال له: يا بني إني أراك تعتق ضعافاً فلو أنك فعلت ما فعلت أعتقت رجالاً جلداء يمنعونك ويقومون دونك؟! فيقول الصديق: يا أبت إني أريد ما أريد، وهو بهذه العبارة ينطق بفهم ثاقب يُبْرِهن أَنَّ المسلم يعرف موضع قدميه وهو يعمل لدعوته، لذلك تعلم آل أبي بكر منه هذا المفهوم التربوي، فكانوا يتصدقون ويهدون إلى أحبائهم.

أخرج الإمام أحمد عن عائشة قالت: أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً، فأمسكت وقطع رسول الله، أو قالت: فأمسك رسول الله وقطعت، قال: تقول للذي تحدّثه: هذا على غير مصباح. وروى أسامة بن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كان أبو بكر معروفاً بالتجارة، ولقد بُعث رسول الله وعنده أربعون ألف درهم، فكان يعتق

منها، ويقوي المسلمين، حتى قدم المدينة بخمسة آلاف درهم، ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل في مكة^(١).

وعن عمر رضي الله عنه قال أمرنا رسول الله ﷺ أن نصدق، ووافق ذلك ما لا عندي فقلت: اليوم أسبق أبا بكر - إن سبقته يوماً - قال: فجئت بنصف مالي قال: فقال لي رسول الله ﷺ «ماذا أبقيت لأهلك» فقلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال رسول الله ﷺ «ماذا أبقيت لأهلك؟» قال: أبقيت لهم الله ورسوله، فقلت: لا أسابقك إلى شيء أبداً^(٢).

واستحق أبو بكر هذا الثناء العظيم من رسول الله: «ما نفعتي مال قط ما نفعتي مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر وقال: وهل أنا ومالي إلا ملك لك يا رسول الله؟^(٣).

إن البيت الذي يجود صاحبه بهذه الطريقة، وينفق في سبيل الله والمستضعفين من المسلمين ينشأ أطفاله على حب الصدقة والإنفاق في سبيل الله؛ لأن التربية العملية خير ميدان لتربية النشء على الصفات الحميدة.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/١٤٩، والخلفاء للذهبي ص ١٠٧.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب في مناقب أبي بكر وعمر و كليهما ٥/٥٧٤.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/٢٥٣، وانظر المزيد في تاريخ الطبري ٢/٣٧٦.

المفهوم الخامس: تحقيق أهداف التربية بإنقاذ الأهل والأولاد من النار:

وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾^(١) وهذا أمر من الله عز وجل للمؤمنين أن يأخذوا بأسباب النجاة من النار، وأن يهربوا منها، وفي نفس الوقت عليهم أن يأخذوا بيد أهليهم وأبنائهم إلى بر الأمان والنجاة من النار، وهذا واجب ينبغي أن يقوموا به؛ احتساباً لوجه الله تعالى، وأملاً في صلاح الأمة.

قال سفيان الثوري رحمه الله عن منصور عن رجل عن سيدنا علي في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ «أدبهم وعلموهم» وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: «اعملوا بطاعة الله، واتقوا معاصي الله، وأمروا أهليكم بالذكر، ينجيكم الله من النار».

وقال قتادة: «تأمرهم بطاعة الله، وتناهم عن معصية الله، وأن تقوم عليهم بأمر الله، وتأمرهم به، وتساعدهم عليه، فإذا رأيت معصية لله قذعتهم وزجرتهم عنها».

يقول الماوردي رحمه الله: «فأما التأديب اللازم للأب فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب؛ ليأنس بها، وينشأ عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستثناسه بمبادئها في الصغر، لأن نشأة الصغير

(١) سورة التحريم، جزء من الآية: (٦).

على الشيء تجعله متطبعاً به، ومن أغفل من الصغر كان تأديبه في
الكبر عسيراً.

وقد قال عليه السلام: «ما نحلّ والد ولده نحلة أفضل من أدب حسن»^(١).
وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال،
وتفرّق البال.
وقال بعض الشعراء:

إن الغصون إذا قومتها اعتدلت ولا يلين إذا قومتها الخشب
قد ينفع الأدب الأحداث في الصغر وليس ينفع عند الشيبة الأدب
وقال آخر:

ينشو الصغير على ما كان والده إن الأصول عليها ينبت الشجر^(٢)
وقد رأينا الصديق يحقق أهداف التربية مع أولاده، حيث كان
حريصاً على أن يُعلّمهم الدين، ويحببهم فيه، ويدفعهم إلى نصره
ونشره، فكان عبد الرحمن بن أبي بكر حسن الإسلام، صاحباً
لرسول الله صلى الله عليه وآله، مجاهداً في سبيل الله عزّ وجل، وله في قتال
المرتدين حظٌ عظيم.

وكان عبد الله الشاب المجاهد صاحب الدور المهم في الهجرة،
وكان من الشهداء يوم الطائف.

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤١٢/٣).

(٢) أدب الدنيا والدين ص ٢١٨، تحقيق د. حمزة النشوتي وآخرين طبعة المكتبة القيمة،
القاهرة.

وكان محمد بن أبي بكر من فتيان قريش وتربى في حجر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وكانت أسماء ذات النطاقين مثلاً على حسن تربية البنات، وإنقاذهن من طريق النار، كان لها في الهجرة دورها الذي لا ينكر، هاجرت إلى المدينة، ورؤي لها عن رسول الله ستة وخمسون حديثاً، وكانت جوادة، منفقة، ومجاهدة صابرة، وعبادة قانتة.

وكانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصديقة بنت الصديق، زوج رسول الله صلى الله عليه وآله، الحبيبة إلى قلبه، والتي نقلت إلى المسلمين كثيراً من علم رسول الله صلى الله عليه وآله، حيث بلغ مسندها ألفين ومائتين وعشرة أحاديث، وكانت نموذجاً في العبادة والاجتهاد فيها.

وهكذا ترك الصديق هذا النموذج العملي لحسن تربية الأولاد؛ حتى يقتدي المسلمون به.

المفهوم السادس: الإحسان إلى الخدم وتعليمهم الدين وتوظيف مواهبهم في خدمة دعوة الإسلام

هذا مسلك من المسالك التربوية والأسرية ظهر واضحاً في بيت الصديق أبي بكر رضي الله عنه.

إنه يبدأ أولاً بعقود من الرقاب في سبيل الله تطبيقاً لقوله

تعالى: ﴿فَلَا أَقْنَحُمُ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُ رَقَبَةً ﴿١٣﴾﴾^(١) ولقوله ﷺ «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار، حتى فرجه بفرجه»^(٢).

وقد أمر الله تعالى بالإحسان إلى العبيد والإماء والخدم في قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٣). وما ملكت أيمانكم هم العبيد والخدم.

وقد اهتمت السنة النبوية بهذا حتى يسلك المسلمون هذا السبيل. أخرج البخاري من حديث المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر الغفاري وعليه حُلَّة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه سَابَّ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ فغيره بأُمَّه، فقال النبي ﷺ: «إِنَّكَ امْرُؤٌ فَيْكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ خَوْلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيَطْعَمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيَلْبَسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلَا تَكْلِفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنَّمَا كَلَفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»^(٤).

(١) سورة البلد، الآيتان: (١١ - ١٢).

(٢) أخرجه البخاري في الكفارات، باب قول الله تعالى: «أو تحرير رقبة».

(٣) سورة النساء، الآية: (٣٦).

(٤) كتاب العتق/ باب قول النبي ﷺ: «العبيد إخوانكم».

ومن أحسن تربية العبيد والإماء والخدم حتى بلغ بالأمّة حُسن التهذيب، وجميل التأديب، وأعتقها ثم تزوّجها، كان له العطاء العظيم عند الله .

أخرج البخاري من حديث أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمنَ بنبيه وآمنَ بمحمد، والعبد المملوك إذا أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوّجها فله أجران»^(١).

ففي الأحاديث حثّ المسلمين على العناية بمن في أيديهم من المماليك والخدم، وإحسان تربيتهم، وتعليمهم، وتطبيب خاطرهم، ومعاملتهم المعاملة الطيبة، كما يعامل عياله، وسد حاجاتهم إلى الطعام أو اللباس المعتاد لأمثالهم في البلد.

والحاق الخدم والأجراء بالمملوك في وجوب الإحسان إليهم أمر لا يجادل فيه أحد.

والصديق في ذلك له القدر المعلى، وقصب السبق، حيث أعتق جملة من العبيد والإماء؛ ليحصل على هذا الأجر العظيم، بل كان إعتاقه لهم من باب الرشد في الإنفاق وحسن الفقه في تصريف الأموال.

(١) كتاب العلم/ باب «تعليم الرجل أمته وأهله».

كما أنه كان مثلاً في الإحسان إلى هؤلاء وتعليمهم وتأديبهم، وحياة عامر بين فهيرة خيرُ شاهدٍ على ذلك، حيث لم يهمل الصديق هذا الخادم الذي ظهرت فيه إمارات النبوغ، بل أحسن إليه وعلمه، حتى كان له هذا المقام الرفيع في خدمة الدين.

إنَّ بعض الناس يعتبر الخدم في درجة أقل من درجة الناس، وهو بناء على ذلك يهمل تربيتهم، ويغلط إليهم في المعاملة، مع أننا في هذا العصر على فرصة ذهبية مع الخدم الوافدين إلى ديار العرب، لإدخالهم الإسلام، إن لم يكونوا مسلمين، وذلك باتباع السنة، وتنفيذ أوامر الله، فهل ينتفع الناس بذلك؟

المواقف الأسرية:

الموقف الأول: حرص «الصديق» على أبويه، والعمل على اعتناقهما الإسلام، وقد وفقه الله تعالى فأسلمت أمه (أم الخير)، وقبل ذلك أسلم أبوه (أبو قحافة) حيث بايع النبي ﷺ.

إن هذا يدل على أن المرء لا يكفي بما فيه من خير ونعمة بل عليه أن يقترب ذلك من والديه ﴿وَيَا أُولَٰئِكَ إِحْسَانًا﴾^(١) ومصداق ذلك في قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾^(٢).

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: (٨٣).

(٢) سورة النمل، جزء من الآية: (١٩).

الموقف الثاني: عائشة زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش^(١) انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه وليسوا على ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؟ أقامت برسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام فقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي فلا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء فأنزل الله آية التيمم فتيّموا، فقال أسيد بن الحضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قال: فبعثنا البعير الذي كنت عليه فأصبنا العقد تحته.

وعن عائشة أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت (ضاعت) فبعث رسول الله ﷺ رجلاً فوجدها، فأدركتهم الصلاة وليس معهم ماء، فصلوا فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله آية التيمم^(٢).

وعن عائشة قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي فقال إنني ذاكر لك أمراً فلا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك، قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا ليأمراني بفراقه، قالت:

(١) اسم مكان.

(٢) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة المائدة.

ثم قال: إن الله عز وجل قال: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٧٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٩﴾﴾ [الأحزاب]، قال: فقلت في أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج رسول الله ﷺ مثل ما فعلت^(١).

عن عائشة: دخل عليّ رسول الله وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعث^(٢) فاضطجع على الفراش وحول وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان عند رسول الله، فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال: دعهما فلما غفل غمزتهما فخرجتا^(٣).

المفاهيم التربوية الأساسية المستفادة:

المفهوم الأول: تفقد الأب أحوال ابنته على زوجها حتى لا تتفاقم أمور الخلاف بينهما وتحل في أوائل المشكلة، وهذا حرص من أبي بكر على حياة ابنته الأسرية أن لا تعصف بها المشكلات، فأين هذا ممن يزيد في المعضلة ويصب الوقود على النار عند أدنى عقبة بين الزوجين، مما أدى بكل أسى وأسف إلى نزاعات أعقبتها طلاق وانهيأ في الأسر لولا تدخل الوالدين السليبي ما كان ليحدث.

(١) مسلم، كتاب الطلاق، باب تخيير الرجل امرأته لا يكون طلاقاً.

(٢) بعث، معركة حصلت بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

(٣) البخاري، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق.

المفهوم الثاني: أسلوب التعنيف للابنة الكبيرة ولو أمام زوجها ليس على إطلاقه سلبي، بل قد يكون نافعاً في أحيان كثيرة بقدر الحاجة، والزوج لما يشاهد هذا من أصهاره تزيد منزلة الزوجة عنده، لأنه يرى أنّ أهلها يبالغون في راحته واحترامه ولو على حساب ابنتهم.

المفهوم الثالث: الوقوف مع الحق بين الزوجين يؤدي إلى بناء الأسرة، أما العصبية من الأهل لابنتهم والعكس تزيد الطين بلة، والأمر خلة، وهذا ما حصل من أبي بكر رضي الله عنه عندما وقف مع الحق في جانب رسول الله ﷺ، وهذا يزيد كرامة أهل الزوجة عند الزوج.

المفهوم الرابع: الدخول في أفراح الزوجين والفرح بفرحهما من قبل الأهل، وهذا فيه مشاركة وجدانية لها، مغزاها ومعناها العظيم الأثر في الأسرة، ولا يكون الدخول بين الزوجين في الخلاف فقط، بل يفترض أن الأصهار أصبحوا جزءاً من الأسرة يؤلمهم ما يؤلمها ويفرحهم ما يفرحها.

المفهوم الخامس: الاستعارة بين الأخوات مما يزيد الألفة والشعور بالترابط، وهذا ما ظهر من إعارة أسماء لقلادتها.

المفهوم السادس: لا بأس من إدخال الزوج للعقلاء من أهل الزوجة في بعض الخلافات لحلها أسرياً، وليست في هذا منقصة له أو تدخل في قوامته، بل هو وأد لوساوس الشيطان الذي يفرح بالخلاف بين الزوجين لقوله: ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه

عدواً ﴿ فكل مما من سبيل إلى قمع وساوسه والوقوف له بالمرصاد هو من اتخذه عدواً كما أمر الله تعالى .

المفهوم السابع: لا يتدخل أهل الزوجين في كل شاذة ونادة من حياتهما، إنما يجعلون لأنفسهم حداً للتدخل الذي لا بد منه، وبرضا الزوجين، ويكون تدخلهم بمنزلة الدواء الذي لا بد منه حفاظاً على خصوصية الأسرة ومشاعر الزوجين، ونشاهد كثيراً أن الطلاقات تمت بسبب التدخل اللامحدود من قبل أهل الزوجين، ولو تركت لحالها ما تضخمت حالها ولا انتكست حياتهما.

المفهوم الثامن: المحافظة على أمتعة الآخرين عند استعارتها والمبالغة في حفظها وإرجاعها قيمة إسلامية اجتماعية مهمة تنمي جانب الإحسان بالإعارة وجانب الثقة المتبادلة.

المفهوم التاسع: بادلت عائشة زوجها الشعور لما نبهها أبوها وصرفت الجاريتين ابتغاء كسب رضا والدها وزوجها، وفيه معتبر للزوجات لشراء خاطر الزوج وكسب وده ولو على حساب أنسها وترفيها.

الموقف الثالث: عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: إن أبا بكر الصديق كان نحلها^(١) جاد عشرين وسقاً^(٢) من ماله بالغابة^(٣) فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية ما من الناس أحد أحب إليّ غنى

(١) نحلها: أعطها.

(٢) الوسق: ستون صاعاً، أي ما يعادل (١٥٠) كيلوجراماً في عصرنا هذا.

(٣) الغابة: مكان بالمدينة.

بعدي منك ولا أعز عليّ فقراً بعدي منك، وإنني كنت نحلثك جاد^(١) عشرين وسقاً، فلو كنت جدديته واحتزتيه كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك وأختاك فاققسموه على كتاب الله، قالت عائشة: فقلت: يا أبت والله لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء فمن الأخرى، فقال أبو بكر: ذو بطن بنت خارجه أراها جارية^{(٢)(٣)}.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: تفضيل البنت وهي عائشة على الولد وهو عبدالرحمن ومحمد وما ذاك إلا لصلاحها وتقواها عند أبي بكر، وفي هذا عظة ومعتبر لمن يفضلون الذكور على الإناث مطلقاً، بل يصل الأمر إلى التمييز المنكر والمحرم كفعل أهل الجاهلية ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾.

ويكفي أبا بكر لتفضيلها أن الله اختارها زوجاً لنبيه الكريم فشرف أبو بكر بتلك المصاهرة شرفاً لا يدانيه شيء.

المفهوم الثاني: مراعاة الأولاد والبنات كلهم في الوصية وعدم الدخول في باب التفرقة وقد ورد بسند فيه مقال عند أبي داود عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل أو المرأة بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية

(١) جاد: الجدُّ: هو المقطع.

(٢) يظهر أن أبا بكر بفراسته الصادقة أو برؤيا منام علم أن ما في بطن زوجته أنثى وفعلاً ولدت زوجته بعد وفاته ابنة سميت بأم كلثوم.

(٣) الموطأ، كتاب الأقضية، باب ما لا يجوز من النحل.

فتجب لهما النار»^(١)، لما في ذلك من شغل المجتمع بالعداء والبغضاء والشريعة جاءت بضد كل ما يورث هذه الأمراض التي تفت في عضد الأمة.

المفهوم الثالث: لما رأى أبو بكر أن المال بعد موته أصبح مال الورثة رجع في عطيته لعائشة (نظراً لفقرها) حتى لا تصبح وصيته جوراً، وهذا ما ينبغي علينا جميعاً التراجع عن كل ما يؤدي إلى مفسدة دينية أو اجتماعية، وذلك خير من التمادي في الباطل.

الموقف الرابع: جاء في تفسير ابن كثير في سورة ق آية (١١) وعزاه لابن أبي الدنيا عن علقمة بن أبي وقاص قال: إن عائشة رضي الله عنها قالت: حضرت أبي رضي الله عنه وهو يموت وأنا جالسة عند رأسه فأخذته غشية فتمثلت بيت من الشعر:

ومن لا يزال دمه مقنعاً فإنه لا بد مدفون

قالت: فرفع رضي الله عنه رأسه فقال: ليس كذلك، ولكن كما قال الله تعالى: ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد﴾.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: وجود الأبناء يسلون المريض من والديهم أو في حالة احتضاره من برهم في آخر أيام حياتهم، وفيه تسوية للميت بوجود أبنائه حتى في آخر حياته ليلقنوه الشهادة، وليسمعوا وصيته وليخففوا عليه سكرات الموت.

(١) أبو داود، كتاب الوصايا، باب كراهة الإضرار بالوصية.

المفهوم الثاني: لم يمنع أبو بكر احتضاره من إرشاد ابنته للأولى والأفضل وهو الاستدلال بالقرآن بدلاً من الشعر، فأين آباء اليوم ليوصوا أبناءهم فيما هو أهم من ذلك في متسع العمر؟
حبذا لو تابع الآباء أبناءهم قبل أن يشتد العود ويعسر التقويم على المربي.

المفهوم الثالث: ليس للتربية وقت محدد، بل حتى في حالة الاحتضار وهذا من استشعار المسؤولية تجاه الولد.

الموقف الخامس: عن عبدالرحمن بن أبي بكر: أن أصحاب الصفة كانوا أناساً فقراء، وأن النبي ﷺ قال: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، وإن أربع فخامس أو سادس». وإن أبا بكر جاء بثلاثة فانطلق النبي بعشرة، قال: فهو أنا وأبي وأمي فلا أدري، قال: وامرأتي وخادم بيننا وبين بيت أبي بكر وإن أبا بكر تعشى عند النبي ﷺ ثم لبث حيث صليت العشاء، ثم رجع فلبث حتى تعشى النبي ﷺ، فجاء بعدما مضى من الليل ما شاء الله، قالت له امرأته: وما حبسك عن أضيافك أو قالت ضيفك؟ قال: أو ما عشيتهم؟ قالت: أبوا حتى تجيء، قد عرضوا فأبوا، قال: فذهبت أنا فاخبتأت فقال: يا غنثر^(١) فجدع^(٢) وسب وقال: كلوا لا هنيأ، فقال: والله لا أطعمه أبداً، وأيم الله ما كنا نأخذ من لقمة إلا ربا من أسفلها أكثر منها. قال: يعني حتى شبعوا وصارت أكثر مما

(١) الجاهل.

(٢) دعا عليه وسبّه.

كانت قبل ذلك، فنظر إليها أبو بكر فإذا هي كما هي أو أكثر منها. فقال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: لا وقرة عيني لهي الآن أكثر منها قبل ذلك بثلاث مرات، فأكل منها أبو بكر وقال: إنما كان ذلك من الشيطان، يعني يمينه، ثم أكل منها لقمة ثم حملها إلى النبي ﷺ فأصبحت عنده، وكان بيننا وبين قوم عقد فمضى الأجل، ففرقنا اثني عشر رجلاً، مع كل رجل منهم أناس، الله أعلم كم مع كل رجل، فأكلوا منها أجمعون. أو كما قال^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: تعويد الأسرة على كرم الضيافة ولو بغير موعد سبق، وهذا شيمة عربية أصيلة، وقيمة إسلامية ثابتة، فقد جاء عن أبي شريح العدوي عن النبي ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته» قالوا: وما جائزته يا رسول الله؟ قال: «يوم و ليلة والضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة عليه»^(٢).

المفهوم الثاني: تفقد الأضياف وحالة الأسرة معهم وعدم الاكتفاء بالإيصال بهم، وفي هذا متابعة التربية وعدم الاقتصار على الجانب النظري دون المتابعة والتطبيق، مما يرسخ مفاهيم الشريعة الغراء في نفس الأسرة والناشئة.

المفهوم الثالث: تقدير الأبناء وأزواجه لحالة غضب الأب وترك مواجهته أثناء الغضب تجنباً لما لا يحمد عقباه من شرخ لكيان الأسرة

(١) البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب السمر مع الضيف.

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره.

من إهانة الأم أمام أبنائها، أو الأخ أمام إخوته وتركه حتى تعاوده حالته الطبيعية وامتصاص الغضب وعدم محاسبته على ما تفوه به أثناء اعتراء الغضب له .

المفهوم الرابع: عدم الانجرار وراء همزات الشياطين والرجوع إلى ما يحبه الله ويرضاه، وهو ما فعله أبو بكر لما أكل وترك يمينه كما جاء عن أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ: «لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيراً منها إلا كفرت عن يميني وأتيت الذي هو خير»^(١) وهذا فيما كان مغلظاً باليمين فكيف بالتراجع عما لم يكن يمين لا شك هو أولى إذا كان فيه خير ومصلحة.

* * *

(١) البخاري، كتاب الإيمان والنذر.

أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

- نبذة عن حياته:

اسمه:

جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن حوران بن غفار بن مليل بن
ضمرة بن بكر بن عبد مناف بن كنانة بن حذيفة بن مدركة بن إلياس بن
مضر ^(١).

كنيته: أبو ذر الغفاري ^(٢).

لقبه: برير.

منزلته: من السابقين الأولين إلى الإسلام، قيل إنه خامس
خمس، يضرب به المثل في الزهد والصدق والعلم والعمل، قوالاً
للحق، لا تأخذه في الحق لومة لائم، شهد فتح بيت المقدس مع
عمر رضي الله عنه، روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وروى عنه كثير من الصحابة،
دعا قومه إلى الإسلام، فأسلم نصفهم قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم،
وأسلم النصف الآخر بعد الهجرة ^(٣).

أثنى عليه الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً في أحاديثه، وترحم عليه في غزوة

(١) سير أعلام النبلاء ٤٦/١ والطبقات ٢١٩/٤.

(٢) الطبقات ٢١٩/٤ وسير أعلام النبلاء ٦٤/١.

(٣) الطبقات الكبرى ٢٢١/٤.

تبوك قائلاً: يرحم الله أبا ذر، يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده^(١).

وفي حديث آخر «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر»^(٢).

كان يفتي في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

نشأته:

نشأ في قبيلة بنى غفار، تقع أرضها بين مكة والشام، وكان أبو ذر - قبل إسلامه - يصيب الطريق^(٣)، وكان شجاعاً، ينفرد وحده بقطع الطريق، ويغير على الصرم^(٤) في عماية الصبح على ظهر فرسه أو على قدميه كأنه السبع، فيطرق الحيّ ويأخذ ما أخذ^(٥).

إسلامه: أسلم في السنة الأولى لمبعث الرسول ﷺ، وهو خامس خمسة في الإسلام^(٦).

وفاته: توفي ﷺ وهو بالربذة عام ٣٢ هـ.

(١) المستدرک علی الصحیحین ٥٢/٣.

(٢) المستدرک ٣٨٥/٣ رقم ٥٤٦١ وقال صحیح علی شرط مسلم.

(٣) أي: يقطع الطريق.

(٤) الصرم القطيع الصغير من الإبل.

(٥) الطبقات الكبرى ٢٢٢/٤.

(٦) كافة المترجمين له على ذلك.

المواقف الأسرية في حياة أبي ذر

الموقف الأول: الترابط والتعاون بينه وبين أسرته:

في صحيح البخاري من طريق أبي حمزة عن ابن عباس قال: لما بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ قال لأخيه أنيس: اركب إلى هذا الوادي فاعلم لي علمَ هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، يأتيه الخبر من السماء، واسمع من قوله ثم اتنبي، فانطلق الأخ حتى قدمه وسمع من قوله، ثم رجع إلى أبي ذر فقال له: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق وكلاماً ما هو بالشُّعر، فقال: ما شفيتني مما أردت، فتزود وحمل سنة^(١) له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد، فالتمس النبي ﷺ ولا يعرفه، وكره أن يسأل عنه حتى أدركه بعض الليل، فراه عليّ فعرف أنه غريب، فلما رآه تبعه فلم يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى أصبح، ثم احتمل قربته وزاده إلى المسجد، وظلّ ذلك اليوم ولا يراه النبي ﷺ حتى أمسى فعاد إلى مضجعه فمر به عليّ فقال: أما آن للرجل أن يعرف منزله، فأقامه فذهب به معه، لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء، حتى إذا كان يوم الثالث فعل عليّ مثل ذلك فأقام معه، فقال: ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال: إن أعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني فعلت، ففعل فأخبره، قال: فإنه حق، وإنه رسول الله ﷺ، فإذا أصبحت فاتبعني، فإني إن رأيت شيئاً أخافه عليك قمت كأني أريق الماء، فإن مضيت فاتبعني حتى

(١) قربة يحفظ فيها الماء مصنوعة من جلد طال بها الزمن.

تدخل مدخلي، ففعل، فانطلق يقفوه حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، وسمع من قوله، وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، قال: والذي نفسي بيده لأضْرُخَنَّ بها بين ظهرائهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقام القوم إليه فضربوه حتى أضجعوه^(١)، وأتى العباس فأكب عليه^(٢) وقال: ويلكم أستم تعلمون أنه من غفار، وأنه من طريق تجاركم إلى الشام فأنقذه منهم، ثم عاد من الغد لمثلها فضربوه وثاروا إليه فأكب العباس عليه^(٣).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف الأسري السابق:

المفهوم الأول: ينبغي عند السَّماع عن دعوة إلى الخير أن نهض للعلم بها والوقوف عليها، فإن رأينا الداعي صادقاً؛ استجبنا له وشاركناه دعوته، وإن كانت الأخرى أعرضنا عنه.

المفهوم الثاني: من الواجب على الإخوة أن يكون كلٌّ منهم عوناً لأخيه، ولا يجوز التعلل بطلب العيش، وكثرة الولد، وضيق الوقت، وقلة الإمكانيات، فمن التكافل لون يسمى بالتكافل الأدبي، وهو نصره الأخ لأخيه أو عونه له في الحق.

(١) أي: سقط على جنبه من كثرة الضرب.

(٢) انحنى عليه يدافع عنه.

(٣) صحيح البخاري ٣/١٠١٤ رقم ٣٦٤٨.

المفهوم الثالث: إذا طلب الكبير من الصغير شيئاً فمن الواجب أن يلبي طلبه مادام الطلب قائماً على طاعة الله، وقد رأينا أنيس - شقيق أبي ذر - قد استجاب لرغبة أخيه.

المفهوم الرابع: علينا أن نحدد لمن نرسله في مهمة المطلوب منه حتى لا نتركة في حيرة من أمره.

المفهوم الخامس: أولى الناس بالستر على الإنسان هم أقاربه، ولهذا رأينا أبا ذر يختار شقيقه ليأتيه بالخبر، وهذا من هدى الإسلام، حتى إن من السنة أن يقوم على غسل الإنسان بعد الوفاة أقرب الناس إليه للستر.

المفهوم السادس: يجوز أن نطلب ما يُمكِّننا من فهم الأمر حتى نتخذ قراراً على أساس من المعرفة لا على أساس من المجاملة أو حكم الغير، وقد طلب ذلك أبو ذر رضي الله عنه من أخيه «اسمع من قوله ثم ائتني».

المفهوم السابع: وجوب تحمُّل المشقة بحق الأهل برضى نفسٍ وارتياح، فأبو ذر لم يرسل أخاه إلى طرف الحي أو البادية، وإنما أرسله من غفَّار إلى مكة المكرمة، ونحن في حياتنا رغم يُسرِ المواصلات نُقصر في أداء الواجبات بدعوة مشقة السفر أو بعد الديار.

المفهوم الثامن: من يكلف بدراسة أمر من الأمور يجب عليه

شرعاً أن يكون أميناً ويخبر بما رأى، سواء أصادف الأمر ميوله أم لا، فأنيس لم يكن على الإسلام، وأهل مكة يغلب عليهم الكفر بالرسول ﷺ، ومع هذا قال كلمة حق غير مبالٍ بما هو عليه من تقاليد الجاهلية، وما عليه أكثر أهل مكة من وثنية.

المفهوم التاسع: كان أنيس ذا فكر سديد، ورأى رشيد، عندما رجع إلى أخيه قال له: (رأيتَه يأمر بمكارم الأخلاق، ويقول كلاماً ما هو بالشُّعر). وهذا يتطلب منا الصُّدق في القول في كلِّ المواطن، والتبصُّر في الأمر محلِّ النظر، وإيضاح الأخ لأخيه حقيقة الموقف الذي غاب عنه.

المفهوم العاشر: إذا لم يجد الإنسان الإجابة الشافية بحق موضوع ما، بعد سماعه من غيره، وجب عليه أن يذهب بنفسه؛ ليعرف حقيقة الموضوع؛ ليتخذ قراره على بينة من أمره، حتى ولو كلفه ذلك الشيء الكثير، فالحق غاية كلِّ إنسان، وهو فطري في طبع البشر.

الموقف الثاني: أبو ذر مع أمه وأخيه وخاله وقبيلته

عن عبد الله بن الصامت قال: قال أبو ذر: خرجنا من قومنا غفار وكانوا يحلُّون الشهر الحرام، فخرجت أنا وأخي أنيس وأمنا، فنزلنا على خال لنا، فأكرمنا وأحسن فحسدنا قومه، فقالوا: إنك إذا خرجت عن أهلِكَ يخالفك إليهم^(١) أنيس، فجاء خالنا، فذكر لنا

(١) يخالفك إليهم: كناية عن فساد الخلق.

ما قيل له، فقلت: أما ما مضى من معروفك فقد كدّرته ولا جماع لك فيما بعد^(١). فقدمنا صرمتنا^(٢)، فاحتملنا عليها وجعل خالنا يبكي فانطلقنا حتى نزلنا بحضرة مكة، فنافر أنيس عن صرمتنا وعن مثلها، فأتيا الكاهن فخير أنيساً فأتانا أنيس بصرمتنا ومثلها معها...

وتذكر القصة ذهابه إلى مكة، ومنه قوله وجاء رسول الله ﷺ حتى استلم الحجر، ثم طاف بالبيت هو وصاحبه، ثم صلى وكنت أول من حيّاه بتحية الإسلام، قال: عليك ورحمة الله، من أين أنت؟ قلت من غفار، فأهوى لي بيده ووضع أصابعه على جبهته.

فقلت في نفسي كره أن انتميت إلى غفار، فذهبت آخذ بيده فدفعني صاحبه وكان أعلم به مني.

قال: ثم رفع رأسه فقال: متى كنت ههنا؟ قلت منذ ثلاثين بين ليلة ويوم، قال: فمن كان يطعمك؟ قلت: ما لي طعام إلا ماء زمزم فسمنت وما أجد على بطني سخفة جوع. قال «إنها مباركة إنها طعام طعم».

فقال أبو بكر يا رسول الله ائذن لي في طعامه الليلة، فانطلقا ففتح أبو بكر باباً، فجعل يقبض لنا من زبيب الطائف، فكان أول طعام أكلته بها.

(١) مراده: تعذر الإقامة معاً.

(٢) الصرمة: الإبل القليلة التي يحمل عليها.

وأُتيت رسول الله ﷺ فقال: إنَّه قد وجهت لي أرض ذات نخل، لا أراها إلا يثرب، فهل أنت مبلغ عني قومك، لعلَّ الله أن ينفعهم بك ويأجرك فيهم؟

قال فانطلقت فلقيت أنيساً، فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني أسلمت وصدقت. قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدقت، فأسلمت أمتنا، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفار، فأسلم نصفهم... وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ المدينة فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم فقالوا: يا رسول الله إخواننا نسلم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا «فقال رسول الله ﷺ غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من المواقف في القصة السابقة

المفهوم الأول: رعاية حق الأم من قبل الأبناء، فلا يجوز ترك الأم وحدها مع هجرة أبنائها إلا إذا تأكد الأبناء من قدرة الأم على البقاء وحدها، أو بقائها مع ذي قرابة قريبة، لأن الأبوين وبخاصة الأم كثيراً ما يُصابون بالأزمات النفسية بعد ترك أبنائهم لهم، وإذا كان ذلك قد حدث في الجاهلية فهو في عصرنا الحاضر ألزم.

(١) الحديث بتمامه في صحيح مسلم رقم ٢٤٧٣ ك فضائل باب من فضائل أبي ذر.

المفهوم الثاني: الحرص على الترابط الأسري: فوجود الأم والأخ، أو وجود الأبناء مع أمهم مدعاة إلى تقوية روابط الأسرة والتي هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع.

المفهوم الثالث: صلة الرَّحْم، وإن كان ذلك تقليداً عربياً فهو خُلقٌ إسلامي كذلك، والنزول على الخال أو العم مما يقوى القرابة ويعضد الترابط.

المفهوم الرابع: رعاية حق الضيف وإن كان ذا قرابة قريبة، وبعض الناس لا يرون إكرام الضيف حقاً إلا للغرباء دون الأقرباء.

المفهوم الخامس: اتقاء الوشاية وعدم الاستجابة لدعاة السوء، وهم كُثْرٌ، يَحْرِصُونَ لَيْلَ نَهَارٍ على إفساد العلاقة بين الأقرباء، ويستغلُّون ما يُثير الحميَّة ويدعون إلى الفتنة والغيرة، ولذلك رأينا الاتهام موجَّهاً إلى عرض هذا الرجل وهو أمرٌ لا يمكن قبوله ولو من باب الوشاية.

المفهوم السادس: على الإنسان أن يترىث فيما سمع، ولا يذكره على وجه السرعة، كما حدث من خالهم الذي ذكر لهم ما سمع فترتب على ذلك اتخاذهم قراراً بالاعتزال وترك المنزل، وفقدان المعروف الذي صنعه لهم.

المفهوم السابع: ترك الضيافة مطلوب إذا كانت الإقامة غير مرغوب فيها، وبخاصة إذا كان المضيف قد أبدى رغبته في عدم الاستعداد للضيافة.

المفهوم الثامن: المعاملات المالية المشتركة يكون المكسب والخسارة فيها على السواء، وهو واضح في عودة أنيس بقطيع الإبل الأول ومثله معه دون أن يقول لأخيه هذا يخصكم وهذا يخصني.

المفهوم التاسع: وجوب تبادل المنفعة، فلا يجوز أن يكون أحد الأخوين خادماً والثاني مخدوماً على طول الطريق، بل لابد من تبادل الأدوار، ما لم يُؤدَّ ذلك إلى خلل، وهذا ما جعل أبا ذر يتعهد الإبل حتى يذهب أنيس إلى مكة ويعود.

المفهوم العاشر: التشاور في الأمور محل الاهتمام، وتبادل الرأي فيها وهو واضح في عرض أمر الرسول ﷺ من أنيس على أخيه أبي ذر.

المفهوم الحادي عشر: تقدير النصيحة للإخوة خاصّة وللناس عامة في كل أمر فيه خطر واقع أو متوقع (وكن من أهل مكة على حذر...).

المفهوم الثاني عشر: طلب العلم يتطلب صبراً، ويوجب تحمُّل المشقة، وقد رأينا أبا ذر يمكث شهراً في الحرم يتسمع من الرسول دون إخباره، ويتحمل مشقة الحياة، حتى إنه صرح بأنه في هذا الشهر لم يشرب إلا من ماء زمزم، ولم يأكل زاداً، ومع هذا كفته الطعام والشراب.

المفهوم الثالث عشر: على الإنسان أن يبدأ بأهله في الإصلاح بعد أن يُصْلِحَ نفسه، وقد وضع ذلك في إخبار أبي ذر لأخيه بأمر إسلامه، وعندها أعلن أنيس إسلامه، وتوجها معاً إلى أمهما التي أعلنت إسلامها بعد إخبارها بخبرهما.

المفهوم الرابع عشر: جماعة الإنسان في ذمته، وأهل الإنسان هم قريته ودولته، وبذل المعروف لهم مطلوبٌ، وحرصه عليهم محمود، وهذا ما فعله أبو ذر في دعوة قومه إلى الإسلام، فاستجاب نصفهم قبل الهجرة، والنصف الآخر بعد الهجرة، حتى نالوا المدح والثناء (غفار - غفر الله لها) وأسلمت قبيلة «أسلم» على ما أسلمت عليه قبيلة غفار، فقال الرسول ﷺ: وأسلم سالمها الله.

الموقف الثالث: مع أهله في الشام

تنقلات أبي ذر كثيرة، وندرك منها أنّ أهله كانوا ملازمين له في هذه التنقلات، فمن جهة مقدمة من غفار إلى مكة وجدنا أمه، وعندما خرج إلى الشام كانت معه زوجته، وحين أقام بالربذة كانت معه زوجته وجاريتته، وإذا كان المثل قد ضرب به في الزهد فإنه لم يكن كما يصور الناس أنه يحيى بلا مال، ويتكفّف الناس، بل كان له دخل من بيت المال مقداره أربعة آلاف، وكانت له ملكية خاصّة، ولكنها كانت محدودة نذكر منها ما يدلُّ على ذلك:

(أ) عندما خرج أبو ذر إلى الشام في خلافة عثمان، وحثّ أهلها على الزهد، وأدت دعوته إلى شبه الفتنة بين المسلمين «كتب معاوية

- إلى عثمان بن عفان - إنه قد أفسد الشام، فطلبه عثمان، ثم بعثوا أهله من بعد، فوجدوا عندهم كيساً أو شيئاً فظنوه دراهم، فقالوا ما شاء الله: فإذا هي فلوس»^(١).

(ب) وعن ابن سيرين: سألت ابن أخت لأبي ذر: ما ترك أبو ذر؟ قال: ترك أتانين وحماراً وأعنزاً وركائب^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: على الرجل أن يكفي أهل بيته مؤونة العيش، وأن يكفل لهم الطعام والشراب والسكنى والكسوة.

المفهوم الثاني: وجوب ترك ما يستر الأسرة مهما كان شأن الإنسان في الزهد، وها هو أبو ذر الذي كان يحرم التملك والاستبقاء لليوم التالي ويدعو إلى التصدق بما زاد عن حاجة الناس وجدناه قد ترك لأهله بعض ما يتمول؛ ليستروا أنفسهم به.

المفهوم الثالث: مجموع ثروة أبي ذر قليل، ولكنه يشير في الوقت نفسه إلى ترك شيء للورثة وإن قلّ المتروك، عملاً بحديث الرسول ﷺ إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكفون الناس^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء ٦٣/١.

(٢) ابن سعد ٢٢٧/٤ وسير أعلام النبلاء ٤٧/١.

(٣) مسلم بشرح النووي ١٢٥١/٣.

المفهوم الرابع: حُسْنُ تَدْبِيرِ الدَّخْلِ وَحُسْنُ تَقْسِيمِ الإِنْفَاقِ، فَمِمَّا ورد أن أبا ذر كان إذا جاءه مال أحسن تدبيره «فعن عبادة بن الصامت أنه كان مع أبي ذر فخرج عطاؤه ومعه جارية له، قال فجعلت تقضي حوائجه، قال ففضل معها مبلغ، قال: فأمرها أن تشتري به فلوساً قال: قلت: لو ادخرته للحاجة تبوء بك، أو للضيف يتنزل بك.

قال: إن خليلي عهد إلي أن أي مال ذهب أو فضة أو كفي عليه فهو جمر على صاحبه حتى يفرغه في سبيل الله»^(١).

«وعن قتادة عن سعيد بن الحسن أن أبا ذر كان عطاؤه أربعة آلاف، فكان إذا أخذ عطاءه دعا خادمه فسأل عما يكفيه لسنة فاشتراه له، ثم اشترى فلوساً بما بقى وقال: «إنه ليس من (وعاء) ذهب أو فضة يوكل عليه إلا وهو يتلظى على صاحبه»^(٢).

الموقف الرابع: مع زوجه حال الحياة (١)

عن الصباح الكوفي بإسناد له يصل به إلى النبي ﷺ كان إذا أراد أن يتسم قال لأبي ذر: يا أبا ذر حدثني ببدء إسلامك، قال: كان لنا صنم يقال له نهم فأتيته فصبيت له لبناً ووليت، فحانت مني التفاتة فإذا كلب يشرب ذلك اللبن فلما فرغ رفع رجله فبال على الصنم فأنشأت أقول:

ألا يا نهم إنني قد بدالي مدى شرف يُبعَدُ منك قربا

(١) الطبقات الكبرى ٤/٢٢٩.

(٢) الطبقات الكبرى ٤/٢٣٠.

رأيت الكلب سامك خط خسف فلم يمنع قفاك اليوم كلباً

فسمعتني أم ذر فقالت :

لقد أتيت جرماً وأصبت عظماً حين هجوت نهماً .

فخبرتها الخبر فقالت :

ألا فابغنا رباً كريماً جواداً في الفضائل يا ابن وهب

فما من سامه كلب حقير فلم يمنع يدها لنا برب

فما عبد الحجارة غير غاو ركيك العقل ليس بذئ لب

فقال ﷺ : « صدقت أم ذر فما عبد الحجارة غير غاو »^(١) .

المفاهيم التربوية المستفادة من القصة السابقة :

المفهوم الأول: ينبغي أن لا نقبل كل ما يقوله لنا الآباء والأمهات بدون تفكير، وإنما نُفكر فيما نسمع ونطيع بعد الاقتناع، وعلى الآباء أن لا يُكرهوا أولادهم على الأفعال بل يقنعوهم بها .

وإذا كانت التقاليد مخالفة للشريعة الإسلامية وجب تركها، فأساس تقديس الأصنام موروثات الآباء والعادات والتقاليد البالية، وأساس الغلو في المهور ونفقات الزواج المقدم منه والمؤخر تقاليد اجتماعية لا شريعة إسلامية . وهذا ما جعل أبا ذر يقدر صنماً يسمى (نهم) جرياً على تقاليد الآباء .

(١) الإصابة ٢٠٢/٨ رقم ١٢٠٠٩

المفهوم الثاني: نحن مطالبون بأن تكون الثقافة السائدة هادفة ومفيدة، وأن ننشر بين الناس ثقافة بناء لا هدم، وتعمير لا تدمير وروابط لا تمزيق؛ لأن أفكار الناشئة تتأثر طوعاً أو كرهاً بالثقافة السائدة في المجتمع، وهكذا عبدت الأوثان كثافة دينية سائدة في المجتمع الجاهلي.

والآن ينبغي وقف التيار السلبي للعولمة الذي يحمل بعض الظواهر المنافية للآداب العامة، والاستفادة من إيجابية العولمة لا سلبياتها، ونشر ثقافة الخير والحق، وما كان من الفن - يُختارُ منه الرّاقِي المُفيدُ للفرد والمجتمع.

المفهوم الثالث: على الراعي أن يتألف قلب الرعية، وعلى المسؤولين في كل موقع أن يتحاوروا ويتواضعوا مع من وآهم الله أمرهم.

إن القائد الحكيم هو الذي يغرسُ المحبة بينه وبين الرعية، وها هو رسول الله ﷺ رغم علو منزلته ومكانته يدعو أبا ذر؛ ليضحكه ويضحك معه، من في أيامنا يفعل ذلك الآن؟

المفهوم الرابع: تحرير عقول الناشئة من الأساطير والخرافات؛ لأنها تنزل منهم بعد ذلك منزلة العقائد، فمن الخطأ أن نحكي للأطفال قصصاً تتعلق بظهور العفاريت والعسكري والبوليس والغولة وأبو رجل مقطوعة... إلخ؛ لأن هذا يُرسخ الخوف في شعورهم،

والحديث عن الجنّ ينبغي أن يتوقف عند حد النص الصحيح دون الإفراط، حتى لا يكون الرّعب وصفاً لازماً للناشئة.

المفهوم الخامس: في التربية الإسلامية الإقناع أساس الاعتقاد، والإكراه محرّم ولو في الاعتقاد، ولو فكّر أبو ذر قليلاً لعلم أن الإله لا يأكل ولا يشرب ولكنها الموروثات العقدية.

المفهوم السادس: علينا أن نفكر فيما نرى ونسمع، وأن نعيد النّظر إذا ظهر لنا أنّ ما أنزلناه منزلة العقيدة قد توافرت الأدلة على بطلانه.

المفهوم السابع: الرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، وعلى كل إنسانٍ ظهر له الحق أن يتمسّك به، ويحمل نفسه عليه، ويدعو الآخرين إليه.

المفهوم الثامن: للزّوجة حق إبداء الرأي في كلام زوجها، ومن الواجب عليها تقديم التّصحّح له إذا ظهر لها خطر، أو خطأ في كلامه، وهذا ما قالته زوجة أبي ذر له (لقد أتيت جرمًا وأصبت عظمًا حين هجوتَ نهماً).

المفهوم التاسع: على الزّوج أن يتقبل كلام زوجته بصدر رحب، وأن لا يُعنّف أو يضرب أو يؤذي على أثر الكلام، بل هو مطالب بالإقناع بما قال، بدليل أنّ أبا ذر لما سمع من زوجته ما سمع لم يُسمِعها سباً ولا شتماً ولا أوسعها ضرباً كما يفعله البعض الآن. وإنما ذكر لها سبب شعره.

المفهوم العاشر: المرأة لا تقل قدراً عن الرجل في معرفة الحق والرجوع إليه إذا توفر لها الدليل، وما هي زوجة أبي ذر بعد أن تبين لها الحق تقول شعراً يمدحه الرسول ﷺ ويصدقها عليه قائلاً: «صدقت أم ذر».

المفهوم الحادي عشر: العلاقة بين الزوجين تقوم على التراحم والتفاهم على الانسجام لا التفرقة، والتكامل الفكري والحوار الأدبي لا يقلان أهمية عن غيرهما من المشاعر حتى تكتمل سعادة الأسرة.

الموقف الخامس: مع زوجه حال الحياة (٢)

دخل نفر من القراء على أبي ذر وعنده امرأة سوداء عليها عباءة قطوانية ليس عليها مجاسد^(١) ولا (خلوق)^(٢) فقال أبو ذر: أتدرون ما تقول هذه؟ تأمرني أن آتي العراق، ولو أتيت العراق لقالوا هذا صاحب رسول الله ﷺ فمالوا علينا من الدنيا، وإن خليلي أبا القاسم ﷺ عهد إليّ أن جسر جهنم دحض مزلة وفي أحمالنا إفساد لعلنا أن ننجو منها^(٣).

(١) المجاسد: الثوب المصبوغ.

(٢) الخلق: نوع من الطيب أكثر أجزاءه الزعفران.

(٣) هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين (المستدرک ٨٨٠٢، ج ٤/٦٥٢م،

وسير أعلام النبلاء ٧٢/١، ومسنّد أحمد ١٥٩/٥، وابن سعد ٢٣٦/٤.

المفاهيم التربوية: الاستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: جواز طرح بعض المسائل العائلية التي لا يترتب على طرحها إضرار بِسَمْعَةِ العائلة على الأهل والأصدقاء، وبخاصة الأمور التي يمكن أن يؤخذ فيها رأي الآخرين.

المفهوم الثاني: على المرأة أن لا تكثر من الطُّلب والإلحاح على زوجها، ولعلّ ذلك هو الذي جعل أبا ذر يقول: تأمرني أن آتي العراق.

المفهوم الثالث: من عوامل فساد المجتمع الآن الاعتماد على القرابة القريبة من الإنسان، سواء تعلّقت بالسلطان أو من دونه، ولهذا يجب شرعاً أن لا نستغل أي شيء يبني عليه عائد مادي غير مشروع بدعوى القرابة من هذا أو ذلك.

المفهوم الرابع: يجوز إظهار علّة القبول أو الرفض لأمر ما؛ حتى يطمئن قلب الآخر إلى أحد التصرفين؛ وليتعلّم الآخرون من الإنسان أسباب بعض التصرفات.

المفهوم الخامس: على الإنسان أن ينعم بالدنيا بشرط أن لا يضرّ بالآخرة، وأن يعمل للآخرة بشرط أن لا يُخرب الدنيا، وأبو ذر حالة خاصة لا يتأتى تعميمها؛ لأنها رُفضت من الصحابة أنفسهم.

الموقف السادس: مع زوجه حال الحياة (٣)

عن عبد الله بن خراش الكعبي قال: وجدت أبا ذر في مظلة شعر بالربذة تحته امرأة سحماء، فقلت: يا أبا ذر تزوج سحماء^(١)؟ قال: أتزوج من تضعني أحب إليّ ممن ترفعني، مازال لي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى ما ترك لي الحق صديقاً^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد من الموقف السابق الآتي:

المفهوم الأول: الحياة البسيطة تحقق سعادة نفسية للإنسان مادام مقتنعاً بهذه الحياة، كان بإمكان أبي ذر أن يبني قصرًا، وأن يملك مِصرًا، ولكن زهده دعاه إلى العيش في خيمة بالربذة.

المفهوم الثاني: اللون ليس القياس الصحيح في اختيار الزوجة، بل الدين أولاً وقبل كل شيء.

المفهوم الثالث: من دواعي الكبر في بعض الأحيان داعي النَّسب، فبعض الناس يرون الزواج من هذه القبيلة أو تلك وسيلة لرفع خستهم، أو علو شأنهم، ناسين أن خير المراتب «التقوى».

(١) سوداء شديدة السواد نحيلة الجسم.

(٢) الطبقات الكبرى ٤/٢٣٦.

المفهوم الرابع: السؤال لمعرفة الحكمة من شيء ما، أمرٌ مطلوب، وهو ما يعرف بالاستفهام، والسؤال للرفض والإنكار غير جائز.

المفهوم الخامس: علينا أن لا نحزن إذا أعرض الناس عنا بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بشروطهما. وهذا أبو ذر يقول: إن كثرة أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر لم تترك له صديقاً.

المفهوم السادس: علينا أن نفرق بين الحبِّ والصدقة، فالحب: ميلٌ قلبي تجاه شيء ما، والصدقة: تعامل مع الآخر إذا ائتملت القلوب، وأبو ذر كان محبوباً من الصحابة، ولكن كثرة نصحه أدت إلى فقدان الصداقة.

المفهوم السابع: كثرة النصح إلى الأهل والأصدقاء تؤدي إلى زهدهم فينا، وبخاصة إذا كان النصح بحدّة وشدّة.

الموقف السابع: مع زوجه حال الوفاة

ورد في طبقات ابن سعد «أن أبا ذر حضره الموت وهو بالربذة، فبكت امرأته فقال: وما يُبكيك؟ قالت: أبكي أنه لا بد لي بتغيبك، وليس عندي ثوب يسعك كفنًا، فقال: لا تبكي فأني سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا عنده في نفر يقول: «ليموتن رجل منكم بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين»، قال: فكل من كان معي في ذلك

المجلس مات في جماعة وقرية فلم يبق منهم غيري، وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق فإنك سوف ترين ما أقول لك، فإني والله ما كذبت ولا كُذبت. قالت: وأنتى ذلك وقد انقطع الحاج؟ قال: راقبي الطريق، فبينما هي كذلك إذا هي بالقوم تجد بهم رواحلهم كأنهم الرحم^(١)، فأقبل القوم حتى وقفوا عليها قالوا: ما لك؟ قالت: امرؤ من المسلمين تُكفُّونَه وتُوجِرُون فيه. قالوا: ومن هو؟ قالت: أبو ذر. ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، ووضعوا سياطهم في نحورها يتدرونه، فقال: أبشروا أنتم النفر الذين قال فيكم رسول الله ﷺ ما قال. ثم قال لهم: قد أصبحت اليوم حيث ترون، ولو أنَّ ثوباً من ثيابي يسعني لم أكفن إلا فيه. أنشدكم الله ألا يكفني رجل منكم كان أميراً^(٢) أو عريفاً^(٣) أو بريداً^(٤)، فكل القوم كان نال من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار كان مع القوم. قال: أنا صاحبك ثوبان في عييتي من غزل أمي وأحدُ ثوبَي هذين اللذين عليّ، قال: أنت صاحبي فكفني^(٥).

(١) طائر كبير الحجم أكبر من النعامة.

(٢) أميراً: على سرية أو في غزو أو مكان.

(٣) العريف: النقيب على قومه.

(٤) صاحب البريد: من ينقل البريد من وإلى الوالي.

(٥) الطبقات ٤/ ٢٣٢ - ٢٣٣.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

المفهوم الأول: مدى تقدير الزوجة لزوجها وحرصها عليه حياته وبعد مماته، وإذا كان الموت أمراً مُسَلِّماً به، فإن البكاء كان لعجزها عن وجود ثوبٍ عندها يصلح للكفن؛ إنها الرغبة في ستره بعد مماته كما كان الستر حال حياته.

المفهوم الثاني: على الرجل أن يراعى خاطر المرأة إذا رآها تبكي، وأن يسألها عن علّة البكاء، ويحرص على زوالها إن استطاع.

المفهوم الثالث: المرأة مطالبة بإخبار زوجها بسبب بكائها، حتى لا تجعله في حيرة من أمره إذا رآها تبكي دون أن يعرف السبب.

المفهوم الرابع: إدخال السرور على أحد الزوجين من الآخر مطلوب شرعاً، وإن كان الموطن موطن شدة، وهذا واضح من بشارته إياها بأن موته سيشهده جماعة من المؤمنين.

المفهوم الخامس: علينا أن نلتمس الأسباب، وأن لا نياس من رحمة الله، وبخاصة إذا كان عندنا خبر يقين يتعلّق بموضوع الحوار أو المناقشة، وهذا واضح من قوله (ما كَذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ).

المفهوم السادس: صوت المرأة ليس بعورة، ولها أن تُكَلِّم الرجال، وتسمع منهم بدون تكسُّر ولا تمثيع، ولها حقّ إجراء الحوار مع الآخرين ما دام هادفاً وتبنى عليه مصلحة.

المفهوم السابع: اليأس من رحمة الله منهي عنه في الإسلام، وقد يئست زوجته من الوفود المارة؛ لأن الحج قد انتهى إلا أن الله جند لها من يَحَقُّ بشاره الرسول ﷺ.

المفهوم الثامن: المرأة مسؤولة أمام الله عن زوجها، كما أن الرجل مسؤول عن زوجته، وبخاصة في موطن الشدة، وفي رواية ثانية (كانت تشد إلى كتيب تقوم عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرضه، ثم ترجع إلى الكتيب)^(١).

الموقف الثامن: موقف أسري مع ابن عمه:

عن سليمان بن يسار قال: قال أبو ذر حدثان إسلامه^(٢) لابن عمه: يا ابن الأمة. فقال النبي ﷺ: «ما ذهب عنك أعرابيتك بعد»^(٣).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: حسن اختيار الزوجة حتى لا يُعير بها أبناؤها بعد، وإذا كان الرق معيار ذم في الماضي كما ورد في القصة فإن حُسن الخلق وقوة النسب والالتزام الديني من مفاخر الأبناء بالآباء.

المفهوم الثاني: من كان حديث عهد بالإسلام لا يُعتف على خطأ

(١) الكتيب: ما ارتفع من الرمل في كومة.

(٢) الطبقات ٤/٢٣٤.

(٣) حدثان إسلامه: أي في أول إسلامه.

(٤) الطبقات الكبرى ٤/٢٢٥.

ارتكبه قلّ الخطأ أو كثر صَغُرَ أو كبر، وإنما يُوجه بالحُسْنَى؛ حتى لا يصرفه العنف عن الإسلام.

المفهوم الثالث: ذكر المؤثرات الخُلُقِيَّة السلبية للإنسان، وبيان سُبُل الخروج منها سواء بالإشارة أم بالعبرة.

المفهوم الرابع: البيئة لها أثرٌ كبير على أخلاق الإنسان؛ ولهذا رأينا أبا ذر يتعجّل السب لابن عمه، وهذه حدّة الجاهلية وخشونة الأعراب.

المفهوم الخامس: على الإنسان أن لا يقابل الخلق السيئ بمثله، فالصّمت في بعض الأحيان أفضل وسيلة للردّ على من أخطأ، ولم نر في الموقف رداً من ابن عم أبي ذرّ عليه.

المفهوم السادس: إذا حضر الإنسان موقفاً فيه ظالم ومظلوم عليه نُصْرَة المظلوم، وتذكير الظالم.

* * *

أبو عُبَيْدَةَ بن الجَرَّاح

- نبذة عن حياته :

اسمه ونسبه وكنيته :

هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي أبو عبيدة بن الجراح الفهري، مشهور بكنيته ونسبه إلى جده^(١).

إسلامه، ومناقبه، وأبرز مواقفه :

نال أبو عُبَيْدَةَ شَرَفَ السَّبْقِ إلى الإسلام، فكان من السَّابِقِينَ الأولين دُخُولاً فيه، وهو أحد خمسة أَسْلَمُوا في يوم واحدٍ على يد أبي بكر الصديق الذي أخذ يدعو إلى الإسلام بعد إيمانه برسول الله ﷺ، وهؤلاء الخمسة هم: عثمان بن مظعون، وعبيدة بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح^(٢).

من أبرز مناقبه

(أ) لُقِّبَ بِأَمِينِ هذه الأمة، لَقَّبَهُ بذلك رسول الله ﷺ، فعن أنس

(١) الإصابة في معرفة الصحابة: لأبي الفضل أحمد بن حجر العسقلاني: ٢/ ٢٥٢ دار صادر ط. أولى ١٣٢٨هـ، ترجمة رقم/ ٤٤٠٠.

(٢) البداية والنهاية: لابن كثير ٧/ ١٠٣ دار الفكر العربي، ط. أولى ١٣٥١هـ - ١٩٣٣م.

عبيدة بن الجراح^(١) قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا، وَإِنَّ أَمِينَنَا أَبُو

وَالْأَمِينُ هُوَ: الثِّقَةُ الْمَرْضِيُّ، وَإِذَا كَانَتِ الْأَمَانَةُ صِفَةً مُشْتَرَكَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَصَّ بَعْضَهُمْ بِصِفَاتٍ لَمْ يَنْفَرِدُوا بِهَا وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا أَخْصَّ بِهَا.

عَنْ حَذِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ أَهْلَ نَجْرَانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ابْعَثْ إِلَيْنَا رَجُلًا أَمِينًا، فَقَالَ: «لَأَبْعَثَنَّ إِلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ، فَاسْتَشْرَفَ لَهَا النَّاسُ»^(٢). قَالَ: فَبَعَثَ أَبُو عَبِيدَةَ بْنَ الْجِرَاحِ^(٣).

(ب) كَانَ مِنَ الْعَشْرَةِ الَّذِينَ بَشَّرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ ابْنُ أَبِي وَقَّاصٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ بْنُ عَمْرٍو بْنِ نَفِيلٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عَبِيدَةَ بْنَ الْجِرَاحِ فِي الْجَنَّةِ»^(٤).

(١) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: ك/ فضائل الصحابة، ب/ فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ح/ ٢٤١٩.

(٢) أي: تطلّعوا إلى تلك الولاية ورغبوا فيها، لا حرصاً على مجرد الولاية، وإنما على تحقق وصف الأمانة فيمن يلي ذلك.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه: ك/ فضائل الصحابة، ب/ فضائل أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ح/ ٢٤٢٠.

(٤) الحديث أخرجه أحمد في المسند: ٢٠٩/٣ من الموسوعة الحديثية، قال محرروها: =

(ج) بلغت مكانته عند الصحابة رضوان الله عليهم أن أبا بكر رضي الله عنه قام خطيباً في يوم اجتماع السَّقِيفَةِ قبل أن يُبَايِعَهُ المسلمون خليفةً لهم بعد موت رسول الله ﷺ، فكان ممّا قاله للصحابة من المهاجرين والأنصار: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين - أي: ليكون خليفة عليكم - أيهما شئتم» وأخذ بيد عمر ابن الخطاب، ويد أبي عبيدة بن الجراح^(١).

ولأبي عبيدة رضي الله عنه مواقف كثيرة مُضِيَّةٌ في حياته، وإذا كان المقام لا يتسع لذكرها مجتمعة، فإننا نختار من أبرزها موقفين: - أولهما: في حياة رسول الله ﷺ، في غزوة أُحُد، لما حمى القتال بين المسلمين والكفار، واشتدَّ البأس، وأحاط المسلمون برسول الله ﷺ يقاتلون دونه، عمَدَ ابن قَمِيَّةَ لعنه الله - في فرصة انتهزها - إلى رسول الله ﷺ، وضربه بالسيف فجرح وجته الشريفة ﷺ، ودخلت حلقتان من حلق المغفر^(٢) فيها، فجاء أبو عبيدة ﷺ لينزع الحلقتين من وجته ﷺ فخشي إن نزعهما بيده أن يؤلم النبي ﷺ، فعمد إلى

= إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبدالعزيز بن محمد الدراوردي، فقد احتج به مسلم، وروى له البخاري مقروناً وتعليقاً، وهو في الموسوعة برقم/ ١٦٧٥ مؤسسة الرسالة - الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٧٤م.

(١) البداية والنهاية: ٢٤٦/٥ مرجع سابق.

(٢) المغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر رأس المحارب يلبسه تحت القلنسوة، لسان العرب: لابن منظور، مادة: (غفر) فهو يشبه الخوذة، ويقوم بدورها، غير أنه يزيد عليها أنه يسبغ على صفحتي الوجه والعنق.

إحداهما فأخرجها بأسنانه فسقطت إحدى ثنيتيه، ثم إلى الآخر فأخرجها كما أخرج الأولى، فسقطت ثنيتيه الأخرى.

ثانيهما: في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يحكيه أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، فيقول: (إني كنت مع أبي عبيدة بن الجراح بالشام، عام طاعون عمواس، فلما اشتعل الوجد وبلغ ذلك عمر. كتب إلى أبي عبيدة ليستخرجه منه: أن سلام عليك، أما بعد: فإنه قد عرضت لي إليك حاجة، أريد أن أشافهك فيها، فعزمت عليك إذا نظرت في كتابي هذا ألا تضعه من يدك حتى تُقْبَلَ إليّ، قال: فعرف أبو عبيدة أنه إنما أراد أن يستخرجه من البواء، فقال: يغفر الله لأمير المؤمنين، ثم كتب إليه: يا أمير المؤمنين، إني قد عرفت حاجتك إليّ وإني في جند من المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه، فحلني من عزيمتك يا أمير المؤمنين، ودعني في جندي، فلما قرأ عمر الكتاب بكى، فقال الناس: يا أمير المؤمنين أمت أبو عبيدة؟ قال: لا، وكان قد^(١) أي أو شك أن يموت.

وفاته:

كانت وفاة أبي عبيدة بالطّاعون في الشام، وهو طاعون عمواس الذي وقع سنة ١٧ أو ١٨ هـ، وصلى عليه معاذ بن جبل رضي الله عنه.

(١) البداية والنهاية: لابن كثير: ٨٧/٧ مرجع سابق، وانظر كذلك سير أعلام النبلاء: للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ١٨/١، ١٩ طبع مؤسسة الرسالة.

فمن أبي سعيد المقبري قال: لما طعن أبو عبيدة قال: يا معاذ صلّ بالناس، ثم مات أبو عبيدة بن الجراح، فقام معاذ في الناس، فقال: يا أيها الناس توبوا إلى الله من ذنوبكم توبة نصوحاً، فإن عبد الله لا يلقي الله تائباً من ذنبه إلا كان حقاً على الله أن يغفر له، ثم قال: إنكم أيها الناس قد فجعتم برجل والله ما أزعم أنني رأيت من عباد الله عبداً قط أقل غمراً، ولا أبرأ صدراً، ولا أبعد غائلة، ولا أشدّ حباً للعاقبة، ولا أنصح للعامة منه، فترحموا عليه رحمه الله، ثم اصحروا للصلاة عليه^(١) فوالله لا يلي عليكم مثله أبداً، فاجتمع الناس، وأخرج أبو عبيدة وتقدم معاذ فصلّى عليه، حتى إذا أتى به قبره دخل قبره معاذ بن جبل، وعمرو بن العاص، والضّحّاك بن قيس^(٢).

وكان أبو عبيدة رحمه الله تعالى ورضي عنه حين وفاته في الثامنة والخمسين من عمره.

* * *

(١) اصحروا للصلاة عليه: أي ابرزوا إلى أرض فضاء واسعة لتصلوا عليه، من: أصحر الرجل إذا خرج للصحراء.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرک: ك/ معرفة الصحابة، ب/ مناقب أبي عبيدة بن الجراح: ٣/ ٢٦٣، ٢٦٤.

المواقف الأسرية في حياة أبي عبيدة بن الجراح :

الموقف الأول: مواجهته لأبيه في غزوة بدر:

أخرج الحاكم^(١) عن عبد الله بن شوذب قال: جعل أبو أبي عبيدة ابن الجراح ينصب الأُلَّ^(٢) لأبي عبيدة يوم بدر، وجعل أبو عبيدة يحيد عنه، فلما أكثر الجراح قصده أبو عبيدة فقتله، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية حين قتل أباه: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾^(٣).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية:

(١) في المستدرک: ك/ معرفة الصحابة، ب/ حلية أبي عبيدة بن الجراح ٢٦٦/٣ ولم يعلق عليه وكذلك لم يتعرض له الذهبي في التلخيص، وذكر نحوه ابن حجر في الإصابة في ترجمته لأبي عبيدة، ترجمة رقم/٤٤٠٠ وعزاه للطبراني فقال: (وهو فيما أخرجه الطبراني بسند جيد عن عبدالله بن شوذب، قال: جعل والد أبي عبيدة يتصدى لأبي عبيدة يوم بدر، فلما أكثر قصده فقتله فنزلت (لا تجد قوماً...) الآية، المعجم الكبير: سليمان بن أحمد بن أحمد بن أيوب الطبراني: ١/١٥٤، طبع مكتبة العلوم والحكم، الثانية ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م وكذلك ذكره الواحدي في أسباب النزول والسيوطي في لباب النقول كلاهما عند ذكره لسبب نزول (الآية ٢٢ من سورة المجادلة).

(٢) الأُلَّة: الحربة العريضة النصل.

(٣) سورة المجادلة، من الآية: (٢٢).

المفهوم الأول: معرفة حق الوالدين والإشفاق عليهما في غير مخالفة للشرع.

رَبِّي القرآن الكريم المؤمنين وفي مقدمتهم أصحاب النبي ﷺ على برِّ الوالدين، ومعرفة حقِّهما، وإن كانا على غير دين الإسلام، والإحسان إليهما حتى لو أساءا، وقد تعددت الآيات القرآنية التي تؤكد على هذه الوصية:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(١)، وقال سبحانه: ﴿قُلْ نَعَالُوا أُنزِلَ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ إِلَّا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢).

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(٣).

وهذا ما جعل أبو عبيدة ؓ يحيد عن طريق أبيه في غزوة بدر حتى لا يقتله بيده، بل يترك ذلك لغيره، ينطلق في ذلك من إشفاق البنوة المجردة بالأبوة المجردة، وفق الفطرة التي فطر عليها الإنسان، كما ينطلق هذا الإشفاق من البرِّ الذي أمر الله به في القرآن، ولا ينطلق من إيثار الإبقاء على حياة رجل كافر.

(١) سورة الإسراء، من الآية: (٢٣).

(٢) سورة الأنعام، من الآية: (١٥١).

(٣) سورة العنكبوت، من الآية: (٨).

المفهوم الثاني: تقديم الولاء للإيمان وأهله، والبراء من الكفر وأهله عندما يستلزم الأمر ذلك.

وهذا ما جعل أبا عبيدة رضي الله عنه في نهاية الأمر يُواجه الموقف بِحَسْمٍ، فإن أباه الجراح لما أكثر من التعرض له، ووجد أبو عبيدة منه إصراراً تَحَقَّقَ معه أن قصد الأب - من منطلق كفره - قتل ابنه لكونه مؤمناً، فنحى أبو عبيدة عندئذ عاطفة البنوة، وآثر ولاءه لإيمانه وبراءته من كفر أبيه، وعمد إليه فقتله، لم يقتل فيه الأب بقدر ما قتل فيه الكافر الذي يُحارب الله ورسوله، ويصدُّ عن دين الله، وينصر الكفر، فَعَلَ ذلك؛ لَمَّا لم يجد من المواجهة بُدأً من جهة، ولما وجد نصرة الإسلام ودحر الكفر يستلزم ذلك من جهة أخرى، فنزل القرآن بالثناء على هذا الموقف، ووصف الله تعالى أبا عبيدة ومن يقف موقفه بأنه: ﴿كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾^(١).

المفهوم الثالث: نجاح الصحابة رضوان الله عليهم في مواجهة الابتلاءات الشديدة التي لازمتهم في مسيرتهم الإيمانية، فإن مثل هذه الابتلاءات بعداوة الأهل والعشيرة، وقتلهم عندما يقتضي الأمر لم تفت في عضد الصحابة، ولم توهن عزائمهم على المضي في طريق حمل الرسالة ونشر الدعوة، وبذلك نجحت دعوة الإسلام، ولو أن الصحابة رضوان الله عليهم ضعفوا واستكانوا، وعجزوا عن

(١) سورة المجادلة، جزء من الآية: (٢٢).

حمل هذا العبء، ومواجهة تلك الصُّعاب ما حَقَّقُوا للدَّعوة هذا النِّجاح، ولا للإسلام هذا الانتشار، ولا لمن بعدهم هذا التمكين، ولو أنهم أخذتهم في الله لومة لائم من عاطفة أو نحوها ما سارت مسيرة الإسلام في عهدهم بالنور شرقاً وغرباً.

المفهوم الرابع: فهم الصحابة رضوان الله عليهم لمقتضيات دعوة الإسلام والعمل على تحقيقها.

لقد علم أصحاب رسول الله ﷺ من أول الأمر أن اختيارهم طريق الإيمان، وانحيازهم إلى الحق ليس بالأمر الهين، وإنما هو طريق يتطلب صبراً عظيماً، وتضحيات كبيرة، وقد عانوا من ذلك في أول الأمر: في صبرهم على أذى الكفار، وفي هجرتهم عن ديارهم وأوطانهم إلى الحبشة مرتين، ثم إلى المدينة بعد ذلك، وأعظم من ذلك ابتلاء: مواجهة من يحبون من الأهل والعشيرة قتالاً في ميادين الجهاد في سبيل الله، وقد قاموا بواجبهم في كل ذلك أعظم وأكمل ما يكون القيام.

الموقف الثاني: تصحيحه مفهوم الأجر والمثوبة لامراته:

أخرج الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن عياض بن غطيف قال: دخلنا على أبي عبيدة بن الجراح نعوذ من شكوى أصابه، وامراته تحيفه قاعدة عند رأسه، قلنا: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر، فقال أبو عبيدة: ما بتُّ بأجر، وكان مقبلاً بوجهه على الحائط فأقبل على القوم بوجهه، فقال: ألا تسألوني عما

قلت؟ قالوا: ما أعجبنا ما قلت فنسألك عنه. قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أنفق نفقة فاضلة في سبيل الله فبسبع مئة، ومن أنفق على نفسه أو أهله، أو عاد مريضاً، أو ماز أذى، فالحسنة بعشر أمثالها، والصوم جنة ما لم يخرقها، ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: حرص الزوجة على ذكر زوجها بخير، والإخبار عما نزل به من مصاب وآلام بما يبشر بالخير، ويعقب الأجر، فإنهم لما سألوا امرأة أبي عبيدة: كيف بات أبو عبيدة؟ قالت: والله لقد بات بأجر، تشير إلى ما نزل به، وما يستتبع ذلك من الأجر والمثوبة.

المفهوم الثاني: صبر الزوجة وتماسكها، وعدم جزعها مما ألمَّ بزوجها من المرض، فلم تبد باكية أو صارخة، بل صابرة متماسكة.

المفهوم الثالث: بيان أن الأجر الحقيقي ما يكون على المبادرة إلى الطاعات وأفعال الخير، أما المرض فأغلب ما يكون خطأ للذنوب، وتكفيراً لها، وهذا ما أشار إليه أبو عبيدة بقوله: ومن ابتلاه الله ببلاء في جسده فهو له حطة.

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: والحديث إسناده حسن كما قال محققوه في الموسوعة الحديثية: ٢٢٠/٣ طبع مؤسسة الرسالة - بيروت، ط. الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م، ومعنى (أو ماز أذى): أماطه وأزاله، ومعنى (حطة الله): أي: تحط عنه خطاياہ وذنوبه.

المفهوم الرابع: عدم الإغترار بالثناء، فإن الإخبار عن ثبوت الأجر، وإن كان نوعاً من الدعاء والرجاء إلا أنه متضمن ثناء على من أخبر عنه، فلم يغتر أبو عبيدة بذلك، بل واستثمر الموقف في التعليم والتحديث والرواية، والإخبار عن كنه الأجر الحقيقي.

المفهوم الخامس: هضم النفس حتى لا تميل إلى الاغترار، وذلك بإشارة أبي عبيدة إلى أن عليه ذنباً وأن ما أصابه من مرض هو من باب تكفير هذه الذنوب.

* * *

أبو هريرة رضي الله عنه

نبذة عن حياته :

١ - نسبه والتعريف به :

أبو هريرة هو: عبد الرحمن بن صخر من ولد ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس اليماني، فهو دوسي نسبة إلى دوس بن عُدْثان ابن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر وهو شنوءة بن الأزد، والأزد من أعظم قبائل العرب وأشهرها، تنتسب إلى الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن كهلان من العرب القحطانية^(١).

ولأبي هريرة أخ يقال له «كريم»، وابن عمه أبو عبد الله الأغر، وخال أبي هريرة سعد بن صبيح بن الحارث بن سابي بن أبي صعب بن هُنَيْة، كان في الجاهلية لا يأخذ أحداً من قريش إلا قتله بأبي أزيهر الدوسي، وكان أبو أزيهر قد قتله هشام بن المغيرة المخزومي لمطله إياه بمهر أخته^(٢).

كان اسم أبي هريرة في الجاهلية عبد شمس - وقيل غير ذلك -

(١) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٥٨ و٣٦٠ و٣٦١، والاستيعاب ص ١٧٦٨ ج ٤، وتاريخ ابن خلدون ص ٢٥٣ ج ٢، ونهاية الإرب ص ٩١ و٢٥٣، ومعجم قبائل العرب القديمة والحديثة ص ٣٩٤ ج ١، وص ١٥ - ١٦ ج ١.

(٢) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٠، وتاريخ دمشق لابن عساكر ص ٤٤٤ ج ٤٧.

فسماه رسول الله ﷺ عبد الرحمن. وأمه ميمونة بنت صبيح، وقيل أميمة^(١).

وسئل أبو هريرة: لم كُنيت بذلك؟ قال: كُنيتُ أبا هريرة: لأنني وجدت هرة فحملتها في كُمِّي، فقيل لي: أبو هريرة. وروي عنه أنه قال: وجدت هرة وحشيّة، فأخذت أولادها فقال لي أبي: ما هذه في حجرك؟ فأخبرته، فقال: أنت أبو هريرة.

وقد كان يرعى غنم أهله وهو صغير، ويداعب هرته في النَّهار، فإذا جنّ الليل وضعها في شجرة، حتى إذا كان النهار أخذها ولعب بها، وفي صحيح البخاري أنّ النبي ﷺ قال له: «يا أبا هر» كما ثبت أنه قال له: «يا أبا هريرة» وكان يقول: لا تكنوني أبا هريرة، فإن النبي ﷺ كناني أبا هر. والذكر خير من الأثى.

إسلامه وهجرته :

كان الطفيل بن عمرو الدوسي رجلاً شريفاً شاعراً مليئاً كثير الضيافة؛ وكانت قريش تعرف منزلته في قومه، وما إن عرفت قدومه إلى مكة بعد نبوة النبي ﷺ حتى انطلق إليه نفر منها يقولون له: إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وفرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ٥٢ قسم ٢ ج ٤، وتذكرة الحفاظ ص ٣١ ج ١، وسير أعلام النبلاء ص ٤١٨ ج ٢ وتهذيب التهذيب ص ٢٦٢ ج ١٢، والبداية والنهاية ص ١٠٣ ج ٨.

الرجل وأبيه.. أرادوا بهذا أن يصدوه عن الإسلام، واقتنع الطفيل بقولهم ونوى ألا يسمع لرسول الله ﷺ حتى لا يؤخذ بسحره كما ادعوا... وذهب الطفيل إلى الكعبة وإذا برسول الله ﷺ يصلي، فسمع كلامه فأعجب به، وأبى الله إلا أن يفتح قلبه للإيمان، وذهب مع الرسول الكريم إلى داره فعرض عليه الإسلام، وتلا عليه القرآن، وطلب من الرسول أن يدعو له، وأن يجعل الله له عوناً في حمل الإسلام إلى قومه ودعوتهم إليه، فقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ اجعل له آية» فوقع له نور بين عينيه، فقال: يا رسول الله أخشى أن يقول قومي هي مثلة، فرجع النور إلى طرف سوطه وكان يضيء في الليل، ولهذا لقب بذي النور.

وعاد الطفيل إلى قومه فدعا أبويه إلى الإسلام، فأسلم أبوه ولم تسلم أمه، ودعا قومه فأجابه أبو هريرة وحده وأبطأ قومه...»^(١).

هكذا أسلم أبو هريرة قديماً وهو بأرض قومه، على يد الطفيل بن عمرو، وكان ذلك قبل الهجرة النبوية، وأما هجرته من اليمن إلى المدينة فقد كانت في ليالي فتح خيبر.

وقد لازم النبي ﷺ إلى آخر حياته، وقصر نفسه على خدمته، وتلقى العلم الشريف منه ﷺ، فكان يدور معه ويدخل بيته، ويحج ويغزو معه، يده في يده، يرافقه في حله وترحاله، في ليله ونهاره، حتى حمل عنه العلم الغزير الطيب.

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ١٧٦ قسم ١ ج ٤، والإصابة ص ٢٨٧ ج ٣ ترجمة «الطفيل ابن عمرو الدوسي»، وجمهرة أنساب العرب ص ٣٦١.

إسلام أمه:

أسلم أبو هريرة وهاجر إلى الرسول ﷺ، إلا أن أمه بقيت على الشرك، وكان يدعوها إلى الإسلام فلا تستجيب، وأصابه من الهم والحزن ما أصابه، كلما دعاها إلى الإسلام تأبى عليه، فيزداد همّه وحزنه.

وفي يوم دعاها إلى الإسلام فأسمعته في رسول الله ﷺ ما يكره، وهنا نفسح لأبي هريرة المجال ليحدثنا عما في نفسه، فيقول: جئت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أدعو أم أبي هريرة إلى الإسلام فتأبى عليّ، وإني دعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله أن يَهْدِيَّ^(١) أم أبي هريرة إلى الإسلام، ففعل. فجئت البيت، فإذا الباب مُجَافٍ، وسمعت خضخضة الماء^(٢)، وسمعت حسي، فقالت: كما أنت^(٣)، فلبست درعها، وعجلت عن خمارها، ثم قالت: أدخل يا أبا هريرة، فدخلت، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فجئت أسعى إلى رسول الله ﷺ أبكي من الفرح، كما بكيت من الحزن، فقلت: أبشر يا رسول الله، فقد استجاب الله دعوتك، قد هدى الله أم أبي هريرة إلى الإسلام، ثم قلت: يا رسول الله ادع الله أن يُحِبِّبَنِي وَأُمِّي إِلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَإِلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ،

(١) يريد بها أن يميل قلب أم أبي هريرة إلى الإسلام.

(٢) طبقات ابن سعد: ٤: (٥٥/٢) والبداية والنهاية (١٠٤/٨).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤٢٨/٢).

فقال: اللهم حبب عبيدك هذا وأمه إلى كل مؤمن ومؤمنة، فليس يسمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبني^(١).

لقد فرح أبو هريرة بإسلام أمه فرحاً شديداً، وبقي وفياتها، باراً بها، يخدمها كل حياتها، ولم يفارقها أبداً، حتى أنه لم يحج حتى ماتت لصحتها^(٢).

أسرته

كان أبو هريرة قد تزوج من بسرة بنت غزوان، أخت الأمير عتبة ابن غزوان الصحابي المشهور (٤٠ ق. هـ - ١٧ هـ)^(٣)، وذلك بعد وفاة رسول الله ﷺ على الأرجح، وكثيراً ما كان يشكر الله عز وجل ويحمده على زواجه منها^(٤).

وأما أولاده فهم أربعة: ثلاثة ذكور: المحرّر، وعبد الرحمن، وبلال^(٥)، وبنت لم يذكر لنا التاريخ اسمها^(٦).

وقد توفي المحرر بن أبي هريرة بالمدينة في خلافة عمر بن

(١) طبقات ابن سعد ٤: (٥٥/٢) والبداية والنهاية (١٠٤/٨). سير أعلام النبلاء (٢/٤٢٨).

(٢) طبقات ابن سعد ٤: (٥٥/٢) سيظهر حبه لأمه في الفقرة (فقره وعفاهه) وفي (قبس من أدبه وأخلاقه).

(٣) انظر الأعلام ص ٣٦٠ ج ٤.

(٤) انظر سير أعلام النبلاء ص ٤٤١ ج ٢.

(٥) انظر جمهرة أنساب العرب ص ٣٦٠.

(٦) انظر حلية الأولياء ص ٣٨٠ ج ١، والبداية والنهاية ص ١١١ ج ٨.

عبدالعزیز، وكان قد روى عن أبيه، وعن عمر بن الخطاب مرسلًا، وعن عبد الله بن عمر، وروى عنه ابنه مسلم، وابن شهاب الزهري، وعامر الشعبي، وابن عقيل، وعطاء، وعكرمة، ومصعب، وعبد الله بن محيريز، وغيرهم، وكان قليل الحديث^(١).

مرض أبي هريرة ووفاته:

مرض أبو هريرة فعاده مروان بن الحكم، وقال له: شفاك الله يا أبا هريرة، فقال: اللّهُمَّ إني أحب لقاءك، فأحب لِقائِي، فما بلغ مروان القطنين حتى مات^(٢).

وقد اختلف في وفاته على أقوال:

قال هشام بن عروة: إن عائشة وأبا هريرة ماتا سنة سبع وخمسين، وهو رأي المدائني وعلي بن المديني.

وقيل: صَلَّى عليه الأمير الوليد بن عتبة بعد العصر وشيَّعه ابن عمر، وأبو سعيد، ودفن بالبقيع.

قال أبو معشر: توفي سنة ثمان وخمسين^(٣).

(١) انظر طبقات ابن سعد ص ١٨٨ ج ٥، وتهذيب التهذيب ص ٥٥ ج ١٠.

(٢) تاريخ الإسلام (٣٣٩/٢). وفي طبقات ابن سعد: فما بلغ مروان أصحاب القطا حتى

مات: ٤ (٦٢/٢). وكذلك في سير أعلام النبلاء (٤٤٨/٢). وفي البداية والنهاية (٨/

١١٤) «فما بلغ مروان أصحاب القطن». ومفهوم أنه سوق القطنين. روي بأسانيد مختلفة

منها مالك عن المقبري وهو صحيح، وانظر ابن عساكر ص ٥٣٤ و٥٣٥ ج ٤٧.

(٣) انظر البداية والنهاية (٨/١١٤)، وتاريخ الإسلام (٣٣٩/٢)، وطبقات ابن سعد: ٤

(٦٤/٢)، وسير أعلام النبلاء (٤٤٩/٢).

قال الواقدي وأبو عبيد: مات سنة تسع وخمسين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة، وقد صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين وعلى أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين، ثم توفي بعد ذلك فيها.

* * *

المواقف الأسرية في حياة أبي هريرة رضي الله عنه

الموقف الأول: برّه بأمه:

روى ابن حبان بسنده أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: «ما خلق الله مؤمناً يسمع بي ولا يراني إلا أحبني، قيل وما علمك بذلك يا أبا هريرة؟ قال: إنَّ أُمِّي كانت مشركة، وإنِّي كنت أدعوها إلى الإسلام، وكانت تأبى عَلَيَّ، فدعوته يوماً، فأسمعتني في رسول الله ما أكره، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أبكي، فقلت يا رسول الله إنني كنت أدعو أُمِّي إلى الإسلام، وكانت تأبى عَلَيَّ، وإنِّي دعوتها اليوم، فأسمعتني فيك ما أكره، فادع الله تعالى أن يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هَرِيرَةَ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هَرِيرَةَ» فخرجت أعدوا لأبشرها بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما أتيت الباب، إذا هو مجاف، وسمعت خضخضة الماء، وسمعت خشف قدميَّ، فقالت: يا أبا هريرة كما أنت، ثم فتحت الباب وقد لبست درعها، وعجلت عن خمارها، فقالت إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قال: فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبكي من

الفرح كما بكيت من الحزن، فقلت يا رسول الله أبشر، فقد استجاب الله دعائك، وقد هدى أم أبي هريرة. وقلت يا رسول الله: ادع الله تعالى أن يحبني وأمي إلى المؤمنين وتحبهم إلينا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم حب عبيدك هذا وأمه إلى عبادك المؤمنين»^(١) فما خُلِقَ من مؤمن يسمع بي ولا يراني أو يرى أُمِّي إلا وهو يحبني.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق: -

المفهوم الأول: حرص المسلم على برِّ والديه:

ينبغي على المسلم أن يحرص على برِّ والديه، وهذا البرُّ مطلوبٌ لذاته؛ امتثالاً لأمر الله عز وجل للمحافظة على الترابط الأسري؛ لتستقيم الحياة قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾^(٢).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: «أي العمل أحب إلى الله ورسوله؟» قال: «الصلاة على وقتها». قلت: ثم أي؟ قال: «بر الوالدين»، قلت: ثم أي؟ قال: «الجهاد في سبيل الله»^(٣).

(١) صحيح ابن حبان ج ١٦/١٠٩٧، صفة الصفوة ج ١/٢٢٤، ط. دار ابن خلدون، وابن عبد البر في الإصابة (١٥٧٣)، ط. بيت الأفكار الدولية بيروت - لبنان، ومسلم كتاب فضائل الصحابة شرح النووي ج ١٦/٧٧ (٢٤٩١).

(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية: (٢٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلاة لوقتها، فتح الباري، ج ٩/٢ ح

وقد ضرب سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه أروع الأمثلة في هذا البرّ حيث دعا أمّه إلى الإيمان بالله ورسوله حتى تنجو من عذاب الآخرة، وبالرغم من أنّها كانت تصدّه صداً منكراً، وتؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله بلسانها إلا أنه صبر على ذلك حتى هداها الله إلى الإسلام.

وقد ظل أبو هريرة رضي الله عنه باراً بأمّه، فكان كلما أراد الخروج من البيت وقف على باب حجرتها وقال: السلام عليك يا أمّاه ورحمة الله وبركاته. فتقول: وعليك السلام يا بني ورحمة الله وبركاته. فيقول: رحمك الله كما ريبتني صغيراً. فتقول: ورحمك الله كما برزت بي كبيراً. ثم إذا عاد إلى بيته فعل مثل ذلك.

وقد كان رضي الله عنه يحرص أشد الحرص على دعوة الناس إلى برّ آبائهم، وصلة أرحامهم، فقد رأى ذات يوم رجلين أحدهما أسنّ من الآخر يمشيان، فقال لأحدهما: «ما هذا منك؟ قال: أبي. فقال: لا تسمه باسمه، ولا تمش أمامه ولا تجلس قبله»^(١). رحم الله أبا هريرة لقد علمنا دروساً في البرّ.

المفهوم الثاني: حب رسول الله صلى الله عليه وآله وتحمل الأذى في ذلك:

ينبغي على المسلم أن يقدم الله ورسوله بالحب والولاء على غيرهما قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢). وقال صلى الله عليه وآله: «ثلاث من

(١) تحذير الخواص ص ٥١.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٣١).

كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهُ . وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ إِلَى الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^(١) .

ولقد تفانى سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه في حب الله ورسوله وتقديمهما على نفسه، ذلك حينما كان يدعو أمه إلى الإسلام، فكانت تسمعه في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يحب أن يسمعه، ومع ذلك كان يدعو لها بالهداية، ويتفانى في ذلك بالبكاء، وطلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو الله لها بالهداية إلى أن تم له ذلك، فكان في منتهى الفخر؛ لهداية أمه إلى الإسلام.

المفهوم الثالث: مشروعية برّ الوالدين حتى ولو كانا كافرين:

ينبغي للمسلم أن يبر والديه حتى ولو كانا غير مسلمين، وذلك؛ لأن مقام الأبوة في الإسلام عظيم، يجب أن يُحترم ويُقدَّس، ولذلك قرن الله سبحانه وتعالى برّ الوالدين والإحسان إليهما أياً كانوا بطاعته قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾^(٢) وقد جاءت السيدة أسماء بنت أبي بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله عن صلة أمها وهي مشركة فقال لها صلى الله عليه وسلم: «نعم صلي أمك»^(٣) .

(١) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، فتح الباري، ج ٦٠/١ ح (١٦).

(٢) سورة لقمان، الآية: (١٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم - باب حفظ العلم - ح ١١٨، ١١٩.

ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه وصالاً لأمه قبل إسلامها، يدعو لها الله بالهداية والسلام، حتى استجاب الله دعاءه.

الموقف الثاني: تنشئة أهله وجواريه على تقوى الله عز وجل:

فقد كان سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه مع وفرة علمه وسماحة نفسه تقياً ورعاً يصوم النهار، ويقوم ثلث الليل، ثم يوقظ زوجته فتقوم ثلثه الثاني، ثم توقظ هذه ابنتها فتقوم ثلثه الأخير، فكانت العبادة لا تنقطع في بيته طوال الليل رضي الله عنه (١).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

مسؤولية الرجل نحو أسرته:

لقد بيّن الإسلام المسؤوليات ووزع الأدوار على كل فرد في المجتمع، حتى ينشأ نشأة سوية، يُطبّق الإسلام في كل نواحي الحياة أياً كانت، قال صلى الله عليه وآله: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راع في بيته ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والعبد راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته» (٢). وقال صلى الله عليه وآله: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع» (٣).

(١) البداية والنهاية ج ٨/١١٠، سير أعلام النبلاء ج ٢/٤٣.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة باب الجمعة في القرى والمدن (فتح الباري) ج ٢/٣٧٩.

(٣) سنن النسائي الكبرى ٥/٣٧٤ ح (٩١٧٤)، صحيح ابن حبان ١٠/٣٤٤ ح (٤٤٩٢) حلية الأولياء ٩/٢٣٥.

ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه نموذجاً فذاً في تطبيق هذه المسؤولية تجاه نفسه وابنته، وكانت ابنته تقول له: يا أبت، إن البنات يعيرنني، يقلن: لِمَ لا يحليك أبوك بالذهب؟ فيقول: يا بنية قللي لهم إن أبي يخشى عليّ حر اللهب»^(١).

ولم يكن امتناع أبي هريرة عن تحلية ابنته ضناً بالمال أو حرصاً عليه، فقد كان رضي الله عنه جواداً سخياً في سبيل الله، فقد بعث إليه مروان مائة دينار ذهباً، فلما كان الغد أرسل إليه يقول: إن خادمي غلط فأعطاك الدنانير وأنا لم أردك، وإنما أردت غيرك، فقال أبو هريرة: أخرجتها في سبيل الله، ولم يبت عندي منها دينار، فإذا خرج عطائي فخذها منه. وإنما فعل مروان ذلك ليختبره.

الموقف الثالث: معاملته لخدمه:

كان لأبي هريرة رضي الله عنه خادمة زنجية قد غمته بعملها فرفع عليها السوط يوماً ثم قال: لولا القصاص يوم القيامة لأغشيت به؛ ولكني سأبيعك ممن يوفيني ثمنك، أحوج ما أكون إليه، إذهبي فأنت حرة»^(٢).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

يستفاد من هذا الموقف أنه يجب على المخدمين أن يكونوا رحماً بخدمهم، ويخافون ربهم في معاملتهم، فلا يضربوهم ولا يعنفوهم، وإذا أرادوا تأديبهم فليكن برفق ولين، وإذا غضبوا منهم

(١) انظر حلية الأولياء، ج ١/٣٨٠، والبداية والنهاية ج ٨/١١١.

(٢) السابق ج ١/٣٨٤، والبداية والنهاية ج ٨/١١٢.

فليكن غضبهم في حدود العدل والعرف، وإذا أرادوا معاقبتهم على تقصير فليراعوا ربهم ويعفوا عنهم، فإن في العفو جبر للخواطر، واستمالة للقلب، وإذهاب للكره والحققد.

الموقف الرابع: اعترافه بنعمة الإسلام عليه واعتزازه به:

إن المسلم الذي يقدر نعمة الله عليه يشكره على أن هداه للإسلام وهذه النعمة من أجل النعم، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾^(١)، ولقد كان أبو هريرة رضي الله عنه شاكراً لنعمة ربه، وربى أولاده وأهله على هذه الفضيلة، فقد قال رضي الله عنه وكثيراً ما كان يردد: «نشأت يتيماً، وهاجرت مسكيناً، وكنت أجيراً لبسرة بنت غزوان بطعام بطني، فكنت أخدم القوم إذا نزلوا، وأحدو لهم إذا ركبوا فزوجنيها الله فالحمد لله الذي جعل الدين قواماً وصير أبا هريرة إماماً»^(٢).

لقد كان رحمه الله قدوة في نفسه وقدوة لأهل بيته، وأسوة يتأسى بها المسلمون بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورعاً تقياً عالماً، نفسه سمحة، صواماً قواماً لا تنقطع العبادة في بيته، فهو أكثر الصحابة رواية، فقد بلغ مسنده أربعة وسبعين وثلاثمائة وخمسة آلاف حديث (٥٣٧٤)، فجزاه الله خيراً عن أهله وأمه حفظ للمسلمين ما يزيد على ألف وستمائة وتسعة من أحاديث رسول الله وجزاه عن المسلمين خيراً.

(١) سورة الحجرات، جزء من الآية: (١٧).

(٢) طبقات ابن سعد (٣٢٦/٤).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :

لا شك أن كل نعمة يقابلها الشكر المكافئ لها، ونعمة الإسلام من أكبر النعم التي تفضل رب العزة سبحانه بها على عباده ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(١). والشكر المطلوب في هذا المجال هو الشكر المتجدد الموصول الذي لا ينقطع خاصة عند المقارنة بما لدى الممل الأخرى من تصورات وقيم وموازين تتناقض مع الفطرة السليمة والفكر الراشد.

فضلاً عن تأصيل هذه المعاني العظيمة لكي تكون أسلوب حياة لدى المسلم ولدى المجتمع، بما تتمثل فيها من نماذج الرحمة والإخاء، والعدل والحرية، وكلها تنتسب إلى هذا الدين العظيم.

إن البشرية في حاجة دائمة إلى من يذكرها بالرسالة الخاتمة «الإسلام» وبالرسول الخاتم «محمد صلى الله عليه وآله وسلم»، وعلى المسلمين أن يكونوا أهلاً لحمل هذه الأمانة وإبلاغها للعالم بالحكمة والموعظة الحسنة ويتوقف دور المسلم عند هذا البلاغ «إن عليك إلا البلاغ» وهنا تكمن روح المسؤولية، وفي الوقت نفسه الاعتراف بالآخرين وحقهم في الاختبار دون قهر أو قسر. وهنا أيضاً يبرز جمال الإسلام ونعمته التي يحتاجها الجميع.

(١) سورة المائدة، جزء من الآية: (٣).

أروى بنت عبد المطلب ﷺ

نبذة عن حياتها:

اسمها ونسبها:

هي أروى بنت عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي،
وأما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم.

وعبدالمطلب كان له ست بنات هنَّ أم حكيم وتسمى البيضاء،
وعاتكة، وبرّة، وأميمة، وأروى، وهؤلاء الخمس أمهَنَّ فاطمة
المخزومية، أما صفية فأُمُّها زهرية.

قال ابن عبد البر رحمه الله: «وأهل النَّسب لا يعرفون
لعبدالمطلب بنتاً إلا من المخزومية إلا صفية وحدها فإنها من
الزهرية»^(١).

اجتمع لها شرف النَّسب من جهة أبيها وأمها، فأبوها عبدالمطلب
ابن هاشم، وبنو هاشم هؤلاء مصطفون من قِبَل الله تعالى، كما ورد
في الحديث الصحيح، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه
بسند إلى واثلة بن الأسقع رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:
«إن الله اصطفى كنانة من ولدِ إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة،
واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»^(٢).

(١) الاستيعاب على هامش الإصابة (١٢/١٩٥).

(٢) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ، والترمذي في تاب المناقب،
باب في فضل النبي ﷺ، وقال حسن صحيح. وأحمد في المسند (٤/١٠٧).

وأما من بني مخزوم وهم من أعلى قريش شأناً، «ولا ننسى في إثبات ذلك قصة المرأة المخزومية التي سرقت، وأرادوا درء الحد عنها لشرفها، والحديث صحيح مشهور»^(١).

زواجها وأولادها:

تزوجت أروى مرتين، وأنجبت من كلا الرجلين، قال ابن سعد رحمه الله: «تزوجها في الجاهلية عمير بن وهب بن عبد مناف بن قُصي فولدت له طُليبا، ثم خلف عليها (أي: تزوجها بعده) أرطاة ابن شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار، فولدت له فاطمة»^(٢).

وقال ابن حجر في الإصابة: «ثم خلف عليها كilde بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قُصي فولدت له أروى»^(٣) وكذلك قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى.

فهناك خلاف في زوجها الثاني، واسم البنت التي أنجبها هل هي فاطمة أو أروى.

إسلامها:

قال ابن سعد رحمه الله بعد أن ذكر أزواجها وأولادها: «ثم

(١) رواه البخاري في كتاب الحدود باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ومسلم في تاب الحدود باب النهي عن الشفاعة في الحدود.

(٢) الطبقات الكبرى (٤٢/٨).

(٣) الإصابة (١٠٩/١٢).

أسلمت أروى بنت عبدالمطلب بمكة وهاجرت إلى المدينة»^(١)، فجزم رحمه الله بإسلامها وهجرتها ﷺ .

أما ابن إسحاق فيقول: «إنه لم يُسلم من عمات النبي ﷺ إلا صفة» .

وذكرها أبو جعفر العقيلي في الصحابة فجزم بإسلامها، وكذلك ذكرها ابن حجر في الإصابة في القسم الأول من حرف الألف من النساء، ومعنى ذلك أنه ترجح له القول بصحتها. وذكرها ابن عبد البر في الاستيعاب وقال: «فأما محمد بن إسحاق ومن قال بقوله فذكر أنه لم يُسلم من عمّات رسول الله ﷺ إلا صفة، وغيره يقول: إنَّ أروى وصفة أسلمت جميعاً من عمّات رسول الله ﷺ»^(٢) .

وقال ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد بعد أن ذكر عمّات النبي ﷺ: «أسلم منهنَّ صفة واختلف في إسلام عاتكة وأروى، وصحح بعضهم إسلام أروى»^(٣) .

وذكرها الذهبي رحمه الله في السّير فقال: «تزوجها عمير بن وهب فولدت له طليبا، ثم خلف عليها أرطأة فولدت له فاطمة، ثم أسلمت أروى وهاجرت، وأسلم ولدها طليب في دار الأرقم . . روى هذا ابن سعد»^(٤) .

(١) الطبقات الكبرى (٤٢/٨).

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة (١٢/١٩١، ١٩٢).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٢٥/١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٢/٢٧٢).

فنقل قول ابن سعد على الجزم بإسلامها، ولم يذكر الخلاف
الوارد في ذلك فهو قد جزم بإسلامها.

فالصحيح من أقوال أهل العلم - كما تبين من النقول السابقة -
أنها أسلمت وهاجرت رضي الله عنها وأرضاها.

وفاتها:

لم تذكر الكتب سنة وفاتها، كما أنها ليست لها رواية عن النبي
ﷺ، لكن يبدو أنها عاشت بعد النبي ﷺ، فقد ذكر ابن حجر لها بيتين
في رثاء النبي ﷺ مما يدل على أنها أدركت وفاة النبي ﷺ وهما: -
أَلَا يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَاءَنَا وَكُنْتَ نَبِيًّا بَرًّا وَلَمْ تَكُ جَافِيَا
كَأَنَّ عَلَى قَلْبِي لَذِكْرٍ مُحَمَّدٍ وَمَا جَمَعْتُ بَعْدَ النَّبِيِّ الْمَجَاوِيَا^(١)
رضي الله عنها وأرضاها وتقبلها عنده في الصالحات.

* * *

(١) الإصابة (١٢/١١٠)، والمجاوي جمع جِوَاء بوزن كتاب، والمعنى ما يوضع عليه
القدور من النار يعني أن قلبها اشعل ناراً لفراق النبي ﷺ.

المواقف الأسرية في حياة أروى عليها السلام :

الموقف الأول: أروى عليها السلام مع ابنها طليب بن عمير وإسلامها:

ذكر العلماء قصة إسلامها فقالوا: «لَمَّا أَسْلَمَ طَلِيبُ بْنُ عَمِيرٍ فِي دَارِ الْأَرْقَمِ دَخَلَ عَلَى أُمِّهِ أَرْوَى بِنْتِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، فَقَالَ لَهَا: قَدْ أَسْلَمْتُ وَتَبِعْتُ مُحَمَّدًا فَمَا يَمْنَعُكَ يَا أُمَّيْ مِنْ أَنْ تَسْلَمِي وَتَتَّبِعِيهِ، فَقَدْ أَسْلَمَ أَخُوكَ حَمْزَةَ، فَقَالَتْ: أَنْظُرْ مَا يَصْنَعُ أَخَوَاتِي ثُمَّ أَكُونُ إِحْدَاهُنَّ، فَقَالَ لَهَا طَلِيبٌ: فَإِنِّي أَسْأَلُكَ بِاللَّهِ إِلَّا أَتَيْتَهُ فَسَلِمْتَ عَلَيْهِ وَصَدَّقْتِيهِ، قَالَتْ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: حرص الأبناء على الآباء والأمهات ودعوتهم إلى الإسلام فهو خير الأديان، وأحق ما يُسارع إليه أي إنسان في الدنيا، فهو قد برَّ بأُمَّه حين أنعم الله عليه بالإسلام وذاق قلبه طعمَ الإيمان، فبادر بدعوة أُمَّه إلى ذلك الدين العظيم الذي هو سبيل الفوز بالجنة والنَّجاة من النار، وهو الدين المعتمد عند الله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ

(١) روى هذه القصة ابن سعد في الطبقات الكبرى وذكرها ابن حجر في الإصابة (١٢/

١١٠) وغيرهما.

عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ^(١)، ولن يقبل الله من عباده سواه ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ عَيْرَ
الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٢).

ومن هنا فإن على كل ابن مسلم أن يكون باراً بوالديه، وأن يكون
ناصحاً أميناً، وأن يأخذ بحجزهما عن النار، وأن يكون عوناً لهما على
طاعة الله ومرضاته، وألا يكون عنتاً ومشقة عليهما، بل رحمة وخيراً
لهما.

المفهوم الثاني: هذا الأسلوب الدعوي الرشيد الحنون المؤثر
الذي اتبَعَهُ الولد في دعوة والدته فلم يستعمل معها أسلوباً فظاً
غليظاً، بل قال لها: «وما يمنعك يا أمي أن تُسلمي»، ثم رَغَبَهَا في
ذلك بأن ذكر لها إسلام أخيها حمزة أسد الله ﷺ، وذلك لكي
يُبينَ لها أنه قد سبقها بعض إخوتها إلى ذلك، ولكي يزيل ما في
قلبها من خوف أو تردد؛ خشية أن تكون هي الوحيدة من بين أولاد
أبيها التي انفردت بالإسلام، ثم هو قد أقسم عليها في حُجُوِّ بالغ ظاهر
بغير إجبار أو إكراه بأن تسارع بالدخول في الإسلام، فحقَّقَ الله له
رجاءه، فدخلت أمه في الإسلام طواعية، بل كانت تدعو إليه كما
سنذكر.

وهكذا نتعلم أن الأسلوب اللين الرقيق أبلغ في التأثير من
الأسلوب الجافي الخشن، وإذا كان الله تعالى قد طلب من موسى

(١) سورة آل عمران، جزء من الآية: (١٩).

(٢) سورة آل عمران، الآية: (٨٥).

ﷺ أن يدعو فرعون، وهو أطفى أهل الأرض باللين والحسنى، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١)، فمن باب أولى أن يكون ذلك هو أسلوب الدعوة مع أولي القربى وخصوصاً الأب والأم. بل مع غيرهم من الناس جميعاً.

المفهوم الثالث: عدم التسويف في الخير وتأجيل الاستجابة إلى الحق، فبمجرد أن أسلم دعا أمه، ثم طلب إليها ألا تتأخر في الاستجابة للإيمان مهما كانت العلة لذلك التأخير، ونحن في الحقيقة محتاجون لأن نأخذ بذلك الأسلوب في حياتنا بشكل عام، وفي دعوتنا على الخصوص فلا نُسوِّف ولا نُؤجِّل، فإن العمر قد لا ينتظر، فمثلاً قد يؤخر الإنسان القيام بالحج بعد أن توفرت له الاستطاعة وتحققت عنده شروطها، فلماذا التأخير؟ وقد لا تأتي الفرصة؟ وقد تتغير الإمكانيات وغير ذلك، والتطبيقات العملية لهذا الأمر يأخذ صوراً كثيرة جداً.

كما علينا ألا نتوقف عن مساعي الخير وبذل المعروف؛ انتظاراً لتوفر الإمكانيات مثلاً، أو حتى يأتي معنا الآخرون، فطُلبَ أقسم على أمه بالمسارعة إلى الاستجابة لطلبه، ولا تنتظر حتى تراجع أخواتها، فلم يرَ لهذا التأخير مبرراً، فأقسم عليها واستجابت لطلبه.

إن كثيراً من الناس يقول: وماذا عساي أن أفعل وحدي؟ وأين هي الإمكانيات المتاحة؟ إن النبي ﷺ لم يعتذر أبداً في موقف من المواقف

(١) سورة طه، الآية: (٤٤).

بقلة الإمكانيات؛ وقد وضح ذلك في الهجرة وفي الغزوات، وفي بناء المساجد، بل في كل أموره ﷺ لم يسوف ولم يؤجل ولم ينتظر توفّر الإمكانيات الكاملة، بل أسرع بالعمل فوفقه الله تعالى وأيده، كما أنه كان يبدأ وهو يدعو حتى يقتدي الآخرون به.

إن على كل واحد منا أن يتصرّف كما لو كان هو المسؤول الأوحد عن هذا الدين الحنيف فيسرع بالعمل والدعوة، وهو في أثناء عمله هذا يدعو الآخرين؛ لينضموا إليه فتزداد القوة، ويعلو البيان، وتتوطد الأركان ويقوم البناء، بل ربّما كانت المسارعة إلى العمل هي المحفّز للآخرين فيقتدوا به حين يرون صدقه وإخلاصه وثمرة عمله بإذن الله.

الموقف الثاني: مساندتها لابن أخيها (الرسول ﷺ):

بعد أن اقتنعت ودخلت في الإسلام ماذا فعلت؟ تقول الرواية: «ثم كانت تُعضدُ النبي ﷺ بلسانها، وتحض ابنها على نُصرتِهِ والقيام بأمرِهِ» بل إنها قالت لابنها حين أخبرها بإسلامه قالت له - حتى قبل أن تعلن إسلامها - : «إِنَّ أَحَقَّ مِنْ آرْزَتْ وَعَضَّدْتَ خَالِكَ (تقصد النبي ﷺ) وَاللَّهِ لَوْ كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الرَّجَالُ لَتَبِعْنَاهُ وَدَبَّيْنَا عَنْهُ»^(١).

(١) ذكر ذلك كل المصادر التي ذكرناها في ترجمتها.

المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف:

المفهوم الأول: لم تكنف أروى بإسلامها بل كانت تُعَضِّد النبي ﷺ بلسانها، وهذا واجب على كل مسلم أن ينصر هذا الدين، وأن يُؤَيِّده وأن يُدافع عنه بكل وسيلة تمكنه، وبكل ما يقدر عليه من إمكانات.

إن نصرة النبي ﷺ حق له على كل مسلم، سيحاسب إن هو قَصَرَ في تلك النصرة، قال تعالى: ﴿فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

فالفلاح محقق ومعقود لمن آمن بالنبي ﷺ ولم يتوقف عند هذا الإيمان، بل عزَّره أي وقَّره واحترمه وعظَّمه ونصَّره واتَّبَعَ النور الذي أنزل معه، أي نور القرآن الكريم وسنة النبي ﷺ.

ولقد مدح الله المهاجرين الذين نصرُوا رسول الله ﷺ: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾^(٢).

ولقد تَمَنَّى ورقة بن نوفل أن ينصر النبي ﷺ إن أدركه يومه، كما ورد في حديث طويل قول ورقة: «وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا»^(٣).

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية: (١٥٧).

(٢) سورة الحشر، الآية: (٨).

(٣) البخاري كتاب بدء الوحي باب رقم: ٣.

كما كانت بيعة العقبة الثانية على أن يُؤوُوا رسول الله ﷺ وينصروه ويمنعوه ممّا يمنعون منه نساءهم وأولادهم؛ ولذلك سموا بالأنصار رضي الله عنهم واحتلوا مكانة عظيمة لهذا السبب.

فالواجب على كل مسلم أن ينصر رسول الله ﷺ وهو حي، فإذا انتقل إلى الرفيق الأعلى كانت النصره لدينه وسنته مستمرة إلى يوم القيامة.

المفهوم الثاني: في قولهم: «ثم كانت تُعَضد النبي ﷺ بقوله، وتحضُّ ابنها على نُصْرَتِهِ والقيام بأمره» وفي قولها: «والله لو كُنّا نقدر على ما يقدر عليه الرجال لتبعناه ودَبَّينا عنه».

أقول: في هذين القولين دليل على أن نصره هذا الدين تكون بكل وسيلة ممكنة، فالذي يقدر بلسانه يفعل كما كانت أروى تعضده بقولها، والذي يستطيع بيده يفعل فإنّها قد تَمَّت أن تقدر على ما يقدر عليه الرجال؛ لتذب عنه بعد أن تتبعه، إنه لا يسع أحد من المسلمين أن يقصّر في نصره هذا الدين بكل ما يستطيع، ولا يعتذرن معتذر بأنه لا يستطيع أو لا يقدر، فإنه لو فَتَّش كل واحد منّا عن مكانم القدرة لديه فسيجد أنه يستطيع الكثير، والمطلوب أن تبدأ المسألة عنده بوعيه وبصره وإحاسه بمسؤوليته تجاه هذا الدين الحنيف، الذي هو أجل نِعَم الله على عباده.

والرائع في هذا الدين الحنيف، ومن وجوه العظمة فيه أنه لا يطلب من أحدٍ فوق ما يستطيع، بل إن مبني التكاليفات الشرعية

كلها على الاستطاعة ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾^(١).

ومن ثم فإن علينا أن نهب جميعاً لنُصْرَةَ هذا الدين العظيم وأن تتكاتف جهودنا جميعاً في سبيل ذلك، خصوصاً في هذا الزمان الذي تداعت فيه أمم الأرض جميعاً على أمة الإسلام، كما تتداعى الأكلة على قصعتها.

المفهوم الثالث: أن أروى لم تكتفِ بِنُصْرَةِ هذا الدين وتأييده بنفسها، بل حثت ابنها على نصرته والقيام بأمره.

نعم لا بد أن نُحِثَّ الآخرين وندعوهم إلى القيام بنصرة هذا الدين بعد أن نعطيهم القدوة من أنفسنا في ذلك، ولا نخشى على أولادنا بأساً في هذا الصدد، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يتنافسون مع أولادهم في خدمة هذا الدين ونصرته والجهاد في سبيل الله.

إن كثيراً من الآباء يدفعهم الخوف على أبنائهم من التعرض للأذى، أو البطش فيكفونهم عن القيام بدورهم في خدمة هذا الدين، وها هي أروى تُقَدِّم لنا القدوة في تربية ولدها على نُصْرَةِ الدِّينِ وتمتدح هذا الفعل منه، في زمن كانت تعلم ما ينزله الكفار من العذاب والبأس على المسلمين، فلم تخف على ولدها فأعطتنا الدرس إلى يوم الدين، فله درُّها، وجعل ذلك في موازين حسناتها يوم العرض على رب العالمين.

(١) سورة البقرة، جزء من الآية: (٢٨٦).

الموقف الثالث: تأييدها لولدها في دفاعه عن الرسول ﷺ :

ذكرت كتب التراجم: «أن أبا جهل لعنه الله ومعه عدّة من أهل الكُفْرِ تعرّضوا للنبي ﷺ فأذوه، فعمدَ طُليب بن عمير ولدها إلى أبي جهل فضرّبه وشجّه، فأخذوه «أي: فأخذوا عميراً» وأنهم يريدون أن يعاقبوه. فقام أبو لهب (وهو خاله) في نُصرتِه، وبلغ أروى صنيع ولدها فقالت: إن خير أيامه يوم نصر ابن خاله، فقالوا لأبي لهب إن أروى صبأت «يعني أسلمت ودخلت في دين محمد ﷺ»، فدخل عليها يعاتبها، فقالت: قم دون ابن أخيك فإن يظهر كنت بالخيار، وإلا كنت قد أعذرت في ابن أخيك، فقال أبو لهب: وهل لنا طاقة بالحرب قاطبة. وقالوا إن أروى قالت يومئذ ممتدحة فعل ولدها:

إن طليبا نصر ابن خاله واساه في ذمة وحاله^(١)

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: شجاعة ابنها في التصدي لأبي جهل رغم مكانته من ناحية وعتوه وجبروته وشدته في محاربة الإسلام وأهله من ناحية أخرى، وهذا لم يُزعِب طليبا بل سارع بنجدة النبي ﷺ والتعرض لأبي جهل بالضرب والشج، انتصاراً لرسول الله ﷺ وتأييداً لدين الإسلام الحنيف، وفي ذلك درسٌ لنا جميعاً ألا نخشى قوة الأعداء وألا ترعبنا قوتهم، فإن قوتهم لا تقاس بقوة الله تعالى الذي ينصر عباده المؤمنين

(١) الإصابة (١٢/١١٠) والطبقات الكبرى لابن سعد (٨/٤٣).

الذين ينصرون الله ورسوله ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^(١)، كما أنه علينا ألا نقبل الدنيَّة في ديننا أبداً، فإن الله تعالى قد أعزنا بعزته ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢)، والذين أعزهم الله بعزته لا ينبغي أن يستدلوا لغيره أبداً.

المفهوم الثاني: امتدحت أروى صنيع ولدها ولم تخف عليه من بأس أبي جهل وأضرابه بل من انتقامه، وجاهرت بذلك ولم تخفه، بل اعتبرت هذا اليوم هو خير أيام ابنها الذي لم يقبل أن يتعرَّض رسول الله ﷺ لأذى، فهب لنصرته وتأييده وكف الأذى عنه. لا يحق لمسلم أبداً أن يتخاذل عن نصرته هذا الدين خوفاً من الأعداء أو رهباً من عدتهم أو رغباً فيما عندهم فما عند الله خير وأبقى، ومواقف الصحابة في ذلك كثيرة لا نطيل بذكرها لكننا نستلهم دروسها وعبرها؛ لتكون لنا منهجاً نسير عليه في خدمة هذا الدين الحنيف.

المفهوم الثالث: جاءها أخوها مُعاتباً لها على إسلامها وعلى موقف ابنها، فلم تُخف إسلامها ولم تستتير به، بل أعلنته في قُوَّة ووضوح، لم تخف، ولم تتردد، ولم تخجل من مفارقتها قومها ما داموا على الباطل.

إن بعض المسلمين قد يخجل أحياناً أن يُبدي بعض مظاهر التزامه

(١) سورة محمد، الآية: (٧).

(٢) سورة المنافقون، جزء من الآية: (٨).

إذا جلس في وسط قوم يُخالِفُونَهُ في ذلك الالتزام، فنجد الملتزم غير المدخن مثلاً إذا جلس في وسط مدخنين يعتذر لهم بأنه لا يستطيع أن يجاريهم في فعلهم، وعليهم أن يقبلوا عذره، وكأنه هو المذنب والمخطئ وهم المصيبون، وبعض الملتزمات المحجبات قد تعتذر عن حجابها مثلاً إذا جلست في وسط سافرات مع أن العكس هو الصحيح.

إن علينا أن نحمد الله تعالى على نعمة الإسلام، ونشكره سبحانه أن هدانا إليه، ونعص عليه بالنواجذ، وأن يظهر في جلاء تَمَسُّكنا ورضانا به، بالأسلوب الذي يرضي الله تعالى.

المفهوم الرابع: أن أروى لم تقف عند تأييدها لولدها، بل استثمرت الموقف ودعت أخاها أبا لهب أن يساند ابن أخيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يحذب عليه ويدافع عنه، بل إنها استثارت عصبيته، وحاولت أن تستميل قلبه، وذلك بأن ذكّرت أنه ابن أخيه، وأن واجب النُصرة حتم عليه، إن لم يكن بدافع الإيمان به فعلى الأقل بدافع القرابة والعشيرة.

وهكذا على الدعاة أن يستميلوا الآخرين بكلِّ الوسائل الممكنة، ما دامت هذه الوسائل غير مخالفة للشرع، وأن يعملوا على التمكين لهذا الدين، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلّى الله تعالى وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه.

* * *

أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها

نبذة عن حياتها:

اسمها ونسبها:

هي أسماء بنت عبد الله بن عثمان التيمية والدة عبد الله بن الزبير ابن العوام، وهي بنت أبي بكر الصديق، وأمها قتيلة بنت عبد العزى القرشية من بني عامر بن لؤي رضي الله عنه.

إسلامها وأبرز مواقفها في الإسلام:

أسلمت قديماً بمكة بعد سبعة عشر نفساً كما قال ابن إسحاق وتزوجها الزبير بن العوام رضي الله عنه، وهاجرت وهي حامل منه بولده عبد الله فوضعت بقباء. وقد ولدت له عبد الله، وعروة، والمنذر، وعاصماً، والمهاجر، وخديجة الكبرى، وأم الحسن، وعائشة.

وكانت تلقب بذات النطاقين، قال أبو عمر: لُقِّبَتْ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنها هيأت له سفرة عندما أراد الهجرة فاحتاجت إلى ما تشدها به فشقت خمارها نصفين فشدت بنصفه السفرة واتخذت النصف الآخر منطوقاً، وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: «أبدلك الله بنطاقك هذا بنطاقين في الجنة»^(١).

(١) الاستيعاب لابن عبد البر عند ترجمة أسماء رضي الله عنها.

وفاتها رضي الله عنها:

توفيت أسماء بمكة في جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين بعد مقتل ابنها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه بيسير^(١).

المواقف الأسرية في حياة السيدة أسماء رضي الله عنها :

للسيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها العديد من المواقف المهمة مع أسرتها، والتي تستحق الوقوف عندها لاستخلاص ما تحويه من مفاهيم تربوية يستفيد منها المسلمون، ولعل أبرزها ما يلي:

الموقف الأول: دفاعها عن أبيها أمام جدها، محافظة عليه من

بطش قريش

يروى ابن إسحاق أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت تقص على حفيدها عباد بن عبد الله بن الزبير أنه لما خرج رسول الله وخرج أبو بكر معه، احتمال أبو بكر معه ماله كله وهو خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم، قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: قلت: كلا يا أبت إنه

(١) انظر: ابن سعد: الطبقات الكبرى (بيروت: دار صادر، ب. ت) ج ٨ ص ٢٤٩، ٢٥٠، ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤف سعد (ط. ١)؛ بيروت: دار الجيل، (١٤١١هـ) ج ٣ ص ١٣، ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد الجاوي (ط. ١)، بيروت: دار الجيل، (١٤١٢هـ) ج ٤ ص: ١٧٨١، ١٧٨٢، ابن حجر الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد الجاوي (ط. ١)؛ بيروت: دار الجيل، (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ج ٧ ص ٤٨٦.

قد ترك لنا خيراً كثيراً، قالت: فأخذت أحجاراً فوضعتها في كوة في البيت كان أبي يضع فيها ماله ثم وضعت عليها ثوباً ثم أخذت بيده. فقالت: ضع يدك يا أبت على هذا المال، قالت: فوضع يده فقال: لا بأس إن كان ترك لكم هذا فقد أحسن، ففي هذا لكم بلاغ، قالت: «لا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك».

قال ابن إسحاق وحدث عن أسماء قالت: لما خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل فوقفوا على باب أبي بكر فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشاً خبيثاً فلطم خذي لطمَةً خرَّ منها قرطي. قالت: ثم انصرفوا^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: الحرص على عدم إفشاء السر حتى إلى أقرب الأقربين، خاصة في الأمور المصيرية، فلو أن أسماء تساهلت وأسرت إلى جدّها أبي قحافة بمكان أبيها، فربما أخبر أحداً من قريش به، فتتنبه قريش إلى مكان النبي ﷺ، وفي ذلك من سوء العاقبة ما لا يخفى على مستقبل الدّعوة، وبهذا فقد أسدت السيدة أسماء إلى الإسلام خدمة جليلة بتكتمها خبر أبيها.

المفهوم الثاني: الحرص على عدم كشف أسرار وأحوال الأسرة

(١) سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١٤، أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط ٤٤؛ بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ) ج ٢ ص ٥٦.

للآخرين مهما قويت صلة قرابتهم، لتظل مستقرة وفي مأمن من تدخلات الآخرين وشماتتهم، فعلى الرغم من أنّ أبا بكر لم يترك في بيته مالا، فإن السيدة أسماء أوحى لجدها أن أباه ترك لهم مالا وفيراً أغناهم به عن الحاجة لأحد.

المفهوم الثالث: إعمال الفطنة في المواقف الحرجة، فعلى المرء أن يكون فطناً حصيماً في اختيار الوسائل التي يحافظ على أمن بيته وأسرار أسرته من خلالها، وفي ذات الوقت لا يقطع علاقته بالآخرين، ولا يصطدم معهم، فالسيدة أسماء لم ترد على جدّها لما تهكم على أبيها في غيبته بقوله: «والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه»، بل فطنت إلى وسيلة أقنعته من خلالها أن والدها ترك لهم مالا وفيراً، فرفعت بذلك من قدر أبيها في عينه، وحافظت في ذات الوقت على علاقتها بجدها، ولم ترتكب إثماً بكذب ولا غيره، بل استعملت التعريض المشروع.

الموقف الثاني: أسماء تقص على أبنائها قصة كفاحها مع الزبير

فقد قصّت السيدة أسماء على عروة قصة كفاحها مع الزبير بقولها: «تزوجني الزبير وما له شيء غير فرسه، فكنت أسوسه وأعلفه وأدق لناضحه النوى وأستقي وأعجن، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر فدعاني، فقال: إخ إخ. ليحملني خلفه فاستحييت،

وذكرت الزبير وغيرته. قالت: فمضى، فلما أتيت أخبرت الزبير فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد بخادم فكفتني سياسة الفرس فكأنما أعتقني»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: اضطلاع المرأة بالأعمال الشاقة حرصاً على مساعدة زوجها الفقير، فالسيدة أسماء لم تغض الطرف عن حال زوجها بحجة أنه ربّ الأسرة، وأن عليه السعي والكد من أجل توفير حاجيات بيته، ولكنها شعرت بحاله وأحسّت بأزمته، فشاركته مهامه الصعبة؛ لصالح أسرتها، حتى منّ الله عليهم بالمال الوفير.

المفهوم الثاني: مراعاة المرأة لشعور زوجها حتى حال غيبته، وقد تجلّى هذا المفهوم في موقف السيدة أسماء حينما رقت لحالها النبي ﷺ فأناخ لها دابته ليحملها خلفه، وقاية لها من مشقة الطريق، ولكنها استحييت أن تفعل ذلك وآثرت طول الطريق ومشقته على أن تتركب خلف رسول الله ﷺ مع وجود نفر معه في الطريق، مراعاة للزبير الذي كان يغار عليها غيرة شديدة.

المفهوم الثالث: من المحمود للمرأة أن تظهر لزوجها ما يشعره بحبها له وحرصها على رضاه، وعلى الزوج أن يُقدّر ذلك منها

(١) البخاري رقم ٤٩٢٦ باب الغيرة.

ويكافئها بصنيع مماثل ، ولعلنا قد لاحظنا هذا المعنى في موقف السيدة أسماء ، فعندما عادت إلى بيتها سارعت بإخبار الزبير بما حدث لها مع رسول الله ﷺ ، فاستحسن ذلك منها .

الموقف الثالث : صبر السيدة أسماء على شدة الزبير :

عن عكرمة أن أسماء بنت أبي بكر كانت تحت الزبير بن العوام ، وكان شديداً عليها ، فأتت أباه فشكت ذلك إليه . فقال : يا بنية اصبري ، فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة^(١) .

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

المفهوم الأول : تعهد الآباء للأبناء بالنصح والإرشاد وتضييق هوة الخلاف مع أزواجهم قدر المستطاع ؛ حفاظاً على استقرار أسرهم وسلامة أبنائهم ، وهذا ما قام به أبو بكر حيال شكوى أسماء من الزبير حيث لم يجاريها في شكواها ، ويصعد من الخلاف مع الزبير ، ولكنه امتص غضبها ثم أوصاها بالصبر .

المفهوم الثاني : يجب على من يقوم بأمر الإصلاح بين الزوجين أن يهتم بتذكير كل منهما بفضائل الآخر ، وأن يتجنب الخوض في الخصال الذميمة لأيٍّ منهما ؛ ليستشعر كل منهما قيمة الآخر ، ومن

(١) الطبقات الكبرى ج ٨ ص ٢٥١ .

ثم يسهل الإصلاح بينهما، وهذا ما فعله أبو بكر حيث ذكّر السيدة أسماء بصلاح الزبير وتقواه، وهو ما جعلها تصبر على شدّته رضي الله عنه.

المفهوم الثالث: أهمية توظيف توجيهات النبي صلى الله عليه وآله ووصاياه في الإصلاح بين الزوجين لترقيق القلوب، وتهيئة النفوس لقبول الصلح، وقد وجدنا أبا بكر رضي الله عنه يحرص على أن يذكر السيدة أسماء رضي الله عنها بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها فلم تزوج بعده جمع بينهما في الجنة».

المفهوم الرابع: في حال تعذر الصلح بين الزوجين، على كل منهما أن ينتقي من يتوسم فيه الخير للقيام بهذا الدور، ويستحسن أن يكون هذا الشخص من أقرب الناس صلة بالزوجين؛ لحرصه أكثر من غيره على إحداث الصلح والوفاق بينهما.

الموقف الرابع: أسماء رضي الله عنها تقدم المثل لأبنائها في الإنفاق وبذل الصدقات:

تروي فاطمة بنت المنذر أن جدتها السيدة أسماء رضي الله عنها كانت تمرض المريضة فتعتق كل مملوك لها، كما روت عنها أنها كانت تقول لبنتاتها ولأهلها: «أنفقوا أو أنفقن وتصدقن ولا تنتظرن الفضل، فإنكن إن انتظرتن الفضل لم تجدنه وإن تصدقتن لم تجدن فقده»^(١). وقد روي عن محمد بن المنكدر أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال

(١) مسند إسحاق بن راهويه رقم ٢٢٣٥، وقال عبدالغفور البلوشي: رجاله ثقات.

لأسماء بنت أبي بكر ﷺ : «لا توكي»^(١) فيوكي الله عليك» وكانت امرأة سخية النفس^(٢) . وكانت صالحة، كانت تمرض المرضة فتعتق كل مملوك لها، وعن عبد الله بن الزبير قال: ما رأيت امرأتين قط أجود من عائشة وأسماء وجودهما مختلف، أما عائشة فكانت تجمع الشيء حتى إذا اجتمع عندها قسمت، وأما أسماء فكانت لا تمسك شيئاً لغد^(٣) .

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: تقديم الآباء الأسوة للأبناء من خلال سلوكهم لا من خلال الأقوال فقط، وهذا ما صنعه السيدة أسماء ﷺ مع أبنائها، حيث لم تكتف بمجرد التوجيه القولي لأسرتها؛ بل قدمت الفعل الذي يصدق هذا القول، فكانت لا تمسك شيئاً لغد حتى تتصدق به .

المفهوم الثاني: حثّ الأبناء على عدم التسويف في أعمال البرّ والخير لكونه لا يعلم الحال الذي سيكون عليه غداً، ومن ثم فينبغي أن يعوّد النشء على سرعة اغتنام الفرص لبذل الأعمال الصالحة، وهذا ما كانت تقوم به السيدة أسماء حيال أبنائها وأسرتها .

المفهوم الثالث: على المسلم أن يُوقن أنّ بذل الصدقات من سُبُل

(١) معنى «الوكاء» أي المنع والبخل. انظر: الزمخشري: أساس البلاغة، مادة «وكي» (القاهرة: الهيئة العامة لقصور الثقافة» ج ٢، ص ٥٢٦ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٨، ص ٢٥٢ .

(٣) أبو الفرج ابن الجوزي: صفوة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، محمد رواس (ط ٢؛ بيروت: دار المعرفة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م)، ج ٢، ص ٥٨، ٥٩ .

شفاء الأمراض، وهذا المفهوم مارسته السيدة أسماء عليها السلام عملياً، فحينما كان يداهما مرض تسارع بعثق مملوك لها، وهذا بلا شك انطلاقاً من توجيه النبي صلى الله عليه وآله: «داووا مرضاكم بالصدقة»^(١).

الموقف الخامس: أسماء تحضُّ ولدها على الثبات في المبدأ حتى الموت:

فيروي الأصفهاني أنه لما كان الغداة التي قتل فيها ابن الزبير عليه السلام دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر عليها السلام وهي يومئذ إبنة مائة سنة، لما يسقط لها سنٌّ ولم يفسد لها بصر فقالت: يا عبد الله ما فعلت في حربك؟ قال: بلغوا مكان كذا وكذا، وضحك. وقال: إنَّ في الموت لراحة، فقالت أسماء: يا بني لعلك تتمناه لي، ما أحب أن أموت حتى آتي على أحد طرفيك إما أن تملك فتقر بذلك عيني، وإما أن تقتل فأحتسبك، ثم ودعها فقالت: يا بني إياك أن تعطي خصلة من دينك مخافة القتل^(٢).


المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: ثبات السيدة أسماء وقوة شخصيتها، فعاطفة الأمومة التي هي أقوى الغرائز البشرية أثراً في توجيه سلوك المرأة،

(١) عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «حصنوا أموالكم بالزكاة وداووا مرضاكم بالصدقة وأعدوا للبلاء الدعاء». الطبراني: المعجم الأوسط، رقم الحديث (١٩٦٣)، تحقيق طارق عوض الله، وعبدالمحسن إبراهيم (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥) ج ٢، ص ٢٤٧.

(٢) حلية الأولياء، ج ١، ص ٣٣٢.

لم تحجبها عن أن تحثَّ ابنها عبد الله على مواصلة قتال أعدائه، فعلى الرغم من أنها أدركت بعد سؤالها له أنه واقع في أيدي أعدائه لا محالة، فلم تطلب منه أن يهادنهم حتى تتحسن له الأحوال، أو يتنازل عن الخلافة لهم فيعصم دمه، بل طلبت منه الثبات على مبدئه حتى ينال النصر أو الموت بعزّة وشرف. كما أنها لم تبد ندماً على موقفها بعد مقتله، بل ذهبت في قوة وثبات إلى المكان الذي صُلِبَ فيه فأنزلت جسده وغسلته وكفّته ثم دفنته.

المفهوم الثاني: على الإنسان عندما يتمسك بمبدئه أن تكون غايته ومقصده رضا الله، وأن يحتسب تبعات هذا المبدأ عند الله تعالى، حتى ولو أفضى الأمر إلى هلاكه على يد عدوّه، وهذا ما ظهر جلياً في موقف السيدة أسماء وولدها عبد الله بن الزبير .

المفهوم الثالث: على المرء أن لا يتنازل عن شيء من أمور دينه، حتى ولو كلفه الأمر حياته، فكل مصيبة في الحياة تهون إلا المصيبة في الدين، وهذه كانت أهم ما أوصت به السيدة أسماء ولدها عبد الله في محنته، وبالفعل مات وهو ثابت على مبدئه لم يتزعزع.

المفهوم الرابع: على الأم أن تشد من أزر ولدها وقت النوازل والملمات الصعبة، حتى يتقوى على مواجهتها، بإبداء علامات الشفقة والتعاطف من شأنه أن يصيبه بالتخاذل، وهذا ما فعلته السيدة أسماء مع ابنها عبد الله، حيث شدّت من أزره وقوّت من عزيمته ودفعت به لخوض معركته بشرف حتى النهاية طالما أنه على الحق.

الموقف السادس: موقف أسماء من أمها المشركة:

عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قدمت قتيلة بنت عبد العزى بن عبد أسعد أحد بني مالك بن حسل على ابنتها أسماء بنت أبي بكر بهدايا زبيب وسمن وقرظ، فأبت أن تقبل هديتها أو تدخلها إلى بيتها وأرسلت إلى عائشة رضي الله عنها: سلي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «لتدخلها ولتقبل هديتها»^(١)، قال: وأنزل ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ﴾ إلى قوله: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)^(٣).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: حرص الأبناء على ممارسة قيم حسن المعاملة حيال من أشرك من آبائهم، طالما لم يصدر عنه ما يحاد به الله ورسوله، وهذا الأمر يعد من القيم الحضارية التي تؤكد تقدير واحترام الإسلام للآخر الذي يختلف معه في العقيدة.

المفهوم الثاني: على المسلم أن يتحرى الحلال في كل أمر من أمور حياته ليصلح بذلك أمر دنياه وآخرته، وهذا المفهوم واضح جلياً في سلوك السيدة أسماء حيال أمها المشركة، حيث إنها أبت أن تدخلها بيتها أو أن تقبل هديتها حتى تستفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرها هذا.

(١) مسند البزار برقم ٢٢٠٨.

(٢) سورة الممتحنة، الآيتين: (٨)، (٩).

(٣) الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٥٢.

الموقف السابع: أسماء ترفض هدية ولدها:

يروى أن المنذر بن الزبير قَدِمَ من العراق، فأرسل إلى والدته أسماء بنت أبي بكر بكسوة من ثياب رقاق عتاق بعدما كف بصرها. قال: فلمستها بيدها ثم قالت: أف ردّوا عليه كسوته، فشقّ ذلك عليه وقال: يا أمه إنه لا يشف. قالت: إنّها إن لم تشف فإنها تصف، فاشترى لها المنذر ثياباً أخرى لا تشف فقبلتها، وقالت: مثل هذا فاكسني^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: أباح القرآن للقواعد من النساء أن يتخلين عن بعض حجابهن حيث لم يعد يخشى منهن الفتنة، إلا أن ذلك ليس مدعاة لأن يأتين بأفعال تنتقص من وقارهن أو تتنافى مع احتشامهن، وقد قدمت السيدة أسماء المثل في ذلك، فعلى الرغم من أنها كيفية طاعة في السن، فقد رفضت أن ترتدي ثياباً قد تصف جسدها.

المفهوم الثاني على الأبناء أن يتفانوا في بذل كل ما يدخل السرور على والديهم خاصة عندما يتقدم بهم العمر ويغلب عليهم الضعف والوهن؛ طمعاً في نوال رضاهم، ومن ثم يفوزوا برحمة ربهم، وهذا ما حرص على فعله المنذر بن الزبير مع والدته السيدة أسماء، فوجدناه يهاديها بأفخر الثياب، وعندما ردّت هديته للسبب الذي ذكرناه حزن لفشله في إدخال السرور إلى قلبها، ولم يهنأ له بال حتى أتى إليها بما يرضيها من الثياب.

(١) الطبقات الكبرى، ج ٨، ص ٢٥٣.

الأقرع بن حابس

نبذة عن حياته:

اسمه ونسبه:

هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم^(١).

وقبيلة بني تميم التي يرجع نسب الأقرع بن حابس إليها لها منزلة عظمى ومكانة مرموقة في الإسلام، فقد روى البخاري ومسلم (واللفظ لمسلم) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لا أزال أحبُّ بني تميم من ثلاث سَمِعْتُهُنَّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «هم أشدُّ أُمَّتِي على الدَّجَالِ» قال: وجاءت صدقاتهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذه صدقات قومنا» قال: وكانت سَبِيَّةً منهم عند عائشة رضي الله عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعتقها فإنها من ولد إسماعيل»^(٢).

إسلامه وأبرز مواقفه:

قَدِمَ الأقرع بن حابس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم مع عطارذ بن حاجب

(١) أسد الغابة ١/١٦٤، التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ١/١٩٤، معجم الصحابة ١/٦٧، الطبقات الكبرى، ٣٧/.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ٧/٦٨٥ (برقم ٤٣٦٦) كتاب المغازي، باب غزوة عينية بن حصن بني العنبر، وصحيح مسلم بشرح النووي ١٦/٧٧، ٧٨ الحديث (٢٥٢٥) كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل غفار وأسلم وجهينة وأشجع ومزينة وتميم ودوس وطىء.

ابن زرارة، والزيرقان بن بدر، وقيس بن عاصم وغيرهم من أشراف تميم بعد فتح مكة، وقد كان الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن الفزاري شهدا مع رسول الله ﷺ فتح مكة، وحينئذ وحضرا الطائف.

وشهد الأقرع بن حابس مع خالد بن الوليد حرب أهل العراق، وفتح الأنبار، وكان على مقدمة جيش خالد.

استعمله عبد الله بن عامر على جيش سيره إلى خراسان، فأصيب بالجوزجان، وكان ذلك في زمن أمير المؤمنين عثمان بن عفان (١).

كان الأقرع بن حابس أحد ثلاثة شهدوا في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ لنصارى نجران وهم: أبو سفيان، وغيلان بن عمرو، والأقرع بن حابس (٢).

وفاته:

استشهد في اليرموك في عشرة من بنيه (٣).

وقيل استشهد بالجوزجان في عهد عثمان بن عفان.

* * *

(١) أسد الغابة ١/١٦٤ - ١٦٧، الكامل لابن الأثير ٣/١٩، ٢١، ٢٥٤/٢، البداية والنهاية ٥/٤٢ - ٤٦.

(٢) الإصابة ٥/٧٣٩.

(٣) التحفة اللطيفة ١/١٩٥.

المواقف الأسرية في حياة الأقرع بن حابس رضي الله عنه

للأسف لم تذكر المصادر - التي ترجمت له - مواقف أسرية تتناسب مع هذا الصحابي الجليل الذي وصف بأنه «قد حسن إسلامه»^(١).

وقد عثر على موقفين - أحدهما مشهور جداً - وهما:

الموقف الأول: علاقته بأبنائه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الأقرع بن حابس أبصر النبي صلى الله عليه وسلم يُقبَلُ الحسن، فقال: إن لي عَشْرَةَ من الولد ما قَبَلْتُ واحداً منهم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه من لا يُرْحَمُ لا يُرْحَمُ»^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد من هذا الموقف عدة مفاهيم منها:

المفهوم الأول: تقبيل الأبناء دليل على استقرار الرحمة في قلوب الآباء:

ففي الحديث السابق يُعَدُّ النبي صلى الله عليه وسلم تقبيل الأبناء من الرحمة التي

(١) التحفة اللفظية ١/١٩٥.

(٢) أخرجه البخاري (فتح الباري) ١٠/٤٤٠، الحديث (٥٩٩٧) كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، ومسلم في صحيحه (صحيح مسلم بشرح النووي) ١٥/٧٦، ٧٧، الحديث (٢٣١٨) كتاب الفضائل - باب رحمته صلى الله عليه وسلم وتواضعه.

يُثاب عليها المرء، وإذا كان النبي ﷺ أشار في هذا الحديث إلى أن عدم تقبيل الأبناء دليل على نزع الرحمة من قلوب الآباء، فقد نصَّ على هذا المعنى في حديث آخر، فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ ناسٌ من الأعراب على رسول الله ﷺ فقالوا: أَتَقَبَّلُونَ صبيانكم؟ فقالوا: نعم، فقالوا: لكننا والله ما نُقَبِّلُ. فقال رسول الله ﷺ: «أَوْأَمَلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْكُمْ الرَّحْمَةَ»^(١).

المفهوم الثاني: ملاطفة الأبناء وملاعبتهم وتقبيلهم سُنَّةٌ عن النبي ﷺ تؤدي إلى نشر جوِّ إيمانيٍّ في البيت المسلم:

كان النبي ﷺ حريصاً على ملاعبة الأطفال، وملاطفتهم وتقبيلهم، ليدخل السرور إلى قلوبهم، فعن أم خالد بنت خالد بن سعيد قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعليَّ قميصٌ أصفرُ، قال رسول الله ﷺ «سَنَّهُ سَنَّهُ» قال عبد الله^(٢): وهي بالحبشية: حسنة. قالت: فذهبتُ ألعب بخاتم النبوة فزبرني^(٣) أبي. قال رسول الله ﷺ: «دَعَهَا» ثم قال رسول الله ﷺ: «أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثم أَبْلِي وَأَخْلِقِي، ثم أَبْلِي وَأَخْلِقِي» قال عبد الله فبقيت حتى ذكر...، يعني من بقائها^(٤).

(١) أخرجه البخاري (فتح الباري) ٤٤٠/١٠، الحديث (٥٩٩٨) كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانفته، ومسلم ٧٦/١٥، الحديث (٢٣١٧) كتاب الفضائل - باب رحمته ﷺ وتواضعه.

(٢) أحد رواة الحديث.

(٣) فزبرني، أي: نهمني وأغلظ لي في القول. لسان العرب مادة (زبر).

(٤) أخرجه البخاري (فتح الباري) ٤٣٩/١٠، الحديث (٥٩٩٣) كتاب الأدب، باب من ترك صبيته غيره حتى تلعب به، أو قبلها، أو مازحها.

المفهوم الثالث : ملاطفة الأبناء تقوي العلاقة بين الآباء والأبناء :

فالطفل عندما يلاعبه والده يشعر من داخله بمدى العلاقة الوثيقة التي تربطه به، فينشأ مُجِبًّا له، مُتَعَلِّقًا به، مُرْتَبِطًا بِأُسْرَتِهِ، مما ينشأ عن ذلك كله استقرارٌ نفسي لهذا الطفل، واستقرار أُسْرِيٍّ في هذا البيت المسلم.

الموقف الثاني : علاقته بذوي رَحِمِهِ :

ذكر أبو عبيدة أن هُنَيْدَةَ بنت صعصعة (المُلَقَّبَةُ بذات الخمار) كانت تقول: من جاء بأربعة، يَحِلُّ لها أن تضع عندهم خمارها، بمثل أربعتي: أبي صعصعة، وأخي غالب (والد الفرزدق) وزوجي الزبيرقان، وخالي الأقرع بن حابس^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

المفهوم الأول: حُسْنُ الإِسْلَامِ يعصم من الوقوع في الخطأ:

فالأقرع بن حابس رضي الله عنه وَصِفَ - كما سبق - بِأَنَّهُ حَسَنَ إِسْلَامِهِ، وما ترويه هنا السيدة هُنَيْدَةَ - رحمها الله - ما هو إلا ترجمة عملية لهذا الوصف الذي يُوحى بمدى اسْتِقْرَارِ الإِيمَانِ في قلبه، هذا الإيمان الذي يَعْصِمُهُ مِنَ النَّظَرِ إِلَى مَنْ يَحْرَمُ عَلَيْهِ النَّظَرَ إِلَيْهَا، حتى ولو كانت واضحة خمارها أمامه، وما أحوجنا - نحن المسلمين - إلى مثل هذا الإيمان، خاصة في عصرنا هذا الذي انتشرت فيه الفتن،

(١) الإصابة ١٦١/٨.

وبرزت فيه مفاتن النساء في كل مكان، ولا عاصم من أمر الله إلا من رحم.

المفهوم الثاني: حسن صلته بذوي رحمه:

يتضح من هذا الموقف أن الأقرع بن حابس رضي الله عنه كان يُحسن صلته بأهله وذوي رحمه، فها هي ابنة أخته تشهد له بمثل هذه الشهادة، التي تنم عن صلة وثيقة بهذا الشخص المشهود له بها ومعرفة عميقة به.

ولعله كان مُكثرًا من زيارتها، متفقدًا لأحوالها، مما أكسبها معرفة عظيمة بأخلاقه، وحُسن إسلامه رضي الله عنه.

المفهوم الثالث: من آداب المسلم: الاعتراف بالجميل الذي أسدي إليه:

فالاعتراف بالجميل نوع من شكر صاحب المعروف، ولعلّه - كذلك - يدخل في نطاق الشهادة.

وشهادة هنيئة لخالها الأقرع بن حابس رضي الله عنه، من الشهادات التي ترفع من شأن المشهود له؛ لأنها شهادة بحسن الدين والإسلام.

* * *

أمامة بنت أبي العاص رضي الله عنها

نبذة عن حياتها:

نسبها: أمّامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمّها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد توفيت أمّها سنة ثمان. واسم أبي العاص مهشم، وقيل: لقيط، وقيل: ياسر، وقيل: القاسم، وقد تُوفّي أبوها في ذي الحجة سنة اثنتي عشرة^(١).

أخوها: كان لها أخ اسمه عليّ أردفه الرسول صلى الله عليه وآله على راحلته يوم فتح مكة، ومات بعد ذلك وقد شارف الحُلُم، ويقال: إنّه مات قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وآله. وكانت أمّها قد هاجرت بها وبأخيها بعد غزوة بدر، ولم يكن أبوها قد أسلّم وقتئذ، ثم أسلّم بعد ذلك في أواخر سنة ست، وهاجر أول سنة سبع.

زواجها: تزوجت أمّامة رضي الله عنها من علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقد

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد (٣٩/٨)، ط. دار صادر، بيروت، والمعجم الكبير: لأبي القاسم الطبراني (٤٣٨/٢٢)، ط. ثانية، مكتبة العلوم والحكم، الموصل ١٩٨٣م، والاستيعاب: لابن عبد البر (١٧٨٨/٤). ط. دار الجيل، بيروت، أولى ١٤١٢هـ، وتهذيب الأسماء: للنووي (٥٩٩/٢)، ط. أولى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، والإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (٥٠١/٧)، ط. أولى، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م.

روي أن ذلك كان بَوْصِيَّةً من السيدة فاطمة الزَّهراء رضي الله عنها حين حضرتها الوفاة، وزوَّجه بها الزبير بن العوام رضي الله عنه؛ لأنَّ أباهما كان قد أوَّصَى الزُّبير بها وبتركته. وولدت له محمداً الأوسط.

ثم بعد استشهاد عليّ رضي الله عنه تزوّجت المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب (وكان قاضياً بالمدينة في خلافة عثمان رضي الله عنه)، ثم كان مع عليّ رضي الله عنه في حُرُوبِهِ، وهو الذي طرَحَ على ابن ملجم القطيفة لما ضرب علياً رضي الله عنه، فأمسكه وضرب به الأرض، ونزع منه سيفه، وسجنه حتى مات على منزلته، وولدت له يحيى وبه كان يكنى، وتوفيت عنده.

وروي أن زواجها من المغيرة كان بطلب سيدنا عليّ رضي الله عنه منهما ذلك حين حضرته الوفاة. وقيل لم تلد لأبيّ منهما^(١).

وفاتها: توفيت عند المغيرة بن نوفل، في دولة معاوية بن أبي سفيان بين سنة ٤١هـ - ٥٠هـ.

(١) انظر: الطبقات الكبرى (٢٠/٣)، وتاريخ الطبري (١٦٢/٣) للطبري، ط. أولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ (علي) ذكر الخبر عن أزواجه وأولاده، والاستيعاب (١٧٨٨/٤)، وصفة الصفوة (٣٠٩/١) لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م ذكر أولاده رضي الله عنه (في ترجمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه)، وتهذيب الأسماء، للنووي (٥٩٩/٢)، وسير أعلام النبلاء (٣٣٥/١)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٢٧٢/٢)، ط. أولى، دار الغد العربي، مصر ١٩٩٦م، والإصابة في تمييز الصحابة (٥٠٣/٧)، (٢٠٠/٦).

المواقف الأسرية في حياة أمامة بنت أبي العاص عليها السلام :

الموقف الأول: حب الرسول صلى الله عليه وآله لها

كان رسول الله صلى الله عليه وآله يُحِبُّ أمامة بنت ابنته زينب رضي الله عنهما حباً كثيراً: فقد رُوِيَ أن الرسول صلى الله عليه وآله ذكر أنها أحب أهله إليه: فعن عائشة رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَهْدَيْتْ لَهُ هَدِيَّةً فِيهَا قِلَادَةٌ مِنْ جَزَعٍ فَقَالَ: «لَاذْفَعَنَّهَا إِلَيَّ أَحَبُّ أَهْلِي إِلَيَّ» فقالت النساء: ذَهَبَتْ بِهَا ابْنَةُ أَبِي قُحَافَةَ. فَدَعَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله أَمَامَةَ بِنْتَ زَيْنَبَ فَعَلَّقَهَا فِي عُنُقِهَا^(١).

وفي رواية أخرى عند الطبراني: عن عائشة رضي الله عنها قالت: أَهْدَيْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله قِلَادَةً مِنْ جَزَعٍ مُلْمَعَةً بِالذَّهَبِ، وَنِسَاؤُهُ مَجْتَمِعَاتٍ فِي بَيْتِ كُلُّهُنَّ، وَأَمَامَةَ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ جَارِيَةً تَلْعَبُ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ بِالثَّرَابِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: كَيْفَ تَرِينَ هَذِهِ؟ فَنظَرْنَا إِلَيْهَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا أَحْسَنَ مِنْ هَذِهِ وَلَا أَعْجَبَ. فَقَالَ: ارْدُدْنَاهَا إِلَيَّ، فَلَمَّا أَخَذَهَا قَالَ: وَاللَّهِ لَأَضَعَنَّهَا فِي رَقَبَةِ أَحَبِّ أَهْلِ الْبَيْتِ إِلَيَّ. قَالَتْ عَائِشَةُ رضي الله عنها: فَأَظْلَمَتْ عَلَيَّ الْأَرْضَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ؛ خَشِيَّةٌ أَنْ يَضَعَهَا فِي رَقَبَةِ غَيْرِي مِنْهُمْ، وَلَا أَرَاهُنَّ إِلَّا قَدْ أَصَابَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي أَصَابَنِي، وَوَجَمْنَا جَمِيعاً سَكُوتاً،

(١) مسند أحمد (٣٠٣/٥، ١١٩/٦)، ط. مؤسسة قرطبة، مصر.

فأقبل بها حتى وضعها في رقبة أمامة بنت أبي العاص؛ فسُرِّيَ عنها^(١).

وفي رواية أخرى عن عائشة رضي الله عنها قالت: قدمت على النبي صلى الله عليه وسلم حليّة من عند النجاشيّ، أهداها له فيها خاتم من ذهب، فيه فصّ حبشيّ، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم بعودٍ ببعض أصابعه مُعرضاً عنه، ثمّ دعا أمامة بنت أبي العاص ابنة ابنته فقال: «تحلّي بهذا يا بنية»^(٢).

(١) المعجم الكبير للطبراني: بسنده (حدثنا مسعدة بن سعد العطار المكي وأحمد بن عبدالعزيز المكي قالا ثنا إبراهيم بن المنذر الحزامي ثنا عبدالله بن محمد بن يحيى ابن عروة ثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة) (٤٤٢/٢٢)، ومجمع الزوائد: ك. المناقب، باب مناقب أمامة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الهيثمي: رواه الطبراني واللفظ له، وأحمد باختصار، وأبو يعلى، وإسناد أحمد وأبي يعلى حسن. (٢٥٤/٩) ط. دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ.

(٢) مسند أحمد (١١٩/٦)، أبو داود (٤٢٣٥)، كتاب الخاتم، باب ما جاء في الذهب للنساء، والسنن الكبرى: للبيهقي، ك. الزكاة، باب (٧٥) ح (٧٣٤٩)، ط. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٩٩٤م، وسنن ابن ماجه: . اللباس، باب النهي عن خاتم الذهب. صحيح البخاري: ك. أبواب سترة المصلي، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه، ك. الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، وصحيح مسلم: ك. المساجد، باب جواز حمل الصبيان في الصلاة، و ك. الصلاة، باب جواز حمل الصبيان. ط. دار الشعب، مصر. وصحيح ابن حبان: ك. الطهارة، باب ذكر الخبر الدال على أن الملامسة من ذوات المحارم لا توجب الوضوء. وصحيح ابن خزيمة: جماع أبواب الأفعال المباحة في الصلاة، باب الرخصة في حمل الصبيان. ط. المكتب الإسلامي، بيروت ١٩٧٠م، وسنن أبي داود: ك. الصلاة، باب العمل في الصلاة، وسنن النسائي: ك. الإمامة، باب ما يجوز للإمام من العمل في الصلاة، و: ك. السهو، باب حمل الصبايا في الصلاة...، وسنن الدارمي: ك. الصلاة، باب العمل في الصلاة، والسنن الكبرى: للنسائي، ك. السهو، باب ذكر ما ينقض الصلاة وما لا ينقضها. ط. أولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م، والمسند (٣٠٣/٥)، (٣١١)، وسنن البيهقي الكبرى، ك. الطهارة، باب ما جاء في لمس الصغار... ط. مكتبة دار الباز، مكة المكرمة ١٩٩٤م.

كما رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ حَمَلَهَا عَلَى عَاتِقِهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ وَفِي أَثْنَائِهَا، فَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ وَأَمَامَهُ بِنْتُ أَبِي الْعَاصِ عَلَى عَاتِقِهِ فَصَلَّى، فَإِذَا رَكَعَ وَضَعَ، وَإِذَا رَفَعَ رَفَعَهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنْ عَمْرِو بْنِ سُلَيْمٍ الزُّرْقِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا قَتَادَةَ يَقُولُ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسٌ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ أَمَامَهُ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ - وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - وَهِيَ صَبِيَّةٌ، يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عَلَى عَاتِقِهِ، يَضَعُهَا إِذَا رَكَعَ، وَيُعِيدُهَا إِذَا قَامَ، حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

الرَّحْمَةُ بِالصَّغِيرِ وَالرَّفْقُ بِهِ وَمُلاَعَبَتُهُ

وَيَتَضَحَّ ذَلِكَ فِي حَمْلِ الرَّسُولِ ﷺ أَمَامَهُ عَلَى عَاتِقِهِ قَبْلَ الصَّلَاةِ، وَكَذَلِكَ حَمَلُهَا فِي الصَّلَاةِ وَوَضْعُهَا حِينَمَا كَانَ يَرُكِعُ حَتَّى لَا تَقْعَ، وَقَدْ جَعَلَ الْإِسْلَامُ الرَّحْمَةَ بِالصَّغِيرِ مِنْ صِفَاتِ الْمُؤْمِنِ وَمِنْ خَلْقِهِ، وَجَعَلَ مِنْ لَا يَرْحَمُ الصَّغِيرَ غَيْرَ مُتَخَلِّقٍ بِخَلْقِ الْإِسْلَامِ وَصِفَاتِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَحْرَمُ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

وقد روي عن الرسول ﷺ ما يفيد ذلك:

(١) سنن أبي داود: ك. الصلاة، باب العمل في الصلاة، وسنن النسائي: ك. المساجد، باب إدخال الصبيان المسجد.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قبّل رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن بن عليّ وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً. فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً. فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال «من لا يرحم لا يرحم»^(١).

وعن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يدلّع لسانه للحسين؛ فيرى الصبي حمرة لسانه فيهش إليه، فقال له عيينة بن حصن بن بدر: ألا أرى تصنع هذا بهذا، والله ليكون لي الابن قد خرج وجهه وما قبّلت قط؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من لا يرحم لا يرحم»^(٢).

كما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله أن الرحمة لا تنزع إلا من الأشقياء، وعليه فإن من لا يرحم الصغير فإنه يكون من الأشقياء: فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا تنزع الرحمة إلا من شقي»^(٣).

(١) صحيح البخاري: ك. الأدب، باب رحمة الولد وتقيله معانقته، وصحيح مسلم: ك. الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وآله للصبيان والعيال، وسنن أبي داود، ك. الأدب، باب في قبلة الرجل ولده، وسنن الترمذي، ك. البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الولد، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢/٢٦٩)، وصحيح ابن حبان: ك. البر والإحسان، باب الرحمة، ذكر الأمر للمرء أن يرحم أطفال المسلمين رجاء رحمة الله جل وعلا إياه، وك. الحظر والإباحة، باب ذكر الإباحة للمرء أن يقبل ولده وولد ولده.

(٢) صحيح ابن حبان: ك. الحظر والإباحة، ذكر إباحة ملاعبة المرء ولده وولد ولده، و: ك. إخباره صلى الله عليه وآله عن مناقب الصحابة، ذكر ملاعبة المصطفى صلى الله عليه وآله للحسين بن علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما.

(٣) صحيح ابن حبان: ؛ ك. البر والإحسان، ذكر البيان بأن رحمة الله جل وعلا لا تنزع إلا من الأشقياء.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقْبَلُونَ الصُّبْيَانَ؟! فَمَا نُقْبَلُهُمْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْ أَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(١).

كما رهَّب الرسول ﷺ من لا يرحم الصغير، وذكر أنه لا يتصف أو يتخلق بخلق الإسلام، فقال ﷺ: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف حق كبيرنا»^(٢).

الموقف الثاني: زواجها:

قال الذهبي: تزوج بها علي بن أبي طالب في خلافة عمر وبقيت عنده مدة، وجاءه أولاد منها، وعاشت بعده حتى تزوج بها المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي فتوفيت عنده بعد أن ولدت له يحيى بن المغيرة^(٣).

(١) صحيح البخاري: ك. الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، وصحيح مسلم: ك. الفضائل، باب رحمته ﷺ للصبيان والعيال، وسنن ابن ماجة ك. الأدب، باب ير الوالد والإحسان إلى البنات، وصحيح ابن حبان: ك. الحظر والإباحة، ذكر الإباحة للمرأة أن يقبل ولده وولد ولده، وسنن البيهقي الكبرى: ك. النكاح، باب ما جاء في قبلة الرجل ولده.
(٢) سنن الترمذي: ك. البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، وقال: حديث صحيح. والمستدرک على الصحيحين: ك. الإيمان. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم (١/١٣١)، وآخر ك. البر والصلة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد (٤/١٩٧)، وصحيح ابن حبان: ك. البر والإحسان، ذكر الزجر عن ترك توفير الكبير أو رحمة الصغير من المسلمين، وسنن أبي داود: ك. الأدب، باب في الرحمة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢/١٨٥).

(٣) سير أعلام النبلاء: للذهبي (١/٣٣٥) ط. تاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ، وتاريخ الإسلام، للذهبي (٢/٢٧٢) ط. أولى، دار الغد العربي، مصر ١٩٩٦م.

وقد روي أن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام حين حضرتها الوفاة أوصت علياً أن يتزوج من أمامة بعدها، وأنه نفذ وصيتها: فقد أخرج الطبراني عن الزبير بن بكار قال: وأوصى أبو العاص بن الربيع بابنته أمامة إلى الزبير بن العوام وبتركته، فزوجه الزبير علي ابن أبي طالب بعد وفاة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، أوصته بذلك فاطمة عليها السلام، وقتل علي بن أبي طالب وأمامة بنت أبي العاص عنده.. (١).

وأخرج أبو القاسم علي بن الحسن بسنده عن صالح بن كيسان قال: وأحسب عن ابن شهاب قال: قالت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حين حضرتها الوفاة لعلي تزوج بنت أختي أمامة بنت أبي العاص، فتزوجها علي بن أبي طالب، فمكثت عنده ثلاثين سنة (٢).

كما روي أن علياً عليه السلام حين حضرته الوفاة أوصى السيدة أمامة ألا تخرج من رأي المغيرة بن نوفل في أمر الزواج بعده، وفي بعض الروايات أنه اختار لها المغيرة زوجاً بعده، وأنها التزمت بوصيته: فعن محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة قال: كانت أمامة بنت أبي العاص

(١) المعجم الكبير للطبراني (٢٢/٤٤٣)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وقال: رواه الطبراني، وإسناده منقطع (٢٥٤/٩، ٢٥٥).

(٢) تاريخ مدينة دمشق لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر (٦٧/٣، ٤)، ط. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م. (أخبرتنا أم البهاء فاطمة بنت محمد قالت أنا أبو طاهر بن محمود أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم نا محمد بن جعفر الزراد نا عبيد الله بن سعد نا عمي ثنا أبي عن صالح بن كيسان قال: وأحسب عن ابن شهاب قال).

عند علي بن أبي طالب، فلما تُوفي عنها قال لها: لا تزوجي، فإن أردت التَّزَوُّج فلا تخرجي من رأي المغيرة بن نوفل، فخطبها معاوية بن أبي سفيان، فجاءت إلى المغيرة تستأمره، فقال لها: أنا خَيْرٌ لك منه فأجَعلي أمرَك إليَّ، ففعلت، فدعا رجالاً، فتزوجها^(١).

وأخرج عبدالرزاق بسنده عن محمد بن إسحاق، وأبي معشر: أن علياً دعا امرأته أمامة ابنة أبي العاص بن الربيع وهو مريضُ فسارَّها، فيرون أنه قال لها: إن معاوية سيخطبك، فإن أردت النكاح فعليك برجل من أهل البيت... فلما اجتمع الناس لمعاوية بعث مروان على المدينة، وقال: أنكح أمير المؤمنين أمامة بنت أبي العاص، فبلغها ذلك؛ فدعت المغيرة بن نوفل بن الحارث فولته أمرها وأشهدت له؛ فزَوَّجها نفسه وأشهَدَ؛ فغَضِبَ مروان فوقفها، وكتب إلى معاوية يعلمه بذلك، فكتب إليه أن دعه وإياها^(٢).

(١) المنتخب من كتاب أزواج النبي ﷺ: لأبي عبدالله الزبير بن بكار بن عبدالله بن مصعب الزبيري. بسنده (ثنا محمد ثنا الزبير بن بكار حدثني محمد بن الحسن عن عبدالعزيز بن محمد عن محمد بن عبدالرحمن بن المغيرة) (٢٩/١) ط. أولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ، ومن نفس الطريق أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: ح (١٠٨٣) (٤٤٣/٢٢)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٥٥/٩) وقال: رواه الطبراني بإسناد منقطع، وفيه محمد بن الحسن بن زباله وهو ضعيف.

(٢) مصنف عبدالرزاق: لعبدالرزاق الصنعاني: ك. النكاح، باب النكاح بغير ولي (٦/٢٠١)، ط. المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٣هـ. (عبدالرزاق، عن محمد بن راشد قال: أخبرني محمد بن إسحاق، وأبو معشر).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: أن زواج المرأة التي مات عنها زوجها حقٌّ من حقوقها، وأن الزواج من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد جاء فيما سبق أن أمامة رضي الله عنها قد تزوجت بعد زوجها أمير المؤمنين علي رضي الله عنه من المغيرة بن نوفل، وقد جاء في الروايات أن سيدنا علياً كان قد أوصاها حينما حضرته الوفاة بالزواج من المغيرة أو أن تجعل أمر زواجها بعده إلى المغيرة ففعلت، وكان هذا من علي رضي الله عنه فهماً للدين ولحقها فيما أحلّه الله ورغب فيه رسوله، فينبغي عدم إنكار هذا الحق بالنسبة للنساء اللاتي يتوفى عنهن أزواجهن أو يطلّقن؛ لأنّ لهن نفس الحق في الزواج مثل الرجال الذين يطلّقون زوجاتهم أو تتوفى عنهن زوجاتهم.

فالأساس في المجتمع المسلم الحفاظ على السكينة والاستقرار النفسي لكل فرد من أفرادها، وبالزواج يتحقق هذا السكن لكل من الزوجين رجلاً كان أو امرأة على ما جاء في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(٢).

(١) سورة الأعراف، جزء من الآية: (١٨٩).

(٢) سورة الروم، جزء من الآية: (٢١).

ويترتب على تلك السكينة سلامة المجتمع من الأمراض النفسية كما يترتب عليها الإيجابية النافعة للمجتمع.

وقد أكد الرسول هذا الحق للمرأة وجعل زواج الأيم إذا وجدت كفتاً من الأمور التي يطلب فيها التعجيل وعدم التأخير، وقد روى ذلك عن النبي ﷺ سيدنا عليّ ؑ نفسه:

فعن علي بن أبي طالب ؑ أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاث يا علي لا تؤخرهن: الصلاة إذا أتت، والجنائز إذا حضرته، والأيم إذا وجدت كفتاً»^(١).

المفهوم الثاني: الوفاء بالعهد:

ففي التزام السيدة أمّامة وصية زوجها علي ؑ بجعل أمر زواجها بعده إلى المغيرة بن نوفل، وأن تتزوج منه، ورضاها بتلك الوصية، ثم تطبيقها بعد ذلك باستشارة المغيرة في أمر خطبتها من معاوية، ثم زواجها بعد من المغيرة، في هذا وفاء بالعهد الذي جاءت النصوص بالأمر به، وذكرت أن الوفاء بالعهد من صفات المؤمنين وأولي الألباب، المستحقين حُسنَ جزاء الآخرة، وأن عدم الوفاء بالعهد من صفات المنافقين والكفار وبين ذلك ما يلي:

(١) المستدرک علی الصحیحین: ك. النکاح، وقال: هذا حدیث غریب صحیح ولم یخرجه (١٧٦/٢).

فَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى الْأَمْرِ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾^(٢) ومما يدلُّ على أن الوفاء بالعهد من الإيمان وأن من يلتزم به يكون له حُسن الجزاء في الآخرة: قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾... ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾^(٣) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾^(٣).

* * *

(١) سورة النحل، جزء من الآية: (٩١).
(٢) سورة الإسراء، جزء من الآية: (٣٤).
(٣) سورة المؤمنون، آية: (١)، (٨ - ١١).

أم المؤمنين أم حبيبة رضي الله عنها

نبذة عن حياتها:

نسبها: أم حبيبة هي رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف الأموية القرشية، تُكَنَّى أم حبيبة، وهي بها أشهر من اسمها، وأمها صفيّة بنت أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس عمّة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

تاريخ مولدها: وُلدت قبل البعثة النبوية بسبعة عشر عاماً^(١).

(١) الطبقات الكبرى: لابن سعد (٩٦/٨) ط. دار صادر، بيروت، والثقات: لابن حبان (١٣١/٣) ط. أولى، دار الفكر، بيروت ١٩٧٥م، والتعديل والتجريح: لأبي الوليد الباجي (١٢٨٣/٣) ط. أولى، دار اللواء للنشر، الرياض ١٩٨٦م، ورجال صحيح البخاري: لأبي نصر الكلاباذي (٨٤/٢) ط. أولى، دار المعرفة، بيروت ١٤٠٧هـ، والاستيعاب: لابن عبد البر (١٨٤٣/٤) ط. أولى، دار الجيل، بيروت ١٤١٢هـ، وتاريخ مدينة دمشق: لأبي القاسم علي بن الحسن (١٣٠/٦٩) ط. دار الفكر، بيروت ١٩٩٥م، وتهذيب الأسماء: للنووي (٦٢٢/٢)، ط. أولى، دار الفكر، بيروت ١٩٩٦م، وتهذيب الكمال: لأبي الحجاج المزي (١٧٥/٣٥)، ط. أولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (٢١٨/٢، ٢١٩)، ط. تاسعة، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤١٣هـ، والإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر (٦٥١/٧)، ط. أولى، دار الجيل، بيروت ١٩٩٢م، وتهذيب التهذيب: لابن حجر (٤٤٨/١٢)، ط. أولى، دار الفكر، بيروت ١٩٨٤م، وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال: للخزرجي (٤٩١/١)، ط. خامسة، مكتب المطبوعات، بيروت، حلب ١٤١٦هـ.

زواجها الأول:

تَزَوَّجَهَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، حَلِيفِ حَرْبِ بْنِ أُمِيَّةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَبِيبَةَ، فَكُنِّيَتْ بِهَا، وَعُبَيْدُ اللَّهِ هُوَ أَخُو عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ الَّذِي اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ (١).

هَجَرَتْهَا إِلَى الْحَبَشَةِ: أَسَلَمْتُ مَعَ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشِ الْأَسَدِيِّ قَدِيمًا، وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فِي الْهَجْرَةِ الثَّانِيَةِ، فَوَلَدَتْ لَهُ حَبِيبَةَ رَبِيبَةَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ إِنَّهُ أَدْرَكَهُ الشَّقَاءُ فَأَعْجَبَهُ دِينُ النَّصْرَانِيَةِ فَتَنَصَّرَ، وَارْتَدَّ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَتُوْفِّي بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ نَصْرَانِيًّا، وَثَبَّتَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى دِينِهَا الْإِسْلَامَ وَهَجَرَتْهَا. وَقِيلَ: كَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ بَابْنَتِهَا وَكَانَتْ قَدْ وَلَدَتْهَا بِمَكَّةَ، وَقِيلَ أَيْضًا: إِنَّهَا خَرَجَتْ وَهِيَ حَامِلٌ وَوَلَدَتْهَا فِي الْحَبَشَةِ (٢).

زواجها من الرسول ﷺ: عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِ اللَّهِ ابْنِ جَحْشٍ، فَمَاتَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، فَزَوَّجَهَا النَّجَاشِيَّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَمَهَرَهَا عَنْهُ أَرْبَعَةَ آلَافٍ، وَبَعَثَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَعَ

(١) الطبقات الكبرى (٩٦/٨)، والاستيعاب (٤/١٨٤٥)، وتهذيب الأسماء: للنووي (٢/٦٢٢).

(٢) سنن البيهقي: ك. النكاح، والطبقات الكبرى (٩٦/٨)، ورجال صحيح البخاري: لأبي نصر الكلاباذي (٢/٨٤٣)، وتاريخ مدينة دمشق (٦٩/١٣٥)، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (١/٤٤١)، وتاريخ الإسلام: للذهبي (٢/٣١٢) ط. أولى، دار الغد العربي، مصر ١٩٩٦م.

شُرْحِيلُ بْنُ حَسَنَةَ^(١).

وكان الرسول ﷺ قد أرسل إلى النجاشي أن يُزَوِّجَهُ إِيَّاهَا بَعْدَ أَنْ وَقَّتْ عَدَّتَهَا فَوَافَقَتْ، وكان وليُّها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي، وكان ذلك سنة ست من الهجرة، أو سنة سبع من الهجرة، وجهَّزها النجاشي إليه ﷺ وبعث بها مع شُرْحِيلِ بْنِ حَسَنَةَ وكان لها يوم قدم بها المدينة بضع وثلاثون سنة، وبنى بها سنة سبع^(٢).

وفاتها: الأكثرون على أنها ماتت سنة أربع وأربعين في خلافة معاوية، وجزم به بعضهم^(٣).

(١) المستدرك على الصحيحين، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (١٩٨/٢)، وسنن أبي داود: ك. النكاح، باب الصداق، وسنن النسائي (المجتبى): ك. النكاح، باب القسط في الأصدقاء، وسنن الدارقطني: ك. النكاح، باب المهر. ط. دار المعرفة، بيروت ١٩٦٦م، والسنن الكبرى: للنسائي (٣/٣١٥)، ط. أولى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩١م.

(٢) المنتخب من كتاب أزواج النبي: للزبير بن بكار: ص (٥٠، ٥١) ط. أولى، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٣هـ، والطبقات الكبرى (٩٧/٨)، والمستدرك على الصحيحين (٤/٢٤)، وتهذيب الأسماء: للنووي (٢/٦٢٢)، والمنتقى لابن الجارود (١/١٧٩) ط. أولى، مؤسسة الكتاب، بيروت ١٩٨٨م، والاستيعاب (٤/١٨٤٥)، وصفة الصفوة (٢/٤٢ - ٤٤) لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي، ط. ثانية، دار المعرفة، بيروت ١٩٧٩م، وسير أعلام النبلاء: للذهبي (١/٤٤١)، (٢/٢٢٠، ٢٢١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٥٢).

(٣) انظر: المعرفة والتاريخ: لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (٣/٣٢٧) دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٩م، والثقات: لابن حبان (٢/١٤٠)، ورجال صحيح البخاري (٢/٨٤٤)، والتعديل والتجريح: لأبي الوليد الباجي (٣/١٢٨٣)، ومولد العلماء ووفياتهم: لمحمد بن عبدالله الربيعي (١/١٤٢) ط. أولى، دار العاصمة، =

وقال ابن حبان، وابن قانع، والمفضل الغلابي: ماتت سنة اثنتين وأربعين^(١).

- وعن ابن أبي خيثمة أنها توفيت في سنة تسع وخمسين، وضعفه الذهبي، وابن حجر^(٢).

المواقف الأسرية في حياة أم حبيبة رضي الله عنها

الموقف الأول: هجرتها مع زوجها إلى الحبشة

هاجرت أم حبيبة مع زوجها عبيد الله بن جحش من مكة مسلمين إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، ثم افتتن وتنصر وارتد عن الإسلام وفارقها، وتوفي بأرض الحبشة نصرانياً، وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها، وروي أنها ولدت حبيبة ابنتها من

= الرياض ١٤١٠هـ)، والاستيعاب (٤/١٨٤٥، ١٩٢٩)، وتاريخ مدينة دمشق (٦٩/١٣٦، ١٥٢)، وتهذيب الكمال (٣٥/١٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٢)، والكاشف: للذهبي (٢/٥٠٨)، ط. أولى، دار القبلة للثقافة، جدة ١٩٩٢م، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٤٨)، وخلاصة تدهيب التهذيب الكمال: للخزرجي الأنصاري اليمني (١/٤٩١)، وإسعاف المبتطأ: للسيوطي، ص ٣٥ المكتبة التجارية، ١٩٦٩م.

(١) انظر: الثقات (٣/١٣١)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٥٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٤٨).

(٢) انظر: التعديل والتجريح: لأبي الوليد الباجي (٣/١٢٨٣)، ورجال صحيح البخاري (٢/٨٤٤)، وتاريخ مدينة دمشق (٦٩/١٣٦، ١٥٢)، وتهذيب الكمال (٣٥/١٧٥)، وسير أعلام النبلاء (٢/٢٢٢)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٥٣)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٤٨).

عبيد الله بن جحش بمكة قبل أن تُهاجر إلى أرض الحبشة وخرجت بها معها في الهجرة إلى أرض الحبشة، وروي أيضاً أنها خرجت بها معها في الهجرة إلى أرض الحبشة، وروي أيضاً أنها خرجت من مكة وهي حامل بها فولدتها بأرض الحبشة^(١).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :

مشاركة الزوجة المسلمة زوجها في الضراء وتحمل المشاق، خصوصاً إذا كان ذلك في سبيل طاعة الله تعالى .


ف نجد أن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها رغم أن أبها كان من سادات مكة وكبرائها لم تأنف أو تتكبر أو تتأفف من أن تتبع زوجها في هجرته من بلدهما مكة إلى أرض غريبة، وتترك أهلها وأرضها التي نشأت وترعرعت فيها، وتذهب معه إلى مكان مجهول تعيش فيه غريبة، تاركة ما كانت فيه من عزٍّ وطمأنينة بالأهل والنسب؛ إيماناً منها بحق زوجها عليها ووجوب طاعته، لأنه أعظم الناس حقاً عليها، فنجدها قد ضحّت بكل ما ألفته مفضّلة ملازمتها لزوجها خصوصاً وأنهما هاجراً في مرضاة الله؛ وحفاظاً على دينهما من أن يفتنا

(١) المستدرك على الصحيحين (٢١/٤)، والطبقات الكبرى (٢٠٧/١)، (٩٦/٨، ٩٧)،
والتعديل والتجريح (١٢٨٣/٣)، ورجال صحيح البخاري (٨٤/٢)، وصفة الصفوة
(٤٢/٢)، والاستيعاب (٤/١٨٤٤، ١٩٢٩)، وتاريخ مدينة دمشق (٣/١٧٣)، (٦٩/
١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٥)، وتهذيب الأسماء (٢/٢٢٢)، وتهذيب الكمال (٣/٣)
(١٧٥)، وسير أعلام النبلاء (١/٤٤١)، (٢/٢٢٠)، والكشاف (٢/٥٠٨)،
والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٥١)، وتهذيب التهذيب (١٢/٤٤٨).

فيه، أو أن يُمنَعَا من القيام بعبادة الله تعالى كما يجب. فنخلص من هذا أنه على كلا الزوجين أن يقوي كلّ منهما الآخر، ويحثّه على ما يجعله يقوم بواجباته الدينية، ويحرص على أوامر الدين، ولا يكون عقبةً تعترض الآخر، وتُصعّبُ عليه الالتزام بأوامر الدين وأداء العبادات على أكمل وجه، وأن يمكن كلّ منهما الآخر من عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، حتى وإن اضطرهما ذلك إلى تكبّد مشاق الحياة والبُعد عن الأهل والوطن في سبيل دين الله؛ إثارةً للدار الآخرة وحسن الجزاء فيها على الاهتمام بمتع الدنيا الزائلة المنقوصة.

الموقف الثاني: ثباتها على دينها وهجرتها

كان عبيد الله بن جحش قد هاجر بأمّ حبيبة معه من مكة إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية، فتنصّر وارتدّ عن الإسلام، وثوّفي بأرض الحبشة وثبتت أم حبيبة على دينها الإسلام وهجرتها^(١).

وأبت أن تنصّر فأتم الله لها الإسلام والهجرة وثبتها عليهما، وبقيت مسلمة بأرض الحبشة إلى أن هاجرت إلى المدينة وتزوجها الرسول ^(٢).

(١) الطبقات الكبرى (٩٦/٨)، وصفة الصفوة (٤٢/٢).

(٢) رجال صحيح البخاري (٨٤٣/٢)، والتعديل والتجريح (١٢٨٣/٣)، والاستيعاب (٤/١٨٤٤، ١٩٢٩)، وتاريخ مدينة دمشق (١٧٣/٣)، (١٣٦/٦٩).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: قوة الإيمان في النفوس، وأثره في الشخصية الإيمانية:

فوجد أن السيدة أم حبيبة رضي الله عنها حين ارتدَّ زوجها عن الإسلام لم تتأثر به رغم أنها قبل ذلك تركت الأهل والوطن وخرجت معه مهاجرة إلى أرض غريبة ليس لها فيها أقرب إليها منه، ورغم ذلك حين ارتدَّ عن الإسلام لم تتأثر به ولم تخف من العُرْبِيَّة، ولم تُحاول أن تَرْجِعَ إلى أهلها في مكة، بل كان الإيمان بالله والتوكل عليه أقوى سند لها في غربتها، فلم تترك الإسلام ولم تحاول أن تترك أرض هجرتها؛ حفاظاً منها على دينها، وشدَّة في تمسُّكها به، ولم تضعف لفقد زوج أو أهل فإن حسبها الله وهو نعم الحسيب والمعين؛ ولم تتحجج بالهجرة التي يتحجج بها المتقاعسون عن نُصرة الدين بالضعف وقلة القوة والحيلة، بل تمسكت بدينها وبقيت في أرض غريبة دون أهل أو زوج حفاظاً على دينها، وحرصاً على الخير الباقي وهو رضا الله وحسن جزاء الآخرة، في وقت لو رجعت فيه إلى أهلها - بما يترتب على ذلك من عدم تمكُّنها من القيام بأمور دينها إذا منعها أهلها - لم يكن ليلومها أحد. فيجب علينا نحن المسلمين التمسك بدين الله، والالتزام بأوامره واتباعها دون خوفٍ من أحدٍ أو مجاراة للتدخلات الخارجية خوفاً من عواقب يوهمنا بها أولياء الشيطان، لأن تلك المخاوف لا قيمة لها في جانب ما يجب أن نخافه فلن يقارن أبداً أي شر في الدنيا بعذاب الآخرة،

فالأولى الخوف من الله وليس من أولياء الشيطان ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١).

المفهوم الثاني: الحذر من فتنة الأهل، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والتوكل على الله وحده، وإيثار الآخرة على الأولى، وحبها لله ورسوله أكثر من أهلها وزوجها

إن السيدة أم حبيبة ابتليت في زوجها حين ارتد، لكن قوة إيمانها أنجتها من الوقوع في هذه الفتنة، وأبت أن ترتد عن الإسلام تأثراً بزوجها، أقرب الناس إليها في غربتها، وفي هذا درس ينبغي الاستفادة منه، بأن نحذر من نقاط ضعفنا الإنساني، حتى لا نقع في المهلكات، وتضيع حياتنا سدى، ولا نجد في الآخرة دار الجزاء إلا الخسار والبوار وسوء العقاب، بسبب ما قدمنا من سوء العمل في دار العمل.

ومن نقاط ضعفنا الإنساني التأثر بمن نُحبُّ من أهل وزوج وولد، فيجب أن نحذر من ذلك، وأن نجعل الدين هو الحكم والفيصل والمزجعية في كل أمورنا، فإذا وجدنا ما يضرنا في ديننا فيجب أن نتعد عنه، ويجب أن يكون حب الله ورسوله أقوى من أي حب، عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون لله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب

(١) سورة آل عمران، الآية: (١٧٥).

الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْدَفَ فِي النَّارِ»^(١).

عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٢).

وفي رواية عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»^(٣). فينبغي الحذر من الفِتْنَةِ بمن نحب من الأهل حتى لا يكونوا سبباً في البُعد عن منهج الله تعالى، وقد حذرنا الله تعالى في كتابه العزيز من فتنة الأهل فقال تعالى: ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٤) ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِن آزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عُدُوًّا لَّكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾^(٥) ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٥).

(١) صحيح البخاري: ك. الإيمان، باب حلاوة الإيمان، وباب من كره أن يعود في الكفر، ك: الأدب، باب الحب في الله، ك: الإكراه، باب (١)، وصحيح مسلم: ك. الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٢) صحيح البخاري: ك. الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان، صحيح مسلم، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين.

(٣) صحيح مسلم، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين.

(٤) سورة الأنفال: الآية (٢٨).

(٥) سورة التغابن: الآيتان (١٤، ١٥).

وقد جعل الله تعالى من صفات المؤمنين عدم موادة من يُحَادُّونَ الله ورسوله مهما بلغت قرابتهم بهم، وهم بذلك حزب الله الْمُفْلِحُونَ: ﴿لَا يَحِدُّ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(١).

كما توعد الله تعالى من يحب أي شيء أكثر من طاعة الله ورسوله بالعقاب، ووصفه بالفسق: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾^(٢).

كما أمرنا الله تعالى بعدم طاعة أي أحد مهما كانت قرابته في معصية الله، فقال تعالى بعد أن أوجب طاعة الوالدين: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾^(٣).

(١) سورة المجادلة: الآية (٢٨).

(٢) سورة التوبة: الآية (٢٤ط).

(٣) سورة لقمان: جزء من الآية (١٥).

وأن نعلم أن الأهل والزوج والولد لن ينفعوننا يوم القيامة إذا ما جئنا عن منهج الله تعالى: ﴿لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ﴾^(١)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

فيجب أن نفكر ونتدبر ونحرص على حسن الجزاء في الآخرة؛ فنؤثر الآخرة على الدنيا: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾^(٣)، ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٤)، ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٥)، ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٦).

(١) سورة الممتحنة: جزء من الآية (٣).

(٢) سورة آل عمران: جزء من الآية (١١٦) وسورة المجادلة: جزء من الآية (١٧).

(٣) سورة النحل: جزء من الآية (٩٦).

(٤) سورة الأعلى: الآيتان (١٦، ١٧).

(٥) سورة التوبة: جزء من الآية (٣٨).

(٦) سورة القصص: الآية (٦٠).

الموقف الثالث: تفضيلها الله ورسوله على أهلها

وقد ظهر ذلك في موقفين:

(١) في عدم تمكينها أباهما - وهو مشرك - من الجلوس على فراش الرسول ﷺ:

عن الزهري قال: لما قدم أبو سفيان بن حرب المدينة، جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزوة مكة، فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية، فلم يقبل عليه رسول الله، فقام فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش النبي ﷺ طوته دونه، فقال: «يا بنية، أرغبت بهذا الفراش عني أم بي عنه؟ فقالت: بل هو فراش رسول الله، وأنت امرؤ نجس مشرك، فقال: يا بنية، لقد أصابك بعدي شر»^(١).

وعن هشام الكعبي قال: أقبل أبو سفيان حتى قدم المدينة، فدخل على النبي ﷺ فقال: يا محمد، إني كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ: ولذلك قدمت يا أبا سفيان؟ قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: فنحن على مدتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغير ولا نبدل، ثم قام من عنده، فدخل على ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ

(١) أخرجه ابن سعد بسنده (أخبرنا محمد بن عمر حدثنا محمد بن عبدالله عن الزهري)، (الطبقات الكبرى ٨/٩٩، ١٠٠)، كذا في سير أعلام النبلاء (٢/٢٢٣)، والإصابة في تمييز الصحابة (٧/٦٥٣).

طوته دونه؛ فقال: أرغبت بهذا الفراش عني أو بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجس مشرك. قال: يا بنية، أقد أصابك بعدي شر؟ قالت: هداني الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقط عنك الدخول في الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟! قال: يا عجباه! وهذا منك أيضاً؟! أترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد؟! ثم قام من عندها^(١).

(٢) في انقيادها لأوامر الدين في ترك الحداد على أبيها في اليوم الثالث لوفاته رغم حبها له

عن زينب ابنة أبي سلمة قالت لما جاء نعي أبي سفيان من الشام دعت أم حبيبة - رضي الله عنها - بصفرة في اليوم الثالث، فمسحت عارضينها^(٢) وذراعينها وقالت إني كنت عن هذا لعنينة، لولا أنني سمعت النبي ﷺ يقول «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدد على ميت فوق ثلاث، إلا على زوج، فإنها تحدد عليه أربعة أشهر وعشراً»^(٣).

وفي رواية أخرى: قالت: «والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول»^(٤). . . الحديث.

(١) أخرجه بسنده في تاريخ مدينة دمشق (١٥٠/٦٩، ١٥١).

(٢) العارضان: جانبا الوجه.

(٣) صحيح البخاري: ك. الجنائز، باب حد المرأة على غير زوجها.

(٤) صحيح البخاري: ك. الطلاق، باب تحد المتوفى عنها زوجها أربعة أشهر وعشراً،

وصحيح مسلم: ك. الطلاق، باب وجوب الإحداد في عدة الوفاة. . . =

المفهوم التربوي المستفادة من الموقف السابق :

حب الله ورسوله أكثر من الوالدين والولد ومن الناس أجمعين

وقد ظهر هذا واضحاً في طيِّ السيدة أم حبيبة فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيها حتى لا يجلس عليه، فهي رغم حبِّها لأبيها - والذي ظهر بعد ذلك في حرصها على دعوته إلى الإسلام حتى لا يُحرَم من خيره في الدنيا وفي الآخرة، وحتى لا يُصيبه شرّ العقاب في الدنيا والآخرة - رغم حبِّها منعت أباها من الجلوس على فراش الرسول صلى الله عليه وسلم لا لشيء إلا لأنه مشرك، فكان فعلها هذا في قِمة الإيمان، فقد حرصت على أن تكون متّصفة بصفات المؤمن الذي يجد حلاوة الإيمان في حبِّ الله ورسوله أكثر من الأهل والناس أجمعين، ولم تَمِل إلى العصبية إلى الأهل، بل كان ولاؤها للدين وأوامره، مطبقة بذلك ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه أنس بن مالك عنه رضي الله عنه قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون لله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يُقذَف في النار»^(١).

= وسنن أبي داود: ك. الطلاق، باب إحداد المتوفى عنها زوجها، وسنن الترمذي: ك. الطلاق واللعان، باب ما جاء في عدة المتوفى عنها زوجها، وسنن النسائي: ك. الطلاق، باب ترك الزينة للحادة المسلمة...، والموطأ: ك. الطلاق، والمسند (٤٢٦/٦).

(١) صحيح البخاري: ك. الإيمان، باب حلاوة الإيمان، وباب من كره أن يعود في الكفر. وصحيح مسلم: ك. الإيمان باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

وعن أنسٍ أيضاً عن النبي ﷺ قال: «لا يُؤمن أحدكم حتّى أكون أحبّ إليه من والدهِ وولديهِ والناسِ أجمعين»^(١) وفي رواية عن أنسٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ «لا يُؤمن عبدٌ حتّى أكون أحبّ إليه من أهلهِ ومالهِ والناسِ أجمعين»^(٢).

فينبغي على المؤمن أن يقدم طاعة الله ورسوله وحبهما على طاعة وحب غيرهما مهما بلغ هذا الغير من القرب والمحبة والحق، حتى يجد حلاوة الإيمان، ويُرضي الله ورسوله؛ لينال خيري الدنيا والآخرة بإذن الله تعالى.

وحبّ الله والرسول يكون في التزام طاعتهما حتى وإن كان في تلك الطاعة مشقة ومجاهدة لطبيعة النفس، وقد تجلّى ذلك منها كما قلنا في تركها الحداد على أبيها في اليوم الثالث بعد وفاته، وتطيّبها رغم عدم رغبتها في الطيب، وقد ذكرت ذلك وأخبرت أنّها ما فعلت ذلك إلا التزاماً منها بطاعة الرسول ﷺ، وحرصاً منها على ألا تفعل ما حرّم على المؤمنة.

(١) صحيح البخاري: ك. الإيمان باب حب الرسول ﷺ من الإيمان. وصحيح مسلم: باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل، والولد، والوالد، والناس أجمعين.
(٢) صحيح مسلم: باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل، والولد، والوالد، والناس أجمعين.

الموقف الرابع: صلّتها لرحمها

وقد ظهر ذلك منها في عدّة مواقف تُبين فيها شدّة حبّها لأهلها ورحمها، وحرصها على الخير لهم وهي:

(١) في دعوتها أباهما إلى الإسلام:

عن هشام الكعبي قال: أقبل أبو سفيان حتى قدم المدينة، فدخل على النبي ﷺ فقال: يا محمد، إنّي كنت غائباً في صلح الحديبية فاشدد العهد وزدنا في المدة، فقال رسول الله ﷺ: ولذلك قدمت يا أبا سفيان؟ قال: نعم. فقال رسول الله ﷺ: فنحن على مدّتنا وصلحنا يوم الحديبية لا نُغير ولا نبدّل، ثم قام من عنده، فدخل علي ابنته أم حبيبة، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه؛ فقال: أرغبت بهذا الفراش عني أو بي عنه؟ قالت: بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امرؤ نجسٍ مشرك. قال: يا بنية، أقد أصابك بعدي شر. قالت: هداني الله للإسلام، وأنت يا أبت سيد قريش وكبيرها، كيف يسقطُ عنك الدخول في الإسلام وأنت تعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر؟! قال: يا عجباه! وهذا منك أيضاً؟! أترك ما كان يعبد آبائي وأتبع دين محمد؟! ثم قام من عندها^(١).

(١) أخرجه بسنده في تاريخ مدينة دمشق (٦٩/١٥٠، ١٥١).

(٢) في دعائها لزوجها ولأبيها وأخيها بطول العمر

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ «اللَّهُمَّ
أَمْتَعْنِي بِزَوْجِي رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبِأَبِي أَبِي سُفْيَانَ وَبِأَخِي مُعَاوِيَةَ. قَالَ
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «قَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ لِأَجَالِ مَضْرُوبَةٍ، وَأَيَّامِ مَعْدُودَةٍ،
وَأَرْزَاقِ مَقْسُومَةٍ، لَنْ يُعَجَّلَ شَيْئًا قَبْلَ حِلِّهِ أَوْ يُؤَخَّرَ شَيْئًا عَنْ حِلِّهِ،
وَلَوْ كُنْتِ سَأَلْتِ اللَّهَ أَنْ يُعِيدَكَ مِنْ عَذَابِ فِي النَّارِ، أَوْ عَذَابِ فِي
الْقَبْرِ كَانَ خَيْرًا وَأَفْضَلَ»^(١).

(٣) في عنايتها بأخيها وحرصها على حسن مظهره

عَنْ أَسْلَمَ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَجَدَ رِيحَ
طَيْبٍ وَهُوَ بِالشَّجَرَةِ، فَقَالَ مِمَّنْ رِيحُ هَذَا الطَّيْبِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي
سُفْيَانَ مَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ مِنْكَ لَعَمْرُ اللَّهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ إِنَّ أُمَّ
حَبِيبَةَ طَيَّبَتْني يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ^(٢) ..

- وعن الزُّهْرِيِّ قَالَ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ يُحَدِّثُ عَنْ عُمَرَ بْنِ
الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ وَجَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

(١) صحيح مسلم: ك. القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص
عما سبق به القدر، ومسنَد أحمد عن أم حبيبة (١/٣٩٠، ٤١٣، ٤٣٣، ٤٤٥،
٤٦٦).

(٢) الموطأ: ك. الحج، ما جاء في الطيب في الحج، وسنن البيهقي: ك. الحج، باب
الطيب للإحرام.

رِيحٍ طِيبٍ وَهُوَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ وَهُمْ حُجَّاجٌ فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِمَّنْ رِيحُ هَذَا الطَّيِّبِ؟ قَالَ: شَيْءٌ طَيَّبْتَنِي أُمُّ حَبِيْبَةَ^(١) . . . الحديث.

(٤) فِي عَطْفِهَا عَلَى ابْنِ أُخْتِهَا وَإِكْرَامِهِ:

- عَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ سَعِيدٍ بْنَ الْمُغْبِرَةَ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أُمِّ حَبِيْبَةَ فَسَقَّتَهُ قَدْحًا مِنْ سَوِيْقٍ^(٢) فَدَعَا بِمَاءٍ فَتَمَضَّمَصَ . فَقَالَتْ يَا ابْنَ أُخْتِي أَلَا تَوَضُّأُ؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «تَوَضُّأُوا مِمَّا غَيَّرَتِ النَّارُ» . أَوْ قَالَ: «مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ»^(٣) .

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَخْبَرَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْأَخْنَسِ بْنِ شَرِيْقٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أُمِّ حَبِيْبَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ فَسَقَّتَهُ سَوِيْقًا، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ تَوَضُّأُ يَا ابْنَ أُخْتِي فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تَوَضُّؤُوا مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ»^(٤) .

(٥) طَلَبُهَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُخْتَهَا حَرَصًا عَلَى أَنْ تَنَالَ أُخْتَهَا الْخَيْرَ بِزَوَاجِهَا مِنَ الرَّسُولِ ﷺ

عَنْ زَيْنَبِ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّ أُمَّ حَبِيْبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ أَخْبَرَتْهَا أَنَّهَا

(١) سنن البيهقي: ك. الحج، باب الطيب للإحرام.

(٢) السويق: طعام يتخذ من دقيق الحنطة والشعير.

(٣) سنن أبي داود: ك. الطهارة، باب التشديد في ذلك، والمسند (٦/٣٢٦، ٣٢٧). وقد نُسخ هذا الحكم.

(٤) سنن النسائي: ك. الطهارة، باب الوضوء مما غيرت النار.

قالت يا رسول الله أنكح أختي بنت أبي سفيان فقال: «أوتحبين ذلك؟». فقلت نعم، لست لك بمخلية^(١)، وأحب من شاركني في خير أختي. فقال النبي ﷺ «إن ذلك لا يحل لي»^(٢).. الحديث.

وفي رواية أخرى: عن زينب بنت أبي سلمة أن أم حبيبة زوج النبي ﷺ حدثتها أنها قالت لرسول الله ﷺ يا رسول الله أنكح أختي عزة. فقال رسول الله ﷺ «أتحبين ذلك». فقالت نعم يا رسول الله لست لك بمخلية وأحب من شركني في خير أختي. فقال رسول الله ﷺ «فإن ذلك لا يحل لي»^(٣).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

المسلم جزء من كل، فهو لبنة في البناء التربوي يود أن يراه نموذجاً يحتذى به، وانتماؤه للأسرة الصغيرة يتدرج به حتى يصل

(١) بمخلية: لست بمتفرغة ولا خالية من ضرة.

(٢) البخاري: ك. النكاح، باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم)، وباب (وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن)، وباب (وأن تجمعوا بين الأختين)، و: ك. النفقات، باب المراضع من المواليات وغيرهن، وصحيح مسلم: ك. الرضاع، باب تحريم الربيبة وأخت الزوجة. وسنن أبي داود: ك. النكاح، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. وسنن النسائي: ك. النكاح، باب تحريم الربيبة التي في حجره، وتحريم الجمع بين الأم والبنت، وتحريم الجمع بين الأختين. والمسند/ ٦/ ٢٩١، ٣٠٩/٦، ٤٢٨/٦.

(٣) صحيح مسلم: ك. الرضاع، باب تحريم الربيبة وأخت الزوجة، وسنن ابن ماجه: ك. النكاح، باب يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب.

إلى الأسرة الكبيرة ومن ثم المجتمع . ومن هنا فهو أحرص من غيره على «الجوار القريب له» سواء أهله: زوجه أو أولاده . . . أم الأقرب فالأقرب . . . لذلك جاء التوجيه القرآني: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١).

وكلما نجح المسلم في دعوة الدوائر القريبة له كلما مكّنه ذلك من النجاح في الدوائر البعيدة.

إن ميدان عمل المسلم ابتداءً - فيمن يعول . . ثم تتسع اهتماماته لتشمل المسلم في كل مكان، وهو مسؤول بناء على ذلك - أمام «الأرحام» وصلتهم والدوام على ذلك ومتابعتهم . . وفي الوقت نفسه لا ينسى الآخرين . . وليس هناك تعارض لأن أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم وأقواله تجعل الاهتمام بالأمرين يسع عمل المسلم، إذ لو طبق كل مسلم هديه في صلة أرحامه لما بقي أحد في الدوائر الأخرى .

من هنا فإن النتائج العظيمة لهذا المفهوم التربوي تتجلى في بسط الرزق وطول العمر: «من أراد أن يبسط له في رزقه وينسأ له في عمره فليصل رحمه»^(٢).

* * *

(١) سورة الشعراء، الآية: (٢١٤).

(٢) رواه البخاري (١٩٦١)، كتاب البيوع، باب من أحب البسط له في رزقه، ورواه مسلم

(٢٠٥٧)، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم.

أم رومان رضي الله عنها

نبذة عن حياتها:

نسبها: أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة الكنانية، هذا نسبها في أغلب كتب التراجم، قال ابن عبد البر: والخلاف في نسبها من أبيها إلى كنانة كبير جداً، وأجمعوا أنها من بني غنم بن مالك بن كنانة^(١).

قدومها مكة وزواجها من أبي بكر رضي الله عنه:

قال الواقدي: كانت أم رومان تحت عبد الله بن الحارث بن سخبرة الأسدي فقدم بها مكة، فحالف أبا بكر قبل الإسلام، وتوفي عنها وقد ولدت له الطفيل، ثم خلف عليها أبو بكر، فولدت له عبد الرحمن وعائشة رضي الله عنهما؛ فهما أخوا الطفيل لأمه،

(١) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد (٢٧٦/٨)، والثقات لابن حبان (٢٤٩/٣)، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (١٩٣٥/٤، ١٩٣٦)، وتهذيب الكمال، لأبي الحجاج المزي (٣٥٨/٣٥، ٣٥٩)، والتعديل والتجريح، لأبي الوليد الباجي (١٢٩٩/٣)، ورجال صحيح البخاري، لأبي نصر الكلاباذي (٢/٨٥٨، ٨٥٩)، ورجال مسلم، لأبي بكر بن منجويه (٤١٣/٢)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١٣٥/٢)، والإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٢٠٦/٨ - ٢٠٩).

وعلى قوله تكون نسبة الطفيل إلى قريش بالحلف لا بالنسب^(١).

إسلامها: أسلمت أم رومان بمكة قديماً، وهاجرت إلى المدينة مع أهل رسول الله وولده وأهل أبي بكر رضي الله عنه^(٢).

فقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: «لم أعقل أبوي إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بُكرةً وعشيّةً...»^(٣).

وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها ولدت في السنة الرابعة من النبوة في أولها^(٤).

هجرتها: عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة خلفنا وخلف بناته، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة وأبا رافع وأعطاهما بغيرين وخمسمائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بها ما نحتاج إليه من الظهر، وبعث أبو بكر عبد الله بن أريقط الليثي بغيرين أو ثلاثة، وكتب إلى ابنه عبد الله يأمره أن

(١) الطبقات الكبرى (٢٧٦/٨)، والتعديل والتجريح (١٢٩٩٨/٣)، وتهذيب الكمال (٣٩٠/١٣)، والإصابة (٢٠٦/٨ - ٢٠٩)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٥/١٣)، (٤٩٤/١٢)، ورجال صحيح البخاري (٨٥٨/٢، ٨٥٩).

(٢) الطبقات الكبرى (٢٧٦/٨)، والإصابة (٢٠٦/٨ - ٢٠٩)، وصفة الصفوة، لابن الجوزي (٦٠/٢).

(٣) صحيح البخاري، ك. الصلاة، باب (٥٢) المسجد يكون في الطريق...، و: ك. الكفالة، باب (٤) جوار أبي بكر...

(٤) الطبقات الكبرى (٧٨/٨).

يحمل أهله أم رومان وأنا وأختي أسماء، فخرجوا فلما انتهوا إلى قديد اشترى زيد بتلك الدراهم ثلاثة أبعرة، ثم دخلوا مكة، وصادفوا طلحة يريد الهجرة بآل أبي بكر، فخرجنا جميعاً، وخرج زيد وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة وأم أيمن وأسامة، فاصطحبنا جميعاً حتى إذا كنا بالبيداء نفر بعيري، وقدامي محفة فيها أمي فجعلت أمي تقول: وابنتاه واعروساه، حتى أدرك بعيرنا فقدمنا والمسجد يبنى^(١).

وفاتها: اختلف النقل في سنة وفاتها؛ فقيل: إنها توفيت سنة أربع أو خمس أو ست في عهد النبي ﷺ، وردَّ البخاري هذه الأقوال في تاريخه (الأوسط، والصغير)، وذكر أم رومان في فصل من مات في خلافة عثمان، قال ابن حجر: وذكر الزبير بن بكار (بسند منقطع فيه ضعف) أن أم رومان ماتت سنة ست في ذي الحجة، وقال أبو نعيم الأصبهاني: عاشت أم رومان بعد النبي ﷺ دهرًا، وقد جزم إبراهيم الحربي بأن مسروقاً سمع من أم رومان وله خمس عشرة سنة، فعلى هذا يكون سماعه منها في خلافة عمر لأن مولد مسروق كان في سنة الهجرة.

وقد ردَّ ابن حجر القول بأنها ماتت في عهد الرسول ﷺ بما يلي:

- بما أخرجه الزبير بن بكار عن علي بن زيد أن عبد الرحمن بن

(١) الاستيعاب، لابن عبد البر (٤/١٩٣٦، ١٩٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/١٥٢)،

والإصابة (٨/٢٠٦ - ٢٠٩).

أبي بكر خرج في فتية من قريش قبل الفتح إلى النبي ﷺ وكذا قال محمد بن سعد إن إسلامه كان في صلح الحديبية . وكان أول الصلح في ذي القعدة (سنة ست) بلا خلاف، والفتح كان في رمضان (سنة ثمان)، وقد ثبت في الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في قصة أضياف أبي بكر قال عبد الرحمن: «أن أصحاب الصفة كانوا ناساً فقراء»... الحديث.. قال عبد الرحمن «وإنما هو أنا وأمي وامراتي وخادم بيتنا» وفي رواية أخرى للبخاري: «فلما جاء أبو بكر قالت له أمي احتبست عن أضيافك» وأم عبد الرحمن هي أم رومان بلا خلاف، وإسلام عبد الرحمن كان بين الحديبية والفتح، وهذه القصة كانت بعد إسلامه قطعاً فلا يصح أن تكون ماتت في آخر (سنة ست)، وهجرة عبد الرحمن في (سنة سبع) في قول ابن سعد، وفي قول الزبير فيها أو في التي بعدها، فاتضح أن أمه كانت حينئذ حية فدل على وهم من قال أنها ماتت سنة ست.

- وبما أخرجه الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها: لما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله ﷺ بي فقال: «يا عائشة إنني عارض عليك أمراً فلا تعجلي فيه بشيء حتى تعرضيه على أبويك أبي بكر وأم رومان...» قالت: فقلت: فإنني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة، ولا أوامر في ذلك أبا بكر وأم رومان؛ فضحك «قال ابن حجر: هذا إسناد جيد وأصله في الصحيحين من طريق أبي هريرة عن أبي سلمة بلفظ: «استأمرني أبويك» ولم

يسمهما وآية التخيير نزلت (سنة تسع) اتفاقاً والحديث مصرح بأن أم رومان كانت حية حينئذ^(١).

المواقف الأسرية في حياة السيدة أم رومان عليها السلام

الموقف الأول: خوفها الشديد على ابنتها وحنوها عليها
ويظهر ذلك في عدة مواقف:

أولها: في طريق الهجرة إلى المدينة نفر البعير الذي كان يحملها هي وابنتها عائشة رضي الله عنهما نفوراً منكرأً، فلم تبال أو تخف على نفسها، وإنما كان كل همها ابنتها، ويبين هذا الرواية التالية:

فعن عائشة عليها السلام قالت: قدمنا مهاجرين، فسلكننا في ثنية ضعينة، فنفر جملٌ كنت عليه نفوراً منكرأً، فوالله ما أنسى قول أمي: يا عريسة، فركب بي رأسه، فسمعت قائلاً يقول: ألقى خطامه. فألقيته، فقام يستدير كأنما إنسان قائم تحته^(٢).

- وعن عائشة عليها السلام أيضاً أنها سألت: متى بنى بك رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت: لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة خلفنا وخلف

(١) انظر: الإصابة (٢٠٦/٨ - ٢٠٩)، وتهذيب التهذيب (٤٩٤/٢، ٤٩٥)، وتقريب التقريب، لابن حجر، ص: (٧٥٦)، وفتح الباري: ك. المغازي، و: ك. التفسير، باب «وإن كنتن تردن الله ورسوله».

(٢) المعجم الكبير للطبراني: باب نظر عائشة إلى جبريل عليه السلام (١٨٣/٢٣)، ومجمع الزوائد: ك. المناقب، باب في فضل عائشة أم المؤمنين. وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده حسن (٢٢٨/٩).

بناته، فلما قدم المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة، وبعث معه أبا رافع مولاه وأعطاهم بعيرين وخمسائة درهم أخذها رسول الله ﷺ في المدينة من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجان إليه من الظهر، وبعث أبو بكر ﷺ عبد الله بن أريقط الديلي ببعيرين أو ثلاثة، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله أم رومان وأنا وأختي أسماء امرأة الزبير، فخرجوا مصطحبين فلما انتهوا إلى قديد اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة درهم ثلاثة أبعرة، ثم دخلوا مكة جميعاً، وصادفوا طلحة بن عبيد الله يريد الهجرة بأل أبي بكر، فخرجنا جميعاً وخرج زيد بن حارثة وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة وحمل زيد أم أيمن وأسامة بن زيد، وخرج عبد الله بن أبي بكر بأم رومان وأختيه، وخرج طلحة بن عبيد الله واصطحبنا جميعاً حتى إذا كنا بالبيض من مئى نفر بعيري وأنا في محفة^(١) معي فيها أمي فجعلت أمي تقول: «وابنتاه وعروساه»، حتى أدرك بعيرنا، وقد هبط من لفت فسلم الله^(٢).

(١) المِحْفَةُ: رخل يُحَف بثوب ثم تُركب فيه المرأة، وقيل: مَرَكَب كَالهُودِجِ إِلَّا أَنَّ الْهُودِجَ يُقَبَّبُ وَالْمِحْفَةُ لَا تَقَبَّبُ، سميت بذلك لأن الخشب يُحَفُّ بِالْقَاعِدِ فِيهَا، أي يحيط به من جميع جوانبه. لسان العرب، لابن منظور ص (٩٣٠).

(٢) المستدرك على الصحيحين، للحاكم، ك. معرفة الصحابة (٤/٤، ٥)، وانظر: الاستيعاب، لابن عبد البر (٤/١٩٣٦، ١٩٣٧)، وسير أعلام النبلاء (٢/١٥٢)، والإصابة (٨/٢٠٦)، والمعجم الكبير، للطبراني (٢٣/٢٤)، وأورده الهيثمي في: مجمع الزوائد، بسند الطبراني، وقال: فيه محمد بن الحسن بن زباله، وهو ضعيف (٢٢٧/٩، ٢٢٨).

المفهوم التربوي المستفاد من هذا الموقف:

- الرحمة بالأبناء والحرص عليهم:

فهذا الموقف يُظهر بوضوح شدة حب أم رومان رضي الله عنها لابنتها عائشة رضي الله عنها، وخوفها عليها من أن يصيبها مكروه، رغم أن هذا المكروه كان من الممكن أن يصيبها هي أيضاً؛ لأنها كانت مع ابنتها على نفس البعير النافر، فلم يشغلها أو يشغل بالها الخوف على نفسها، بل نسيت نفسها ولم يكن همّها إلا ابنتها التي ملأ حبها لها وحنوها وخوفها عليها كل تفكيرها، فصارت تصرخ رعباً عليها من أن يصيبها مكروه «وابنتاه وا عروساه» وفي فعلها هذا إيثار لابنتها على نفسها، وظهور لعاطفة الأمومة التي جعلها الله تعالى طبعاً في قلوب ونفوس الأمهات (إلا من شذت نفسها عن فطرة الله تعالى) وفيها الرحمة البالغة التي حثّ الرسول صلى الله عليه وآله الآباء والأمهات والكبار عموماً على التخلّق بها، ورهبّ من لا يرحم الصغير، وذكر أنه لا يتصف أو يتخلّق بخلق الإسلام، وبأنه لا يُرحم؛ فقال صلى الله عليه وآله: «ليس منّا من لم يرحم صغيرنا ويعرف حقّ كبيرنا»^(١).

(١) سنن الترمذي: ك. البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان، وقال: حديث صحيح. والمستدرک على الصحيحين: ك. الإيمان. وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم (١/١٣١)، وآخر كتاب البر والصلة، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد (٤/١٩٧)، وصحيح ابن حبان: ك. البر والإحسان، ذكر الزجر عن ترك توقير الكبير أو رحمة الصغير من المسلمين، وسنن أبي داود: ك. الأدب، باب في الرحمة، ومسند الإمام أحمد بن حنبل (٢/١٨٥).

وهذه الرحمة بالصغير هي التي دعا إليها الرسول ﷺ، وطبقها فعلياً؛ فقد كان ﷺ يتبسط مع أحفاده، ويحملهم ويقبلهم ويلاعبهم، ويرهب من لا يرحم الصغار بأنه لا يرحمه الله، وقد جاء ما يدل على هذا في أحاديث نبوية منها:

عن أبي قتادة قال: بَيْنَا نَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ جُلُوسٌ خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَحْمِلُ أَمَامَهُ بِنْتَ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ وَأُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ صَبِيَّةٌ يَحْمِلُهَا عَلَى عَاتِقِهِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ عَلَى عَاتِقِهِ، يَضَعُهَا إِذَا رَكَعَ وَيَعِيدُهَا إِذَا قَامَ، حَتَّى قَضَى صَلَاتَهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِهَا^(١).

وقال ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ؛ إِرْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»^(٢).

مما سبق يتضح أن هذا الخلق وهو الرحمة بالصغير والحرص عليه يجب أن يتحلى به الآباء والأمهات تأسياً برسول الله ﷺ وطاعة لأمره، ولا يظنون أن التربية لا تكون إلا بالشدة وحدها؛ لأنه بالرحمة وحسن المعاملة يتحقق ما لا يتحقق بالشدة؛ فبالرحمة تكون الصلة قوية ومتينة بين الآباء والأمهات وأبنائهم وبناتهم، وبالتالي يفعل الأبناء ما يريد منهم الآباء بمحبة وإرادة صادقة، أما

(١) صحيح البخاري: ك. أبواب سترة المصلي، باب إذا حمل جارية، وصحيح مسلم: ك. المساجد، باب جواز حمل الصبيان، وسنن أبي داود: ك. الصلاة - باب العمل في الصلاة (واللفظ له)، وسنن النسائي: ك. المساجد، باب إدخال الصبيان المسجد.
(٢) سنن الترمذي: ك. البر والصلة. قَالَ أَبُو عِيْسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

بالشدة وحدها فيفعل الأبناء ما يُطلب منهم لكن دون إرادة صادقة منهم، ويتحिनون الوقت الذي يستطيعون فيه رفض الانصياع لآبائهم؛ فينتهزون أول فرصة يشعرون فيها بالقوة ليخرجوا عن طاعة الوالدين، وخصوصاً عندما يشتد عودهم ويضعف الآباء، وحتى لا تصل العلاقة إلى هذا الحد من القطيعة والندية بين الأبناء والآباء يجب على الآباء أن يُشعروا أبناءهم بحبهم لهم حتى يردعهم إحساس الحب عن الإساءة إلى آبائهم، وفي فعل الآباء هذا إتباع لأوامر الدين بالرحمة بالصغير؛ ويترتب على ذلك من الترابط ما يعود بالخير على الأسرة والمجتمع، وتكون التربية سليمة وصحية، فلا يوجد ما يؤدي إلى التفكك الأسري وسوء العلاقة بين الأبناء والآباء، لكن مع هذا فإن العقاب البدني ليس ممنوعاً في الإسلام، بل قد يكون مهماً في بعض المواقف التربوية، فليجأ الآباء إليه أحياناً وليس دائماً، لأن الأصل الرحمة، فلا بأس أن يعاقب الآباء والأمهات أبناءهم وبناتهم بالقول والفعل، ولهذا أصل في الشرع، فقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرِ سِنِينَ»^(١). وهذه الوسيلة في التربية تكون مطلوبة في بعض المواقف ولبعض الأشخاص؛ لأن طبع الإنسان في الاستجابة للأوامر ولفعل الصالحات يكون إما بالترغيب بالمنفعة أو المحبة أو

(١) سنن أبي داود: ك. الصلاة، باب متى يؤمر الغلام بالصلاة، والمسند للإمام أحمد (٢/

١٨٠)، وسنن البيهقي الكبرى: ك. الصلاة، باب عورة الرجل.

الترهيب بالعقوبة، ولهذا جعل الله تعالى (الجنة والنار) لأنه سبحانه وتعالى يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، لكن ينبغي عدم الإسراف في استخدام العقوبات حتى لا تفقد أثرها الرادع في النفوس، بل ينبغي عدم اللجوء إليها إلا عند الضرورة كما قلنا، واستخدام غيرها من وسائل المحبة والترغيب والإقناع حتى يظل في نفوس الأبناء الإحساس بحب آبائهم لهم؛ فيدفعهم ذلك إلى الانصياع والطاعة لهم بدافع الحب والإحساس بحرص آبائهم عليهم، فينبغي في التربية ألا يُهمل واحد من الترغيب أو الترهيب، لكن مع الأخذ في الاعتبار أن الترغيب والرحمة هما الأصل، وأن العقاب هو الاستثناء إذا دعا إليه داعيه.

ثانيها: عند بناء النبي ﷺ بالسيدة عائشة ؓ :

فعن عائشة ؓ قالت: «تزوجني^(١) النبي ﷺ وأنا بنت ست سنين، فقدمنا المدينة فنزلنا في بني الحارث بن خزرج^(٢) فوعك^(٣) فتمرق^(٤) شعري، فوفى جُميمة^(٤) فأتتني أمي أم رومان وإني لفي

(١) أي: عقد عليّ، فتح الباري، ك. المناقب.

(٢) أي لما قدمت هي وأمها وأختها أسماء بنت أبي بكر، وأما أبوها فقدم قبل ذلك مع النبي ﷺ، السابق.

(٣) أي: انتف. وفي رواية بالزاي أي: تقطع. السابق.

(٤) تصغير جمّة، وهي الشعر النازل إلى الأذنين ونحوهما، أي: صار إلى هذا الحد بعد أن كان قد ذهب بالمرض فوفى: كثر. صحيح مسلم بشرح عبد الباقي، ك. النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة.

أَرْجُو حَةَ وَمَعِيَ صَوَاحِبُ لِي، فَصَرَخْتُ بِي، فَأَتَيْتَهَا لَا أُدْرِي مَا تُرِيدُ بِي، فَأَخَذَتْ بِيَدِي حَتَّى أَوْقَفْتَنِي عَلَى بَابِ الدَّارِ وَإِنِّي لَأُنْهَجُ^(١) حَتَّى سَكَنْ بَعْضُ نَفْسِي، ثُمَّ أَخَذَتْ شَيْئاً مِنْ مَاءٍ فَمَسَحَتْ بِهِ وَجْهِي وَرَأْسِي، ثُمَّ أَذْخَلْتَنِي الدَّارَ فَإِذَا نِسْوَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي الْبَيْتِ فَقُلْنَ عَلَى الْخَيْرِ وَالْبُرْكَهَ وَعَلَى خَيْرِ طَائِرٍ فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِنَّ فَأُصْلِحْنَ مِنْ شَأْنِي، فَلَمْ يَرُعْنِي إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ضَحَى فَأَسْلَمْتَنِي إِلَيْهِ وَأَنَا يَوْمَئِذٍ بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ^(٢).

فيظهر أيضاً في هذا الموقف مدى حنو وعطف السيدة أم رومان عليها السلام على ابنتها عائشة عليها السلام، وحرصها على تهدئتها والرفق بها، وفعل ما يصلح من شأنها، فقد أوقفها حتى يهدأ نفسها، ثم أخذت تمسح وجهها بالماء بيدها ولم تغسله حتى لا يؤذيها برده مع ما هي عليه من الحر بسبب الجري.

ثالثها: في قصة الإفك، في ترميضها للسيدة عائشة عليها السلام بعد قدومها المدينة حين وعكت قريباً من شهر، وفي عدم إخبار السيدة عائشة بما يقال من حديث الإفك في تلك الفترة، وحينما علمت السيدة عائشة بالأمر ازداد مرضها، وأغشي عليها وسارعت أمها بتغطيتها وتمريرها، وفي تصبير ابنتها على ما يقال بعدما علمت بالأمر:

(١) أي: أتففس تنفساً عالياً.

(٢) صحيح البخاري: ك. المناقب، باب تزويج النبي ﷺ عائشة...، ومسلم، ك. النكاح، باب تزويج الأب البكر الصغيرة.

فما قالته في تصبير ابنتها تبينه الروايتان التاليتان :

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين قال لها أهل الإفك ما قالوا فبرأها الله منه . . . فقدِمنا المدينة، فاشتكِتُ بها شهراً والنَّاسُ يُفِيضون من قول أصحاب الإفك، ويريني في وجعي أني لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللُّطف الذي كنتُ أرى مِنْهُ حينَ أمرضُ؛ إنَّما يدخلُ فيسَلِّم، ثم يقول: كيف تيكُم؟ لا أشعرُ بشيءٍ من ذلك حتَّى نَقَهْتُ، فخرَجْتُ أنا وأُمُّ مِسْطَحٍ قبلَ المَنَاصِحِ مُتَبَرِّزَنا لا نخرُجُ إلَّا ليلًا إلى ليلٍ . . . فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازدَدْتُ مرضاً على مرضي، فلَمَّا رَجَعْتُ إلى بيتي دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فسَلَّمَ فقال: كيف تيكُم؟ فقلتُ: ائذَن لي إلى أبويِّ. قالت: وأنا حينئذٍ أريدُ أن أستيقِنَ الحَبَرَ مِنْ قِبلهما فأذِن لي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فَأَتَيْتُ أبوي، فقلتُ لأُمِّي: ما يَتَحَدَّثُ بِهِ النَّاسُ؟ فقالت: يا بُنَيَّةُ هَوْنِي على نَفْسِكَ الشَّانَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّما كانت امرأةٌ قَطَّ وضيئَةٌ عندَ رجلٍ يُحِبُّها ولها ضرائرُ إلَّا أَكْثَرَنَ عليها، فقلتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! ولقد يتحدَّثُ النَّاسُ بهذا؟ قالت: فَبِتُّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حتَّى أَصْبَحْتُ لا يَزِقُّا لي دَمْعٌ، ولا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ . . .» ^(١) الحديث.

(١) صحيح البخاري: ك. الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً، و: ك. ؛ المغازي، باب حديث الإفك، و: ك. التفسير، تفسير سورة النور، باب «لولا إذ سمعتموه . . .» .

وفي رواية أخرى: «فقلت أُمِّي: ما جاء بك يا بُنَيَّةُ؟ فَأَخْبَرْتُهَا وَذَكَرْتُ لَهَا الْحَدِيثَ، وَذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مِثْلَ مَا بَلَغَ مِنِّي. فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ، خَفَّفِي عَلَيْكَ الشَّأْنَ، فَإِنَّهُ وَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءَ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا ضَرَائِرُ إِلَّا أَحَسَدْنَهَا وَقِيلَ فِيهَا. وَإِذَا هُوَ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهَا مَا بَلَغَ مِنِّي»^(١).

ومما فعلته مع ابنتها في هذه الحادثة، ويدل على حنوها وحبها لها ما جاء في الرواية التالية:

عن أم رومان وهي أم عائشة رضي الله عنهما قالت: بينا أنا قاعدة أنا وعائشة إذ ولجت امرأة من الأنصار، فقالت: فعل الله بفُلانٍ وفعل، فقالت أم رومان: وما ذاك؟... قالت: ابني فيمن حدث الحديث. قالت: وما ذاك؟ قالت: كذا وكذا. قالت عائشة: سمع رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قالت: وأبو بكر؟ قالت: نعم. فخرت مغشياً عليها، فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض؛ فطرحت عليها ثيابها فغطيتها، فجاء النبي ﷺ فقال: ما شأن هذه؟ قلت: يا رسول الله، أخذتها الحمى بنافض...^(٢)... الحديث.

وفي رواية أخرى رواها المزي بسنده إلى أم رومان «قالت عائشة: وقد بلغ ذلك رسول الله ﷺ؟ قالت: نعم. قالت: وبلغ أبا بكر؟

(١) صحيح البخاري: ك. التفسير، تفسير سورة النور باب «إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا».

(٢) صحيح البخاري: ك. المغازي، باب حديث الإفك.

قالت: نعم. قالت: فخرت عائشة رضي الله عنها مغشياً عليها فما أفاقت إلا وعليها حمى بنافض، قالت: فتقدمت فدثرتها. قالت: ودخل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ما شأن هذه؟ قالت: قلت: يا رسول الله، أخذتها حمى بنافض ^(١).

ففي هذا الموقف أيضاً يظهر استمرار اهتمام السيدة أم رومان رضي الله عنها بشأن ابنتها بعد زواجها ومراعاتها لها، وحفاظها عليها من أن يغمها ويهمها ما أشاعه المنافقون أهل الإفك من افتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها، وحينما علمت السيدة عائشة رضي الله عنها بما قاله هؤلاء الذين في قلوبهم مرض ازداد مرضها؛ فأخذت أمها تخفف عنها بالقول، وتطيب خاطرها وتهدي نفسها وتصبرها، كما أخذت تُمرّضها وتعني بها وتطيبها إلى أن أنزل الله تعالى قرآناً يتلى إلى يوم القيامة، يبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها مما افتراه عليها أهل الإفك، ويتوعد كل من أساء إليها بهذا الافتراء بالعذاب الأليم يوم القيامة، ويأمر المؤمنين بعدم العودة إلى مثل هذا القول عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فالعجب ممن يدعي الإسلام وحب الرسول صلى الله عليه وسلم ثم يردد حديث المنافقين أهل الإفك معتقداً كلامهم مؤذياً بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم في أهله وعرضه، ومؤذياً ومتهماً السيدة عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، مجاهراً بذلك؛ فكأن هذا الأفك الأثيم يكذب القرآن دون

(١) تهذيب الكمال (٣٥/٣٥٩).

تخرج من ذلك وهذا عند الله عظيم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هِينًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾^(١)، فكيف يكون هذا مسلماً، أو كيف يدعي الإسلام وهو يكذب كلام الله المنزل، ويتجاهل أمره تعالى بعدم العودة إلى مثل هذا الافتراء في قوله: ﴿يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢)، فكيف يعود هذا الأفك إلى ترديد هذا الإفك وقد علّق الله تعالى الإيمان على امتثال الأمر بعدم العودة إلى هذا القول، هذا منطوق الآية فيكون المفهوم منها انتفاء الإيمان عمن يردد الطعن في السيدة عائشة رضي الله عنها، كما توعد الله تعالى من يفعل ذلك باللعن في الدنيا والآخرة، وبالعذاب العظيم في الآخرة ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾^(٣)، فكيف يدعي حب رسول الله ﷺ من يؤذيه في زوجه التي جعل الله براءتها في قرآن يتلى إلى يوم القيامة، وتوعد من ردد عليها هذا الافتراء بالعذاب العظيم، فينبغي على كل من فعل ذلك إن كان في قلبه إيمان بالله وكلامه المنزل وحباً للرسول ﷺ أن يتوب ويكثر من الاستغفار ويعزم على عدم الرجوع إلى ترديد هذا الإفك راجياً من الله تعالى قبول توبته؛ لأنه

(١) سورة النور: الآية (١٥).

(٢) سورة النور: الآية (١٧).

(٣) سورة النور: الآية (٢٣).

يجمع بقوله هذا بين تكذيبه للقرآن الكريم الذي برأ السيدة عائشة رضوان الله عليها وعلى والديها من هذه التهمة الدنيئة وبين إيذاء الرسول ﷺ في أهله وعرضه، وعدم طاعة الله في الأمر بعدم العودة إلى مثل هذا الافتراء.

الموقف الثاني: قيامها بدور التأديب والتهديب لابنتها

ويظهر هذا من خلال:

أمرها ابنتها السيدة عائشة ﷺ بالإقبال على زوجها رسول الله ﷺ بعد أن أخبرها بأن الله عز وجل أنزل براءتها مما افتراه عليها أهل الإفك:

ففي حديث قصة الفك الطويل في آخره:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ... الحديث.

«حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ... فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ لِي: يَا عَائِشَةُ، أَحْمَدِي اللَّهَ؛ فَقَدْ بَرَّأكَ اللَّهُ. فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ: لَا وَاللَّهِ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ»^(١).

(١) سبق تخريجه، وصحيح مسلم بشرح عبد الباقي: ك. التوبة.

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

من هذا الموقف نستطيع أن نستنبط أنه لا بد للمرأة المسلمة من القيام بواجبها نحو أبنائها والحرص على تربيتهم تربية إسلامية؛ لأنها مسؤولة عن ذلك أمام الله تعالى؛ فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا كُلكُمْ رَاعٍ وَكُلكُمْ مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ؛ فَالِإِمَامِ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى أَهْلِ بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْؤُولَةٌ عَنْهُمْ، وَعَبْدُ الرَّجُلِ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْؤُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلكُمْ رَاعٍ وَكُلكُمْ مَسْؤُولٌ عَن رَعِيَّتِهِ»^(١).

الموقف الثالث: مراعاتها حق زوجها في القوامة

ويظهر فهمها لمسؤولية الزوج وحقه في القوامة، في موقفها وردها على من جاءت تخطب ابنتها عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لرسول الله ﷺ، فلم تتقدم على زوجها برأي أو قول، ويوضح هذا الرواية التالية:

- عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: لما توفيت خديجة قالت خولة بنت حكيم امرأة عثمان بن مظعون: - وذلك بمكة - يا رسول الله، ألا تزوج؟ قال: مَنْ؟ قالت: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً. قال: فمن البكر؟ قالت: ابنة أحب خلق الله إليك، عائشة بنت أبي

(١) صحيح البخاري: ك. الأحكام، باب (١)، وصحيح مسلم: ك. الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل...

بكر. قال: فمن الثيب؟ قالت: سودة بنت زمعة، أمنت بك واتبعتك على ما أنت عليه. قال: فاذهبي فاذكريهما عليّ. فجاءت فدخلت بيت أبي بكر، فوجدت أم رومان أم عائشة، فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؛ أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت: وددت، انتظري أبا بكر فإنه آت. فجاء أبو بكر، فقالت: يا أبا بكر، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؛ أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. فقال: هل تصلح له إنما هي بنت أخيه، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فقال: ارجعي إليه فقولي له أنت أخي في الإسلام وأنا أخوك، وابنتك تصلح لي، فأنت أبا بكر فقال: ادعي لي رسول الله ﷺ فجاء فأنكحه^(١).

وفي رواية: فأنت أم رومان فقالت: يا أم رومان، ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة. قالت: وما ذاك؟ قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة. قالت: انتظري أبا بكر حتى يأتي...^(٢).

(١) المعجم الكبير، للطبراني: باب عائشة بنت أبي بكر الصديق زوج رسول الله ﷺ... ومجمع الزوائد: ك. المناقب، باب في فضل عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها باب تزويجها، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عمرو بن علقمة، وهو حسن الحديث (٢٢٥/٩)، وانظر: سير أعلام النبلاء (١٤٩/٢)، وفي المستدرک، للحاكم (مختصراً)، وصححه: ك. النكاح (١٨١/٢).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢١٠/٦)، ومجمع الزوائد (٢٢٥/٩، ٢٢٦)، قال الهيثمي: في الصحيح طرف منه رواه أحمد بعضه صرح فيه بالاتصال عن عائشة، وأكثره مرسل وفيه محمد بن عمرو بن علقمة وثقه غير واحد، وبقيه رجاله رجال الصحيح.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد من الموقف السابق ما يلي:

المفهوم الأول: مراعاة حق الزوج وعدم تجاوزه:

ففي هذا الموقف نجد شدة حرص الزوجة على مراعاة تعاليم الدين الإسلامي وعدم تجاوزها، ومعرفة حق الزوج وعدم التعدي على هذا الحق إيماناً والتزاماً بهذا الحق الذي هو قوامة الرجل في بيته إيماناً والتزاماً بقوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَلْضَلَّحَتْ قَلْبِنْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾^(١).

وبأن الرجل هو الراعي والأمير على بيته، فيجب على الزوجة طاعته في غير معصية، وإذا كانت طاعة الزوجة لزوجها واجبة وحقاً للزوج عليها فينبغي ألا تتجاوزه في أي أمر من الأمور ما لم يكن معصية، وهو ما قامت به السيدة أم رومان بتطبيقه فعلياً حيث قالت لخولة بنت حكيم: «وددت، انتظري أبا بكر فإنه آت». وفي الرواية الأخرى قالت لها: «انتظري أبا بكر حتى يأتي». وفي قولها هذا مراعاة لحق الزوج في القوامة وأن الحل والعقد في البيت في يد الزوج، رغم تمنيتها أن يوافق أبو بكر لما في موافقته من الخير لابنتهما. فهي بذلك تُعلم النساء المؤمنات في كل عصر الالتزام بأوامر الدين ومراعاة حق الزوج وعدم تجاوزه.

(١) سورة النساء: الآية (٣٤).

المفهوم الثاني: حرص الآباء والأمهات على خير الأبناء:

ولا خير يبقى إلا خير الآخرة، ففي الرواية الأولى قالت أم رومان لخولة بنت حكيم: «وددت، انتظري أبا بكر فإنه آت» فقول أم رومان «وددت» يبين مدى حبها لابنتها وتمنيها لها خيري الدنيا والآخرة، وأي شرف لابنتها ولوالديها أفضل من زواج الابنة من رسول الله ﷺ خاتم النبيين الذي بُعث رحمة للعالمين، وأفضل المرسلين وسيد ولد آدم أجمعين، ورغم علمها بهذا الفضل وتمنيها له لابنتها لم تتجاوز حق زوجها في القوامه على ما سبق بيانه، لعلمها أن أعظم الناس حقاً على المرأة زوجها، فامتثلت أمر الدين رغم اقتناعها أن الموافقة على هذا الزواج فيه من الخير والشرف ما لا يدانيه شرف.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: زوجها. قلت: فأَيُّ الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال: أمه^(١).

الموقف الرابع: حرص الوالدين على خير الأبناء:

عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتَخْيِيرِ

(١) المستدرک علی الصحیحین: ک. البر والصله، والسنن الکبری، للنسائی: ک. عشرة النساء، باب حق الرجل علی المرأة، والترغیب والترهیب، للمنذري (٣/٣٤) وقال: رواه البزار والحاكم، وإسناد البزار حسن، ومجمع الزوائد: (٤/٣٠٩)، وقال: وفيه أبو عتبة ولم يحدث عنه غير مسعر، وبقيّة رجاله رجال الصحیح.

أَزْوَاجِهِ بَدَأَ بِي، فَقَالَ: «إِنِّي ذَاكِرٌ لَكَ أَمْرًا فَلَا عَلَيْكَ إِلَّا تَعَجَّلِي حَتَّى تَسْتَأْمِرِي أَبَوَيْكَ. قَالَتْ: وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ. قَالَتْ: ثُمَّ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ قَالَ: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعَنَّ وَأُسْرِحَنَّ سَرَا حًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتَن تَرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾^(١) قَالَتْ: فَقُلْتُ: فِي أَيِّ هَذَا أَسْتَأْمِرُ أَبَوَيَّ؟! فَإِنِّي أُرِيدُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ. قَالَتْ: ثُمَّ فَعَلَ أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ مِثْلَ مَا فَعَلْتُ»^(٢).

ففي قصة التخيير هذه إشارة واضحة إلى حرص والدي السيدة عائشة بنت أبي بكر وأم رومان رضي الله عنهما على خيري الدنيا والآخرة لابتئهما، وهو أمر تعرفه السيدة عائشة ﷺ فيهما وعهدته منهما ولا تتوقع غيره منهما؛ وقد أشارت إليه بقولها: «وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ أَبَوَيَّ لَمْ يَكُونَا يَأْمُرَانِي بِفِرَاقِهِ» بعد أن ذكرت أن رسول الله ﷺ خيّرهما بينه والدار الآخرة وبين زينة الحياة الدنيا مع فراقها له ﷺ، وطلب منها أن تستشير أبويها، فهي تعلم أن أبويها لم يكونا ليختارا لها إلا ما فيه خيرها في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فهو بقاؤها زوجة لرسول الله ﷺ وهل هناك أفضل في الدنيا من القرب من رسول الله ﷺ وأن تكون من أهله؟ فهذا فضل لا يدانيه فضل، كما أنه لا مقارنة أيضاً

(١) سورة الأحزاب: الآيتين (٢٨، ٢٩).

(٢) صحيح البخاري: ك. التفسير، سورة الأحزاب، باب «وإن كنتن تردن الله ورسوله».

في الفضل بين نعيم الدار الآخرة الدائم الذي فيه ما لا عين رأت ولا
أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ولا يعتريه نقص أو مُنْعَصٌ وبين
متاع الدنيا الزائل الفاني الذي لا يسلم من المنغصات، ولا دوام فيه .
فينبغي على الآباء والأمهات أن يجعلوا حبَّهم لأولادهم مُنْصَباً في
حرصهم على فوز أبنائهم بالنعيم الكامل الباقي الدائم في الآخرة لا في
متاع الدنيا القليل الفاني الزائل الناقص .

* * *

أم المؤمنين أم سلمة

نبذة عن حياتها:

هي أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، القرشية المخزومية، اسمها هند.

واسم أبيها حذيفة، وقيل سهيل، ولقبه زاد الركب؛ لأنه كان أحد الأجواد، فكان إذا سافر لا يترك أحداً يرافقه ومعه زاد، بل يكفي رفيقه من الزاد.

وأما عاتكة بنت عامر الكنانية.

وكانت زوج ابن عمها أبي سلمة بن عبد الأسد بن المغيرة، وكانت ممن أسلم قديماً هي وزوجها، وهاجرا إلى الحبشة فولدت له سلمة، ثم قدما مكة وهاجرا إلى المدينة، فولدت له عمر، ودُرّة، وزينب.

وقيل إنَّها أول امرأة خرجت مهاجرة إلى الحبشة، وأوّل ظعينة دخلت المدينة.

ولما مات زوجها أبو سلمة خطبها النبي ﷺ، فتردّدت أول الأمر لأسباب سيّأتي ذكرها إن شاء الله تعالى قريباً، ثم قالت لابنها عمر: قم فزوج رسول الله ﷺ فزوجه.

وكانت موصوفة بالجمال البارع، والعقل البالغ، والرأي الصائب، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين رضي الله عنهن جميعاً.

عاشت إلى خلافة يزيد بن معاوية، وكانت خلافته أواخر سنة ستين، قال أبو نعيم: ماتت سنة اثنتين وستين، وكانت وفاتها بعد قليل من مقتل الحسين رضي الله عنه الذي حزنت عليه كثيراً، وغشي عليها^(١).

المواقف الأسرية في حياة السيدة أم سلمة رضي الله عنها

الموقف الأول: أولى المهاجرات إلى الحبشة والمدينة

قال ابن هشام: فكان أول من هاجر إلى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم أبو سلمة.

هاجر إلى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج إلى المدينة مهاجراً.

ثم قال ابن هشام: قال ابن إسحاق، بإسناده عن أم سلمة، قالت: «لما أجمع أبو سلمة الخروج إلى المدينة رحل لي بغيره ثم حملني، وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري، ثم خرج بي يقود بغيره».

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي: ٤٧٤/٣، والإصابة لابن حجر: ٤٠٤/٨.

فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم قاموا إليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، أرايت صاحبتك هذه؟ علام نتركك تسير بها في البلاد؟

قالت: فنزعوا خظام البعير من يده، فأخذوني منه، قالت: وغَضِبَ عند ذلك بنو عبد الأسد، رهط أبي سلمة فقالوا: لا والله لا نترك ابنا عندها إذا نزعتموها من صاحبنا.

قالت: فتجاذبوا بُني سلمة بينهم، حتى خلعوا يده، وانطلق به بنو عبد الأسد، وحسني بنو المغيرة عندهم.

وانطلق زوجي أبو سلمة إلى المدينة، قالت: ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني.

قالت: فكنت أخرج كلّ غداة، فأجلس بالأبطح، فما أزال أبكي حتى أمسي، سنة أو قريباً منها، حتى مرّ بي رجل من بني عمي، أحد بني المغيرة، فرأى ما بي، فرحمني فقال لبني المغيرة: ألا تخرجون هذه المسكينة، فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها.

قالت: فقالوا لي: الْحَقِي بِزَوْجِكَ إِنْ شِئْتَ.

قالت: وَرَدَّ بنو عبد الأسد إِلَيَّ عند ذلك ابني.

قالت: فَارْتَحَلْتُ بَعِيرِي، ثم أخذت ابني فوضعتة في حجري، ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة.

قالت: وما معي أحد من خلق الله.

قالت: أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي، حتى إذا كنت

بالتنعيم^(١) لقيت عثمان بن أبي طلحة^(٢)، أخا بني عبد الدار، فقال لي: إلى أين يا بنت أبي أمية؟
قالت: فقلت: أريد زوجي بالمدينة.

قال: والله مالك من مترك، فأخذ بخطام البعير، فأنطلق معي، يهوي بي، فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قط أرى أنه كان أكرم منه.

كان إذا بلغ المنزل أناخ بي، ثم استأخر عني، حتى إذا نزلت استأخر ببعيري، فحط عنه، ثم قيده في الشجرة، ثم تنحى عني إلى شجرة فاضطجع تحتها.

فإذا دنا الرواح قام إلى بعيري فقدمه فرحله ثم استأخر عني، وقال: اركبي.

فإذا ركبت واستويت على بعيري أتى فأخذ بخطامه فقاده، حتى ينزل بي، حتى أقدمني المدينة، فلما نظر إلى قرية بني عمرو بن عوف بقباء، قال: زوجك في هذه القرية - وكان أبو سلمة نازلاً بها - فأدخلها على بركة الله، ثم انصرف راجعاً إلى مكة.

قال: فكانت تقول: والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل أبي سلمة، وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة^(٣).

(١) موضع على فرسخين من مكة، يحرم بالعمرة منها أهل مكة من كان فيها.

(٢) كان عثمان في هذا الوقت كافراً، فقد كان إسلامه في هدنة الحديبية.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام: ٨٠/٢، ٨١.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية :

المفهوم الأول : أهمية الدين في حياة الفرد والجماعة .

فلا سْتَمْسَاكَ بِالَّذِينَ هُوَ السَّيَّاحُ ؛ لِحَفْظِ إِنْسَانِيَّةِ الْإِنْسَانِ وَكَرَامَتِهِ وَعِزَّتِهِ وَشَرَفِهِ فَإِذَا غَلَبَ عَلَيْهِ أَوْ فُقِدَ لَمْ يُعْنِ مِنْ وَرَائِهِ الْأَهْلُ وَالْمَالُ وَالْوَطَنُ ، وَلَا الدُّنْيَا كُلُّهَا ، أَمَا إِذَا عَلَت رَايَتُهُ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ ، وَرَسَخَتْ عَقِيدَتُهُ فِي الْقُلُوبِ فَإِنَّ أَيَّ شَيْءٍ فُقِدَ فِي سَبِيلِهِ فَإِنَّهُ سَيَعُودُ وَبِصُورَةٍ أَقْوَى مِنْ ذِي قَبْلِ ، وَإِنْ لَمْ يَعِدْ ذَلِكَ لِلْإِنْسَانِ فِي حَيَاتِهِ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ فِي نَعِيمٍ مُقِيمٍ ، فِي جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ .

المفهوم الثاني : وجوب تمييز المسلم بإسلامه عن أهل الباطل .

فيكون واضح المعالم في كلِّ مكانٍ يحلُّ به ، فلا يجوز له أن يجالسهم ، أو أن يشاركهم في باطل ، وإلا كان شريكاً لهم في إثمهم ، فيحلُّ عليه من غضب الله ما يحلُّ عليهم ، قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكُتُبِ أَنَّ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ ۗ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلَهُمْ ۗ ﴾ (١) .

(١) سورة النساء : جزء من الآية (١٤٠) .

المفهوم الثالث: استِعمال الباطل لكلِّ سلاح في الصّدِّ عن سبيل الله، حتى لا يدخل في الدّين مَنْ أرادَ أن يدخل، ويخرج منه من دخل فيه. فيها هي قريش لم تكتفِ بإخراج المسلمين من الدّيار، بل فرّقت بين المرءِ وزَوْجِهِ، وحرّمت الوالد من ولده، والأُم من صغيرها.

المفهوم الرابع: سُمُو مكانة أسرة أم سلمة في الإسلام.

حيث كانت من أولى الأسرِ الدّاخلة في الإسلام، وكانوا أوّل المهاجرين إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وابتلوا في ذلك بتلاء شديداً.

ولقد عبّرت أم سلمة عن ذلك بقولها: «والله ما أعلم أهل بيت في الإسلام أصابهم ما أصاب آل بيت أبي سلمة».

المفهوم الخامس: ضرورة المُحافظة على ما أوّمن عليه الإنسان.

فعثمان بن طلحة رغم كفره استصحب أمانته التي فطر الله الخلق عليها، وكان في غاية العِفَّة والشرف طوال رحلته معها.

وقد حفظت له أم سلمة هذا الموقف، وأثنت عليه خيراً، حيث قالت: «وما رأيت صاحباً قط كان أكرم من عثمان بن طلحة».

فما أحوج الأمة كلها أفراداً وجماعات إلى الوقوف على تلك المفاهيم؛ حفاظاً على العِرضِ والدّين.

الموقف الثاني: ذروة الحُبِّ وسنامه

عن زياد بن مريم قال:

«قالت أم سلمة لأبي سلمة: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة ثم لم تتزوج إلا جمع الله بينهما في الجنة، فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك.

قال: أتطيعيني؟ قالت: نعم، قال: إذا مت تزوجي، اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني، لا يُحزنها ولا يؤذيها^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية:

المفهوم الأول: حرص المرأة على التعلُّم، خاصة تعلم أمور دينها.

وهذا واضح من قول أم سلمة بلغني كذا.. وكذا..، وهكذا كانت النساء في العهد النبوي، فقد جاء في الحديث أن امرأة قالت لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، قد ذهب الرجال بحديثك، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتي إليك فيه، تُعلِّمنا مما علِّمك الله، فقال: اجتمعن يوم كذا وكذا، فاجتمعن، فجاء رسول الله ﷺ، فعلمهنَّ مما علمه الله تعالى^(٢).

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٧٥/٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاعتصام: باب (٩) ومسلم في كتاب البر، باب

(١٥٢).

المفهوم الثاني: فقه أم سلمة ﷺ .

فقد كان فهمها هذا فهماً سديداً، ويدلُّ على ذلك ما وردَ عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال لامرأته: «إن سرَّك أن تكوني زوجتي في الجنة فلا تتزوَّجي بعدي، فإن المرأة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا، فلذلك حرم على أزواج النبي صلى الله عليه وآله أن ينكحن بعده؛ لأنهن أزواجه في الجنة»^(١).

فهذا الكلام الذي قاله حذيفة وإن لم ينسبه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فهو في حكم الحديث المرفوع إليه صلى الله عليه وآله كما هو معلوم لدى علماء الحديث ورجاله، فكلام الصحابي إذا صحَّ السند ولم يكن معروفاً بالأخذ عن بني إسرائيل، وكان مما لا مجال للرأي والاجتهاد فيه، وكان ممن شاهد الوحي والتنزيل يأخذ حكم الحديث المرفوع.

المفهوم الثالث: حُبّ الإيثار وعدم الأنانية.

وهذا يتجلَّى تماماً في ردِّ أبي سلمة على زوجته وطلبه منها أن تتزوج بعده، ودعائه لها بأن يرزقها الله زوجاً خيراً منه لا يُحزنها ولا يؤذيها.

لقد بلغ حُبّه لها إلى هذه الدرجة التي لا يريد لها أن تعيش محرومة مما تتمتع به المرأة، أو تعيش حياة الوحدة والوحشة، والهَمَّ والغَمَّ.

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٧٨/٣.

إنه الحب الحقيقي الذي لا يصلُ إلى قمته إلا أمثال أبي سلمة رضي الله عنه.

الموقف الثالث: تعلم وتعليم وثقة في الله تعالى:

أخرج الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن أم سلمة، قالت:

أتاني أبو سلمة يوماً من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: لقد سمعت من

رسول الله صلى الله عليه وسلم قولاً فسررت به، قال:

«لا تُصِيبُ أحداً من المسلمين مصيبة فيستزجِع عند مُصِيبَتِهِ ثم

يقول: اللهم آجرني في مصيبتِي واخلف لي خيراً منها إلا فَعِلَ

ذلك به».

قالت أم سلمة: «فحفظت ذلك منه، فلما تُوفِّي أبو سلمة

استرجعت وقلت: اللهم آجرني في مصيبتِي واخلفني خيراً منه، ثم

رجعت إلى نفسي، قلت: من أين لي خَيْرٌ من أبي سلمة؟

فلما انتقضت عِدَّتِي استأذن عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أدبغ إهاباً لي،

فغسلت يدي من القرظ وأذنت له، فوضعت له وسادة آدم حشوها

ليف، فقعد عليها فخطبني إلى نفسي.

فلما فرغ من مقالته قلت يا رسول الله، ما بي أن لا تكون بك

الرجبة فيّ، ولكنني امرأة فيّ غيرة شديدة، فأخاف أن ترى مني شيئاً

يعذبني الله به، وأنا امرأة قد دخلت في السنّ وأنا ذات عيال».

فقال: أما ما ذكرت من الغيرة فسوف يذهبها الله عز وجل منك،

وأما ما ذكرت من السن فقد أصابني مثل الذي أصابك، وأما ما ذكرت

من العيال فإنما عيالك عيالي.

قالت: فقد سلمت لرسول الله ﷺ، فتزوجها رسول الله ﷺ،
فقالت أم سلمة: فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه، رسول الله
ﷺ^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية:

المفهوم الأول: أهمية التعلّم وطلب العلم.

ويتضح هذا من قول أبي سلمة لزوجته، سمعت قولاً من رسول
الله ﷺ فسرت به، فقد ذهب أبو سلمة لِمَجْلِسِ رسول الله ﷺ عساه
يتعلّم منه شيئاً ينفعه وينفع أهله، وقد كان بالفعل.

المفهوم الثاني: تبليغ ما يتعلّمه الإنسان إلى غيره.

وأولى الناس بذلك أهل الإنسان، فأبو سلمة لم يقتصر على
سماعه الحديث من رسول الله ﷺ وإنما بلّغه إلى أهله، وفي ذلك
يقول رسول الله ﷺ: «نُضِرَ اللهُ امرءاً سمع مقالتي فبلّغها، فَرُبَّ
حامل فقه غير فقيه، وربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه»^(٢).

ويقول أيضاً: «خيركم من تعلّم القرآن وعلمه»^(٣).

(١) الإمام أحمد بن حنبل، المسند: ٢٧/٤، ٢٨.

(٢) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب (١٠)، والترمذي: تاب العلم، باب (٧)، وابن
ماجة، في مقدمة سننه، باب (١٨).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

المفهوم الثالث: ضرورة موافقة عمل الإنسان لما تعلّمه .

فلا يكون العلم في وادٍ والسُّلوك في وادٍ آخر، فأُم سلمة حينما مات زوجها رجعت بذاكرتها إلى ما تعلّمته من زوجها أبي سلمة، وقالت الدّعاء الخاص بالمُصيبةِ ولذلك جنت ثمرة العَمَل خير ما يكون الجني .

أما إذا خالف عمل الإنسان قوله، وعمل بِضِدِّ ما علم فإنه حيثنذ يجعل من نفسه حماراً يحمل أسفاراً لا تفيده، ولن يجني من وراء ذلك إلا عذاب الله .

جاء في الحديث المتفق على صحته بين البخاري ومسلم: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار، فتندلق أقتابُ بطنه^(١) فيدور بها كما يدور الحمارُ في الرّحا، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون: يا فلان، مالك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى كنت أمر بالمعروف ولا آتية، وأنهى عن المنكر وآتية^(٢) .

المفهوم الرابع: وجوب الثّقة في الله عز وجل وضرورة اليقين بموعوده:

فأم سلمة لم تر في الوجود خيراً من أبي سلمة، وقالت من أين لي خيرٌ من أبي سلمة؟ فقد رَفَضَتْ أبا بكر وعمر لَمَّا تقدم كل منهما

(١) أي تخرج أمعاؤه .

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله .

لخطبتها، إلا أنها كانت تثق بموعد الله وذكرت الحديث، وانتظرت
موعد الله الذي تمثل في قدوم الرسول ﷺ عليها خاتماً وحينئذ
قالت: «فقد أبدلني الله بأبي سلمة خيراً منه، رسول الله ﷺ».

المفهوم الخامس: الرد على المستشرقين الذين يصفون الرسول ﷺ بأنه
رجل شهواني.

فامرأة مثل هذه المرأة التي بلغت من السن عتياً، وفيها غير
شديدة، ومعها أولاد كثيرون، أريدها إنسان لا هم له إلا النساء،
دون النظر إلى معان إنسانية كريمة، لا ينظر لها إلا أصحاب
القلوب الرحيمة؟ ولذلك فند لها ﷺ كل سبب ذكرته يحول دون
إتمام زواجه منها، حتى يكافئها في دنياها تجاه ما بذلت لله ومن
حب لرسول الله ﷺ.

الموقف الرابع: عروس تطحن ليلة زفافها

أخرج الذهبي بإسناده:

«دخلت أيم العرب^(١) على سيد المرسلين أول العشاء عروساً،
وقامت آخر الليل تطحن - يعني أم سلمة^(٢)».

(١) الأيم: تطلق في أصل اللغة على من كانت متزوجة ففقدت زوجها، ثم قيلت في البكر
مجازاً، لأنها لا زوج لها، وتطلق أيضاً على الرجل الذي لا زوجة له، انظر تفسير ابن
جرير: ٣١١/٩، وتفسير القرطبي: ٢٣٩/١٢، والبحر المحيط: ٤٥١/٦.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤٧٦/٣.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية:

المفهوم الأول: خُلُو بيت النبي ﷺ من رصيد خبز يكفيه ليلة عزسه .

وإن دَلَّ ذلك على شيء فإنما يدل على حياة الكفاف، فالرسول ﷺ لم يشغل نفسه برزق غده، ولم يكنز لمستقبله ما يريحه وأهل منزله، ولو أن كل مسلم لم يكن همّه بناء ما لم يسكن، وادخار ما لم يأكل، وجمع ما هو تاركة لتغير وجه الدنيا إلى ما هو أهدي سبيلاً، وأحسن مصيراً.

المفهوم الثاني: خلو بيت النبوة مما تكتظ به قُصور كسري وقصر من عشرات الخدم ومئات الجواري .

ولو أن رسول الله ﷺ كان يريد ذلك لَتَحَقَّقَ له بأفضل مما يطلب ولكنها النبوة الصادقة، والزهد في الحياة؛ ابتغاء مرضاة الله تعالى، وفي ذلك أبلغ ردّ على هؤلاء المستشرقين الذين ادّعوا أن محمداً يبتغي الدنيا من وراء ادعائه النبوة .

لقد كان النبي ﷺ صريحاً مع قومه منذ أن جَهَرَ بالدعوة، حيث عرضوا عليه هذه الدنيا، فقالوا له: إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من المال حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد سيادة سؤدناك علينا فلا نقطع رأياً حتى نرجع إليك، ولكن النبي ﷺ رفض كل هذا فأخبرهم أنه ما جاء بما جاءهم به ليجمع أموالهم أو ليكون ملكاً عليهم، وإنما

ابتعثه الله بشيراً ونذيراً، فمن اتبعه فله جنّات النعيم ومن أعرض عنه ففي انتظاره عذابٌ مقيم.

المفهوم الثالث: تواضع أم سلمة ﷺ الجَم، وعدم ترفعها على زوجها:

ولو طلبت من الرسول ﷺ أن تقوم زوجاته الأخريات بذلك ليلة عرسها لاستجاب لها، ولكنها الأخلاق السّامية، والنفوس العالية.

الموقف الخامس: أم سلمة من آل البيت:

أخرج الترمذي والحاكم، وصححه وغيرهما من عدّة طرق عن أم سلمة ﷺ، قالت:

«في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(١) وفي البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين، فجللهم رسول الله ﷺ بكساء كان عليه ثم قال: هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

وفي رواية ابن جرير، وغيره:

«قالت أم سلمة: ألسنت من أهل البيت؟ قال: إنك إليّ خير، أنت من أزواج النبي ﷺ»^(٢).

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٣).

(٢) سنن الترمذي: كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، ومستدرک الحاكم: ٤١٦/٢ في الكتاب نفسه والسورة نفسها.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية:

المفهوم الأول: شرف المكان الذي ينزل فيه القرآن، وشرف أهله الذين يسكنون فيه.

وقد بين لنا هذا المفهوم رسول الله ﷺ حينما كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ؓ فاجتمع أزواج النبي ﷺ وطلبوا إلى أم سلمة ؓ أن تطلب من رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان، فقال ﷺ: «يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة ؓ، فإنه والله ما نزل عليّ الوحي في لحاف امرأة منكن غيرها»^(١).

فها هو الوحي ينزل في بيتها، ولذلك تفتخر بذلك وتقول: «في بيتي نزلت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾»^(٢). فتقدم الجار والمجرور، ولم تقل نزلت الآية في بيتي.

وهذا يدل على أن مكة والمدينة أفضل بلاد الله تعالى؛ لنزول القرآن فيهما، كما يدل على أن البيت الذي يتلى فيه القرآن أفضل من غيره، وأن القلب الذي فيه قرآن أفضل من القلب الخالي منه.

قال رسول الله ﷺ: «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»^(٣).

(١) البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة ؓ.

(٢) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٣).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده: ٢٢٣/١، والترمذي في سنته، كتاب (فضائل القرآن)، باب (من فضائل القرآن).

المفهوم الثاني : سُمو منزلة آل البيت :

فكفى فيهم قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمْ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ والأحاديث الواردة في فضل
آل البيت أشهر من أن تنسى ، ولا داعي للإطالة بذكرها .

لذلك كانت أم سلمة حريصة على أن تعلم أهي من آل البيت أم
لا ، فطمأنها النبي ﷺ على ذلك ، فالأسلوب العربي حينما يطلق كلمة
الأهل فلا يريد منها إلا الزوجة .

فها هو رسول الله ﷺ لما افتري ابن أبي علي عائشة ﷺ ما
افتري يقول : «من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهلي» يقصد
زوجته عائشة ﷺ (١) .

الموقف السادس : برها بأبناء زوجها السابق

أخرج البخاري ومسلم عن أم سلمة ﷺ ، قالت : قلت : يا
رسول الله هل لي من أجر في بني أبي سلمة أن أنفق عليهم؟
ولست بتاركتهم هكذا وهكذا إنما هم بني . قال : «نعم : لك أجر
ما أنفقت عليهم» (٢) .

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

يؤخذ من هذا الموقف عدّة مفاهيم تربوية على رأسها :

(١) البخاري : كتاب التفسير ، تفسير سورة النور .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه : كتاب الطلاق ، باب اللعان ، وغيره .

المفهوم الأول: مسارعة المُسلم والمُسلمة إلى فعل الخيرات التي تجلب لهما ثواب الله عز وجل ورضاه.

المفهوم الثاني: الإنفاق على المحتاجين من أجل الأعمال.

المفهوم الثالث: عدم نسيان الفضل لصاحبه.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾^(١) فرغم أن الزوج الثاني لا يطبق ذكر اسم الزوج الأول إلا أن أم سلمة لم تنس أبناء أبي سلمة، وقدّر لها الرسول ﷺ هذا الشعور النبيل.

المفهوم الرابع: ضرورة الوفاء بالعهد.

فحينما تعلّلت أم سلمة بعيالها حينما خطبها رسول الله ﷺ لعلها تجد حلاً، قال لها: وأما عيالك فهم عيالي، فقد جاءت ساعة الوفاء، فأوفى لها ﷺ بأبلغ مما يحكم به أي قضاء.

فمن أين تنفق أم سلمة؟، إنها ليس لها عمل تقبض منه راتباً، ولا أرض تأخذ منها خراجاً، وإنما الإنفاق من بيت النبوة. من مال رسول الله ﷺ.

المفهوم الخامس: حسن كفالة اليتيم، وعظيم الأجر على تلك الكفالة.

قال رسول الله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة»، وأشار بإصبعيه السبابة والوسطى، وفرّج بينهما.

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٣٧).

(٢) رواه البخاري (٤٩٩٨)، كتاب الطلاق، باب اللعان.

الموقف السابع: مُدَاعِبَةُ الرَّسُولِ ابْنَتَهَا وَرَبَّيْتَهُ (زينب بنت أبي سلمة)

قال الحافظ بن حجر: «وروينا في (القطعيات) من طريق عطف ابن خالد عن أمه، عن زينب بنت أبي سلمة، قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل يغتسل تقول أُمِّي أدخلي عليه، فإذا دخلت نَضَحَ في وجهي الماء، ويقول: «ارجعي»، قالت: فرأيت زينب وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء».

وفي رواية ذكرها أبو عمر: «فلم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كبرت وعمرت»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف عدّة مفاهيم تربوية على رأسها:

المفهوم الأول: حسن معاملة النبي ﷺ لربيته.

فكم رأينا وسَمِعْنَا من أخبار تَفْشَعِرُ منها الجلود تقع من الزَّوْج تجاه أولاد زَوْجَتِهِ، أو من الزَّوْجَةِ تجاه أولاد زَوْجِهَا.

فلماذا لا يكون الرَّبِيبُ أو الرَّبِيبَةُ وسيلة لاستجلاب رضا الله عزَّ وجل، وهل يرضى الزَّوْجُ القاسي أن يُعامَلَ أولادُه من بعده من زوج آخر بمثل قَسْوَتِهِ على من عنده، وكذلك الزَّوْجَةُ هل ترضى لأولادها تلك المهانة من امرأة أخرى يتزوجها الأب لو ماتت أو طلقت؟..

(١) الإصابة: (١٦٠/٨).

ولقد وضع الرسول ﷺ هذا المبدأ حينما قال لأم سلمة أثناء خِطْبَتِهِ إياها: «وأما ما ذكرت من العيال فعيالك عيالي».

المفهوم الثاني: ضرورة شيوع روح المرح بين أفراد الأسرة، واتخاذ الصغار وسيلة لذلك:

فقد أخرج البخاري وغيره أنّ أخاً صغيراً لأنس بن مالك يقال له أبا عمير كان له طائر صغير يشبه العصفور يلعب به، يسمى التُّغَيْرُ، يقول أنس: «وكان ﷺ إذا جاء قال: يا أبا عمير ما فعل التُّغَيْرُ»^(١).

وتحت عنوان: باب الانبساط إلى الناس، والدعابة مع الأهل أخرج البخاري عن عائشة ؓ قالت: «كنت أَلْعَبُ بالبَنَاتِ»^(٢) عند النبي ﷺ، وكان لي صواحب يَلْعَبْنَ معي، فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فَيَسْرَبِهِنَّ إِلَيَّ، فيَلْعَبْنَ معي»^(٣).

أي أن صواحب عائشة حينما كان يدخل النبي ﷺ كُنَّ يَخْتَبِئْنَ من وراء الستر، فيرسلهن النبي ﷺ إلى عائشة لتلعب معهن رغم أنها كانت متزوجة.

المفهوم الثالث: ثبوت بركاته ﷺ.

ومن تلك البركات ما وجدناه في هذا الموقف من أنه لما نَضَحَ ربيته زينب بالماء لم يزل ماء الشباب في وجهها حتى كَبُرَتْ وعمرت، وهذا من دلائل نبوته ﷺ.

(١) البخاري: كتاب الأدب، باب (٨١) و(١١٢).

(٢) المراد بالبَنَاتِ: أي العرائس الصغيرة المتخذة من القماش ونحوه.

(٣) الموضع السابق.

وقد صَحَّ في الحديث كما في البخاري وغيره في صلح الحديبية أنَّ عروة بن مسعود وقد كان يومها كافراً حَدَّثَ عما شاهده من أصحاب النبي ﷺ إذ ذاك فقال: «فوالله ما تنخَمَ رسول الله ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وقعت في كَفِّ رجل منهم فذلَّك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم إبتدروا أمره، وإذا تَوْضَّأ كادوا يقتتلون على وُضُوئِهِ»^(١).

الموقف الثامن: عدم تدخُّل أحد في الشؤون الزوجية

أخرج الشيخان؛ البخاري ومسلم في صحيحيهما عن ابن عباس ﷺ قال: «مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجاً فخرجت معه، فلما رجعت وكنا ببعض الطريق، عدل إلى بعض الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سِرْتُ معه فقلت له: يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟، فقال: تلك حفصة وعائشة ﷺ .

قال: فقلت: والله إن كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة فما أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل، ما ظننت أن عندي من علم فاسألني، فإن كان لي علم خبرتك به.

قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعدُّ للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهنَّ ما أنزل، وقَسَمَ لهنَّ ما قَسَمَ.

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب (١٥).

قال: فبينما أنا في أمر أتأمّره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: مالك ولما ها هنا، فيما تكلفك في أمر أريده؟ فقالت لي: عجباً لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت، وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ، حتى يظل يومه غضبان.

فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنية، إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان؟ فقالت حفصة: واللّه إنا لنراجعه.

فقلت لها: تعلمين أنني أحذرك عقوبة الله، وغضب رسول الله ﷺ، يا بنية، لا يغرّنك هذه التي أعجبها حُسْنها حب رسول الله ﷺ إياها، يريد عائشة رضي الله عنها .

قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجباً لك يا ابن الخطاب، دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه، فأخذتني واللّه أخذاً كسرتني عن بعض ما كنت أجد.

فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت آتية بالخبر، ونحن نتخوف ملكاً من ملوك غسان، ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه.

فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب، فقال: افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رغم أنف حفصة وعائشة.

فأخذ ثوبي فأخرج حتى جئت، فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له

يرقى عليها بِعَجَلَةٍ، وِغْلَامٍ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَسْوَدُ عَلَى رَأْسِ الدَّرَجَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: قَلْ هَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَأَذَّنَ لِي.

قال عمر: فَقَصَّصْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هَذَا الْحَدِيثَ، فَلَمَّا بَلَغْتَ حَدِيثَ أُمِّ سَلْمَةَ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّهُ لَعَلَى حَصِيرٍ، مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وَسَادَةٌ مِنْ أَدَمٍ^(١) وَإِنْ عِنْدَ رِجْلَيْهِ قَرَطًا^(٢) مَصْبُورًا، وَعِنْدَ رَأْسِهِ أَهْبُ^(٣) مَعْلَقَةٌ، فَرَأَيْتُ أَثَرَ الْحَصِيرِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ مَا يَبْكِيكَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كَسَرَى وَقِصَرَ فِيمَا هُمَا فِيهِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَقَالَ: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟^(٤).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية:

المفهوم الأول: ضرورة تقويم الرجل ابنته المتزوجة، إذا رأى منها أمراً يُعَكِّرُ صَفْوَ زَوْجِهَا.

وهذا واضح من موقف عمر من ابنته حفصة لما سمع عنها أنها

(١) أي من جلد.

(٢) القَرَطُ: ورق السلم، أو ثمر السَّنَطِ، كما في القاموس المحيط، مادة (قرط)، والقرط المصبور: أي أن المجموع مثل الصبرة، كما نص على ذلك صاحب فتح الباري: (٥٢٦/٨).

(٣) أهب معلقة: أي جلود، كما في لسان العرب (أهب).

(٤) البخاري: كتاب التفسير، في تفسير سورة التحريم، ومسلم في صحيحه في كتاب: الطلاق، حديث (٣١).

تراجع رسول الله ﷺ لدرجة الغضب، وكيف حذرنا عقوبة الله وغضب رسوله ﷺ.

المفهوم الثاني: على الزوج والزوجة عدم إفساح المجال لتدخل الآخرين في حياتهما دون داعٍ يقتضي تدخلهم.

فكم رأينا من خلافات زوجية بسيطة تفاقمت وازدادت تعقيداً، بل وصل بعضها إلى الطلاق؛ لتدخل الآخرين، ولو لم يتدخلوا لَوُثِدَتْ المُشْكِلَةُ في مَهْدِهَا.

قال رسول الله ﷺ: « لا يُسأل الرجل فيم يضرب امرأته»^(١).

المفهوم الثالث: أهمية الاستقرار لبيت النبوة والقيادة.

فهذا الموقف يبين مدى الحرص الشديد من صحابة رسول الله ﷺ على استمرار الهدوء، ودوام الاستقرار للبيت النبوي.

حيث إن اضطرابه تصل خطورته درجة تفوق قدوم جيش الأعداء لغزو بلاد المسلمين، فهذا هو الأنصاري يقول لعمر: افتح افتح، ويرد عليه عمر قائلاً: جاء الغساني؟ فيجيب الأنصاري: بل أشد من ذلك، اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه.

الموقف التاسع: يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة

أخرج البخاري في صحيحه بإسناده عن هشام عن أبيه قال: «كان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة، قالت عائشة: فاجتمع صواحيبي

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح: باب (٥١).

إلى أم سلمة فقلن: يا أم سلمة واللّه إنّ الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة وأنا نريد الخير كما تريده عائشة، فمري رسول الله ﷺ أن يأمر الناس أن يهدوا إليه حيث كان، أو حيث ما دار، قالت: فذكرت ذلك أم سلمة للنبي ﷺ، قالت: فأعرض عني، فلما عاد إليّ ذكرت له ذلك فأعرض عني، فلما كان في الثالثة ذكرت له فقال: يا أم سلمة، لا تؤذيني في عائشة، فإنه واللّه ما نزل عليّ الوحي وأنا في لحاف امرأة منكّن غيرها^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية:

المفهوم الأول: فضل عائشة ﷺ .

وقد تأكدت تلك الأفضلية بغير هذا الحديث بأحاديث أخرى كذلك، منها، قول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري: «كَمُلَ من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام».

أخرج البخاري أيضاً عن عائشة ﷺ أنها استعارت من أسماء قلادة فهلكت، فأرسل رسول الله ﷺ ناساً من أصحابه في طلبها، فأدرکتهم الصلوة، فصلّوا بغير وضوء، فلما أتوا النبي ﷺ شكوا ذلك إليه فنزلت آية التيمم، فقال أسيد بن حضير: «جزاك الله

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة ﷺ .

خيراً، فوالله ما نزل بك من أمر قط إلا جعل الله لك منه مخرجاً، وجعل فيه للمسلمين بركة»^(١).

المفهوم الثاني: معرفة الفضل لصاحب الفضل، وإنزاله منزله، بل والذّب عنه.

ويتجلى هذا في أمرين هما:

أ - تحري الصحابة ليلتها ليهدوا إلى النبي ﷺ وهو عندها.

ب - قول الرسول ﷺ لأم سلمة «لا تؤذيني في عائشة».

المفهوم الثالث: مكانة السيدة أم سلمة ؓ عند رسول الله ﷺ وعند نسائه أيضاً.

فلماذا أجمعت النساء على اختيار أم سلمة؛ لتكون وافدتهم إلى رسول الله ﷺ لتبلغه بمُرادهن؟

الإجابة: لعلمهن بمكانتها عند رسول الله ﷺ.

المفهوم الرابع: حسن معاملة الزوج لزوجته.

فانظر كيف أعرض الرسول ﷺ عن أم سلمة مرة وثانية، وبعد الثالثة لم يزد على قوله يا أم سلمة لا تؤذيني في عائشة، ثم ذكر لها السبب الذي بلغت به عائشة ما بلغت من مكانة وهو أن ربّها سبحانه وتعالى قد أعطى لها تلك المكانة التي من مظاهرها نزول الوحي عليه وهو في لحافها.

(١) هذا الحديث وسابقه أخرجهما البخاري في كتاب الصحابة، باب فضل عائشة ؓ.

أَبْعَدَ ذَلِكَ كُلَّهُ يَجُوزُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْزِلَهَا عَنْ تِلْكَ الْمَكَانَةِ،
وَيَأْمُرُ أَصْحَابَهُ بِمَسَاوَاتِهَا مَعَ بَقِيَّةِ نِسَائِهِ؟

المفهوم الخامس: طبيعة النفس البشرية التي فطر الله الخلق عليها
واحدة.

وبناءً عليه فإن ما حدث من غيرة نساء رسول الله ﷺ على
عائشة ﷺ، وطلبهن ما طلبن لا ينقص من قدرهن؛ لأنهن نساء
أشرف المرسلين.

الموقف العاشر: كانت سبباً في أن يخص الله النساء بالذكر في القرآن.

عن أم سلمة ﷺ قالت: «يا رسول الله، لا نسمع الله ذكر النساء
في الهجرة بشيء؟» فأنزل الله ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ
عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ﴾ (١) الآية (٢) «.

وعن أم سلمة ﷺ أيضاً قالت: قلت للنبي ﷺ: ما لنا لا نذكر في
القرآن كما يُذكر الرجال؟

قالت: فلم يرغني منه ذات يوم إلا ونداؤه على المنبر.

قالت: وأنا أسرُحُ شعري، فلففتُ شعري، ثم خرجت إلى حجرة
من حجر بيتي، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول عند

(١) سورة آل عمران: جزء من الآية (١٩٥).

(٢) مستدرک الحاكم: ٢/٢٠٠، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

المنبر: يا أيها الناس، إن الله يقول: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^(١) . . . الآية^(٢)

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

المفهوم الأول: ضرورة التدبر في القرآن.

فالقرآن ليس ألفاظاً تُتلى بدون تدبر، كما أنّ القارئ لا يحضر همه في أن يبلغ خاتمة السورة أو نهاية القرآن، قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾^(٣)، وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾^(٤).

فكيف عرفت أم سلمة أن الله لم يخص المهاجرات بنص، أو لم يفرد للمسلمات ذكراً؟، إن دل ذلك منها على شيء فإنما يدل على أمرين:

أ - أنها قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره.

ب - أن قراءتها تلك كانت في غاية التأمل والتدبر.

فما أحوج الأمة كلها رجالاً ونساءً، إلى قراءة القرآن، والتأمل في آياته والعمل بأحكامه وآدابه.

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٥).

(٢) مسند الإمام أحمد: ٣٠٥/٦، وابن جرير في تفسير سورة الأحزاب.

(٣) سورة ص: جزء من الآية (٢٩).

(٤) سورة النساء: جزء من الآية (٨٢)، وسورة محمد: الآية (٢٤).

المفهوم الثاني: الأجر العظيم للمهاجرين الذين تركوا الديار والأموال والأولاد؛ سعيًا منهم للاحتفاظ بدينهم، بعيداً عن جوِّ الفِتْنَةِ والفسادِ والإفسادِ.

المفهوم الثالث: بيان كرامة النساء على خالقهن وبارئهن.

فالمراة من حيث الإنسانية والكرامة تستوي رأسها مع رأس الرجل، ذلك أن أصلهما واحد، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾^(١) فلا فرق بين الرجل والمرأة من حيث الأصل والكرامة، بل إنهما في الحقيقة شيء واحد مكون من نصفين، قال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال»^(٢).

ولا أدل على هذه الحقيقة من أن الشرع قد حكم بالقصاص من الرجل لو قتل أنثى قتلاً عمداً، حتى لو كانت تلك الأنثى رضيعاً في أوائل أيام حياتها.

المفهوم الرابع: وجوب الإسراع لمراد الله ورسوله.

كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ نُحْشَرُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الحجرات: جزء من الآية (١٣).

(٢) أخرجه: أحمد في مسنده: ٢٥٦/٦، والترمذي: كتاب الطهارة، باب (٨٢).

(٣) سورة الأنفال: الآية (٢٤).

فها هي أم سلمة بمجرد أن سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا أيها الناس إن الله يقول كذا»، سارعت وجعلت سَمَعَهَا عند الجريد؛ لتسمع ماذا يقول الله تعالى، رغم أنها كانت مشغولة بتسريح شعرها، فتركت هذا التَّسريح، ولفَّت شعرها، مُسْرِعَةً لنداء ربِّها، فما أحرى رجالنا ونساءنا للاقتداء بأم سلمة رضي الله عنها وأرضاها.

المفهوم الخامس: كرامة أم سلمة على ربِّها سبحانه وتعالى.

فأم سلمة عربية، والقرآن عربي، والمفهوم من الأسلوب العربي أن الخطاب في مثل ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(١) وفي مثل ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢) ونحو ذلك يشمل الذكور والإناث بطريق التَّغليب، كما يقول علماء اللغة، ومن باب السَّتر أيضاً، وأم سلمة تفهم ذلك جيداً، ولكنها أرادت من ربِّها عز وجل إنزال نصِّ خاص بالنِّساء، فاستجاب الله لرغبتها وأنزل هاتين الآيتين؛ إكراماً لها وتكريماً لسائر نِساءِ الأمة على مرِّ الأزمان.

الموقف الحادي عشر: الشُّورى الصَّائبة في أَحْلَكِ المواقف

أخرج البخاري بإسناده وهو يحدث عن صلح الحديبية:

«فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» قال: - أي الراوي - فوالله ما قام منهم رجل، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يبق منهم أحد دخل على أم سلمة

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (٤٣).

(٢) سورة المؤمنون: الآية (١).

فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتُحِبُّ ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدُنك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فَنَحَرُوا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًّا^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف عدّة مفاهيم تربوية على رأسها ما يلي:

المفهوم الأول: حِلْمُ رسول الله ﷺ ورفقه بأصحابه.

حيث ترك هؤلاء الذين لم يستجيبوا لأمره، ظناً منهم أن هذا الصُّلح يعني الدِّنيّة في الدِّين، والحلم والرفق بالرعية مطلوبان، صغرت تلك الرعية أم كبرت.

قال ﷺ: «إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه»^(٢) وقد أثبتت الأيام بُعْدَ نَظَرِ الرَّسُولِ ﷺ وصوابه.

المفهوم الثاني: أهمية الشورى في الأمور كلها.

فالرَّسول ﷺ حينما رأى من صحابته عدم الإستجابة لأمره ذهب إلى أم سلمة ﷺ وذكر لها ما لقي من أصحابه فأشارت عليه بما

(١) صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب (١٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر، باب (٧٨).

أشارت، وانتهت المشكلة التي كان من الممكن أن تتفاقم ولا يدري أحد إلى أي مدى سيكون خطرها.

وهذا من رسول الله ﷺ استجابة لأمر الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١).

قال ابن عطية صاحب تفسير المحرر الوجيز: «والشورى من قواعد الشريعة، وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه»^(٢).

والمتتبع لحياة الرسول ﷺ يرى أن حياته كلها كانت شورى، ولذلك يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «ما رأيت أحداً أكثر من مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»^(٣).

وعلى هذا الهدي النبوي سار الخلفاء الراشدون، يقول أبو بكر الصديق ليزيد بن أبي سفيان حينما أمره على أحد الجيوش: «وإذا استشرت فاضدق الحديث، تصدق المشورة، ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك»^(٤).

ومن وصية عمر بن الخطاب لأبي عبيد بن مسعود الثقفي في فتح العراق: «اسمع من أصحاب رسول الله ﷺ وأشركهم في الأمر»^(٥).

(١) سورة آل عمران: جزء من الآية (١٥٩).

(٢) المحرر الوجيز: ٥٣٤/١، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.

(٣) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، باب (٣٤).

(٤) الكامل: لابن الأثير: ٢/٢٧٧، ط. دار الكتاب العربي.

(٥) المصدر السابق: ٤٣٣/٢.

المفهوم الثالث: القدوة العملية أفضل وسيلة لحمل الناس على ما يراد منهم فعله.

فالدعاة وأصحاب الأفكار إن لم يصاحب كلامهم عمل صادق وجهد مخلص فلا ثمرة لتلك الدعوة، ولا أثر لهذه الأفكار. لقد أبى الصحابة في بداية الأمر الاستجابة لأمر الرسول ﷺ فلم ينحروا ولم يحلقوا، ولكنهم ما إن شاهدوا رسول الله ﷺ ينحر ويحلق إلا سارعوا للإمتثال.

وفي ذلك يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).

فلا بد مع دعوة الآخرين من عمل صالح، يحملهم على الاقتداء، ويُسْعِرُهُمْ بِصِدْقِ الدُّعَاءِ.

المفهوم الرابع: المكانة السامية للمرأة في الإسلام.

حيث أشرك رسول الله ﷺ زوجته في الأمر، وطلب مشورتها، فلما أشارت عليه بما رأت اقتنع به، وسارع إلى التنفيذ، وفي هذا أبلغ ردّ على من يتّهمون الإسلام بأنه ظلم المرأة وخطّ من مكانتها.

فها هي المرأة في العهد النبوي تبلغ الذروة حينما يُعْطِيهَا الإسلام الْفُرْصَةَ فِي مَعْضَلَاتِ الْأُمُورِ، وَتَنْفِيذِ مَا تَقْتَرِحُهُ، مَا دَامَ فِي ذَلِكَ مَصْلَحَةٌ لِلأُمَّةِ، وَتَفْرِيجٌ لِأَزْمَاتِهَا.

(١) سورة فصلت: الآية (٣٣).

الموقف الثاني عشر: اهتمامها بتوبة الله تعالى على العاصين

في حديثه عن توبة الله تعالى على الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك يروي البخاري بإسناده عن كعب بن مالك أحد هؤلاء الثلاثة فيقول: «فأنزل الله توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الأخير من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة رضي الله عنها وكانت أم سلمة مُحْسِنَةً في شأني، مَعِينَةٌ في أمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة تيب على كعب»، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: «إِذَا يَحْطَمُكُمْ النَّاسُ فَيَمْنَعُونَكُمْ النَّوْمَ سَائِرَ اللَّيْلَةِ»، حتى إذا صَلَّى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذَنَ بتوبة الله علينا، وكان إذا سُرَّ استنار وجهه كأنه قطعة من القمر»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

هذا النص جزء من حديث طويل خاص بقصة الثلاثة الذين خُلفُوا في غزوة تبوك، وهذا الحديث فيه من المفاهيم التربوية الكثير والكثير والتي يطول الحديث عنها، ولذلك فإننا سنقتصر على تلك المفاهيم الخاصة بأم سلمة في هذا النص:

ويأتي على رأس هذه المفاهيم، ما يلي:

المفهوم الأول: فضيلة التبشير بالخير.

ويبدو ذلك من خلال:

(١) صحيح البخاري، كتاب التفسير، تفسير سورة التوبة.

أ - تبشير الرسول أم سلمة بذلك حينما قال لها: يا أم سلمة تيب على كعب.

ب - قول أم سلمة: أفلا أُرسلُ إليه فأبشّره؟

المفهوم الثاني: عدم اتصال الزوجة بالآخرين إلا بإذن الزوج ورضاه. يؤخذ هذا من قول أم سلمة: «أفلا أرسل إليه فأبشّره».

المفهوم الثالث: فرحة المسلم بكل خير ينزل على المسلمين، دون حسدٍ أو بغضاء.

ويُعبّر عن هذه الفرحة قول الرسول ﷺ لما طلبت منه أم سلمة أن تبشر كعباً: «إذا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة».

كما يعبر عن هذه الفرحة موقف المهاجرين والأنصار حينما بلغهم نبأ توبة الله على هؤلاء الثلاثة، كما جاء في بقية الحديث.

الموقف الثالث عشر: نُصرتها علياً بن أبي طالب ﷺ ابن عم زوجها وزوج ابنته إضافة إلى أن الحق معه

لَمَّا حَدَّثَتِ الْفِتْنَةَ الْكُبْرَى عَقِبَ مَقْتَلِ عَثْمَانَ ﷺ ، وَحَدَّثَ النَّزَاعَ بَيْنَ عَلِيٍّ وَمَعَاوِيَةَ ﷺ ، وَرَأَتْ ضَرُورَةَ وَقُوفِهَا مَعَ مَنْ بَايَعَهُ الْمُؤْمِنُونَ أَمِيرًا عَلَيْهِمْ ، جَاءَتْ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَقَالَتْ لَهُ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْلَا أَنَّ أَعْصِيَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ - وَأَنْتَ لَا تَقْبَلُهُ مِنِّي - لَخَرَجْتَ مَعَكَ ، وَهَذَا ابْنِي عَمْرٌ ، وَاللَّهِ لَهُوَ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي ،

يخرج معك، فيشهد مشاهدك»^(١)، وفي سير أعلام النبلاء: أن علياً طلب منها أن تسير معه نوبة الجمل فبعثت معه ابنها عمر^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يتضمن هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية:

المفهوم الأول: طاعة الله عز وجل ورسوله ﷺ مُقَدِّمة على هوى النفس.

فأم سلمة رضي الله عنها أرادت أن تنصر أمير المؤمنين في تثبيت دعائم دولة المسلمين، والوقوف أمام من يُحَرِّك دَفَّةَ الفتنة، إلا أَنَّهَا مأمورة من قبل ربِّها عز وجل كسائر زوجات النبي ﷺ أن يَلْزَمْنَ بُيُوتَهُنَّ فلزمت بيتها، قال تعالى لنساء النبي ﷺ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٣).

المفهوم الثاني: المشاركة في الخير بِقَدْرِ المُسْتَطَاع.

فقد يحدثُ للإنسان عائق يحول دون بلوغه أداء عمل يُحِبُّه الله تعالى، ولكن في استطاعته المشاركة بصورة أُخْرَى.

فينبغي له أن لا يَحْرِمَ نفسه، كمن لا يستطيع أن ينفق على مسكين، ولكنه يستطيع حَضَّ إنسان غَنِيٍّ على الإنفاق عليه.

قال تعالى عَمَّنْ أوتِي كتابه بِشِمَالِهِ وَأَضْلَاهُ اللهُ الْجَحِيمَ: ﴿إِنَّهُ كَانَ

(١) هذا النص نقلاً عن تراجم سيدات بيت النبوة، لبنت الشاطي، د. عائشة عبدالرحمن،

٣٣٨.

(٢) سير أعلام النبلاء: ٤/٤٩١.

(٣) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٣).

لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣٤﴾ (١).

وبناء عليه فإنَّ أم سلمة لما رأت عدم إمكان مشاركتها علياً بنفسها نصرته بولدها عمر، لِيَشْهَدَ مَعَهُ مَشَاهِدَهُ.

المفهوم الثالث: جواز مُشَارَكَةِ الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ فِي حُرُوبِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا يَتَنَاسَبُ مَعَ إِمْكَانَاتِهَا.

وقد حَدَّثَ هَذَا فِي الْعَهْدِ النَّبَوِيِّ، فَالْإِمَامُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَغَازِي يُفْرِدُ بَاباً لِأَحَدِي الصَّحَابِيَّاتِ اللَّاتِي شَارَكْنَ فِي غَزْوَةِ أَحَدٍ وَيَقُولُ: فِي بَابِ ذِكْرِ أُمِّ سَلِيْطٍ، وَيَذْكَرُ بِإِسْنَادِهِ عَنْ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَبِي مَالِكٍ قَوْلَهُ: «إِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَسَمَ مَرُوطًا بَيْنَ نِسَاءِ مَنْ نَسَاءُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، فَبَقِيَ مِنْهَا مِرْطٌ جَيِّدٌ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ مَنْ عِنْدَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَعْطِ هَذَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم الَّتِي عِنْدَكَ - يَرِيدُ أُمَّ كَلْثُومَ بِنْتَ عَلِيٍّ - فَقَالَ عُمَرُ: أُمَّ سَلِيْطٍ أَحَقُّ بِهِ، وَأُمَّ سَلِيْطٍ مِنْ نِسَاءِ الْأَنْصَارِ مِمَّنْ بَايَعَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ عُمَرُ: فَإِنَّهَا كَانَتْ تَزْفِرُ لَنَا الْقَرَبَ يَوْمَ أَحَدٍ».

وَفِي غَزْوَةِ حَنْينَ نَرَى أُمَّ سَلِيْمٍ - وَالِدَةَ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - تُشَارِكُ. قَالَ عَنْهَا الْحَافِظُ ابْنُ حَجْرٍ: «وَكَانَتْ تَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَلَهَا قِصَصٌ مَشْهُورَةٌ، مِنْهَا مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ أَنَّ أُمَّ سَلِيْمٍ اتَّخَذَتْ خَنْجِراً يَوْمَ حَنْينَ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ - زَوْجُهَا - يَا رَسُولَ

(١) سورة الحاقة: الآيتان (٣٣، ٣٤).

الله هذه أم سليم معها خنجر، فقالت: اتخذته إن دنا منِّي أحد المشركين بقرت بطنه»^(١).

المفهوم الرابع: التّضحية بأغلى شيء في سبيل إعلاء كلمة الدين.
فكلُّ شيء في الوجود هين البذل في سبيل الوفاء بما عاهد عليه المسلم ربّه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(٢).

يؤخذ هذا المفهوم من قول أم سلمة لعلي: «وهذا ابني عمر، والله لهو أعزّ عليّ من نفسي، يخرج معك فيشهد مشاهدك».

فما أحوج نساء الأمة بل ورجالها إلى الاقتداء بأم سلمة رضي الله عنها.

الموقف الرابع عشر: حبها الشديد لابن بنت زوجها الحسين بن علي رضي الله عنه

قال الذهبي: «وكانت آخر من مات من أمّهات المؤمنين، عمّرت حتى بلغها مقتل الحسين الشهيد، فوجمت لذلك، وغشي عليها، وحزنت عليه كثيراً، لم تلبث بعده إلا يسيراً وانتقلت إلى رحمة الله»^(٣).

(١) الإصابة: (٤١٠/٨).

(٢) سورة التوبة: جزء من الآية (١١١).

(٣) سير أعلام النبلاء: ٤٧٤/٣.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف مفهومان:

المفهوم الأول: سمو منزلة أهل بيت رسول الله ﷺ عامة، والحسن والحسين خاصة.

تلك المنزلة التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(١)، وقال فيها رسول الله ﷺ: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة»^(٢)، «فاطمة بضعة مني فمن أغضبها أغضبني»^(٣).

وقال أيضاً عن الحسن والحسين: «اللهم إني أحبهما فأحبهما»^(٤) وقال عنهما أيضاً: «هما ريحائتي من الدنيا»^(٥) إلى غير ذلك من الأحاديث.

المفهوم الثاني: وجوب محبة أهل البيت.

فمحبتهم محبة لرسول الله، وبغضهم بغض لرسول الله ﷺ: وإذا كان الرسول ﷺ قد حذر من الخوض في سائر صحابته واعتبر حُبهم من محبته، وبُغضهم من بغضه في مثل قوله ﷺ: «اللله الله في

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٣٣).

(٢) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب (١٢).

(٣) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب (١٢).

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب (٢٢).

(٥) صحيح البخاري: كتاب فضائل الصحابة، باب (٢٢).

أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم، فبحبي أحبهم،
ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»^(١) فإن هذا التحذير من باب أولى
ينسحب على من خاض في آل بيته عليهم السلام.

ولكن ينبغي أن ندرك أن تلك المَحَبَّة لها حدودٌ يجب أن لا
تتخطَّأها، كما يفعله كثير من المسلمين في بقاع شتى في الأقطار
الإسلامية المختلفة، من بناء أضرحة لهم، وطلب النفع والدفع
منهم، والاستعانة بهم، ونحو ذلك مما لا يطلب إلا من الله عز
وجل.

* * *

(١) الترمذي: كتاب المناقب، باب (٥٨).

أم كلثوم بنت علي عليها السلام

نبذة عن حياتها:

اسمها ونسبها:

هي أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم
ابن عبد مناف بن قصي .
وأُمُّها فاطمة بنت رسول الله ﷺ .

وُلدت في حدود سنة سِتٍّ من الهجرة، ورأت النبي ﷺ ولم ترو
عنه شيئاً^(١) .

أزواجها:

تزوجها عمر بن الخطاب وحين تزوجها أتى المهاجرين فقال:
«... ألا تهنوني؟ فقالوا: بمن يا أمير المؤمنين؟ فقال: بأم كلثوم
بنت علي وابنة فاطمة بنت رسول الله ﷺ إني سمعت رسول الله
ﷺ يقول: «كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة إلا ما كان سببي
ونسبي فأحببت أن يكون بيني وبين الرسول ﷺ نسب وسبب»^(٢)

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٨/٤٦٣، سير أعلام النبلاء ٣/٥٠٠ .

(٢) رواه الحاكم في المستدرک (٣/١٤١) وصححه .

ولم تزل عنده إلى أن قتل، ثم خَلَفَ عليّ أم كلثوم - بعد عمر - عونُ ابن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب فتوفي عنها، ثم خلف عليها أخوه محمد بن جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب فتوفي عنها، فخلف عليها أخوه عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، بعد أختها زينب بنت علي بن أبي طالب، فقالت أم كلثوم: إني لأستحيي من أسماء بنت عميس إن ابنتيها ماتا عندي، وإني لأتخوف على هذا الثالث، فهلكت عنده، ولم تلد لأحد منهم شيئاً^(١).

وفاتها:

أخرج ابن سعد عن وكيع بن الجراح عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر قال: «مات زيد بن عمر وأم كلثوم بنت عليّ، فصلّى عليهما ابنُ عمر، فجعل زيدا ممّا يليه، وأمّ كلثوم ممّا يلي القبلة، وكبّر عليهما أربعا».

وفي رواية أخرى أن الذي صلّى عليهما هو سعيد بن العاص - أمير المدينة حينئذ - وخلفه ثمانون من أصحاب سيدنا محمد ﷺ^(٢).

(١) الطبقات الكبرى ٤٦٣/٨، الإصابة ٢٩٤/٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٤٦٤/٨، وحكم الحافظ العسقلاني على سند الرواية الثانية بالصحة، ينظر الإصابة ٢٩٤/٨.

المواقف الأسرية في حياة السيدة أم كلثوم بنت علي رضي الله عنها

في المصادر التي ترجمت للسيدة أم كلثوم رضي الله عنها عدّة مواقف أسرية، تنطوي على العديد من المفاهيم التربوية، التي يمكن الانتفاع بها في حياتنا.

الموقف الأول: طاعتها لوالدها في أمر زواجها:

سبق الحديث عن زواجها من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ورأينا في ذلك طاعتها لوالدها، وتمثّلت هذه الطاعة في موقف آخر، فقد روى ابن الأثير بسنده عن حسن بن علي بن أبي طالب قال: لَمَّا تَأَيَّمَتْ أُمُّ كَلْثُومِ بِنْتِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ مِنْ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه دَخَلَ عَلَيْهَا حَسَنٌ وَحُسَيْنٌ أَخَوَاهَا فَقَالَا لَهَا: إِنَّكَ مِمَّنْ قَدْ عَرَفْتَ سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَبِنْتَ سَيِّدَتَيْهِنَّ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ إِنْ أَمَكْنَتْ عَلِيًّا مِنْ رُمْتِكَ (أي: أمرك) لَيُنْكِحَنَّكَ بَعْضُ أَيْتَامِهِ، وَلَئِنْ أَرَدْتَ أَنْ تُصِيبِي بِنَفْسِكَ مَا لَا عَظِيمًا لِتُصِيبِيهِ. فَوَاللَّهِ مَا قَامَا حَتَّى طَلَعَ عَلِيٌّ يَتَكَيُّ عَلَى عِصَاهُ، فَجَلَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَذَكَرَ مَنَزَلَتَهُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَقَالَ: قَدْ عَرَفْتُمْ مَنَزَلَتَكُمْ عِنْدِي يَا بَنِي فَاطِمَةَ، وَأَثَرَتُكُمْ عَلَى سَائِرِ وَلَدِي؛ لِمَكَانِكُمْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَقَرَابَتِكُمْ مِنْهُ. فَقَالُوا: صَدَقْتَ، رَحِمَكَ اللَّهُ، فَجَزَاكَ اللَّهُ عَنَّا خَيْرًا. فَقَالَ: أَيُّ بُنْيَةٍ، إِنْ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَدْ جَعَلَ أَمْرَكَ بِيَدِكَ، فَأَنَا أَحَبُّ أَنْ

تجعليه بيدي فقالت: أيّ أبه، إني لامرأة أرغب فيما يرغب فيه النساء، وأحب أن أصيب مما تصيب النساء من الدنيا، وأنا أريد أن أنظر في أمر نفسي. فقال: لا، والله يا بنية ما هذا من رأيك، ما هو إلا رأي هذين. ثم قام فقال: والله لا أكلم رجلاً منهما أو تفعلين. فأخذاً بثيابه، فقالا: اجلس يا أبه. فوالله ما على هجرتك من صبر، اجعلي أمرك بيده. فقالت: قد فعلت. قال: فإني قد زوجتك من عون ابن جعفر... (١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

المفهوم الأول: النزول على رأي الوالد إذا كان في طاعة الله:

فالسيدة أم كلثوم عليها السلام مع أنها ثيبٌ ويحقُّ لها أن تختار زوجها بكامل رضاها، فقد نزلت على رأي أبيها، لِمَا تعلم من الخير الكامن في هذا الاختيار، ولفرط ثقتها في والدها، وحسن اختياره.

المفهوم الثاني: من طبيعة النَّفس البشرية أن تميل إلى زينة الحياة الدنيا:

ففي الموقف السابق وجدنا الحسن والحسين - عليهما السلام - يحاولان إقناع السيدة أم كلثوم عليها السلام بأن تختار زوجاً ذا يسارٍ وغنى، ورأيها مالت - في بداية الأمر - إلى هذا الرأي، ولكن سرعان ما ذهبت الغشاوة عن الجميع.

وفي هذا بيان لنا جميعاً بأن النَّفس الإنسانية لا بدَّ وأن تشتاق -

(١) أسد الغابة ٤٢٦/٧، ٤٢٥.

بسبب طبيعتها البشرية - إلى الرفاهية والتنعّم بزينة الحياة الدنيا، حتى ولو كان هذا الإنسان ذا صلة وثيقة برّبّه وإيمان عميق به.

وبناء على ذلك فالأسرة الواحدة يجب أن يراعى أفرادها هذا الأمر في علاقاتهم بعضهم مع بعض، وألا ينزعجوا إذا ما رأوا ميلاً من أحدهم إلى الدنيا وزيتها، وإنما عليهم معالجة الأمر بحكمة وهدوء.

المفهوم الثالث: أداء النصيحة واجب:

في الموقف السابق تقدّم الحسن والحسين ؓ إلى أختهما أم كلثوم ؓ بنصيحة رأياً فيها - من وجهة نظرهما - الخير لها.

أما سيدنا علي ؓ فرأى أنّ الخير يتمثل في أمرٍ آخر، فقدم نصيحته لابنته، وحاول إقناعها بها بشتّى الطرق.

وفي هذا دليل على أن الأسرة الواحدة يجب أن يسودها جوّ النصح والإرشاد؛ كي تستقيم الأمور على طاعة الله - عز وجل.

الموقف الثاني: حسن علاقتها بزوجها أمير المؤمنين عمر بن

الخطاب ؓ

روى ابن سعد عن عبد الله بن دينار عن سعد الجاري مولى عمر ابن الخطاب، أن عمر بن الخطاب دعا أمّ كلثوم بنت علي بن أبي طالب - وكانت تحته - فوجدها تبكي، فقال ما يُبكيك فقالت: يا أمير المؤمنين هذا اليهودي - تعني كعب الأحبار - يقول إنّك على باب من أبواب جهنم، فقال عمر: ما شاء الله، والله إنّني لأرجو أن يكون ربّي خلقني سعيداً، ثم أرسل إلى كعب فدعاه، فلمّا

جاءه كعب قال: يا أمير المؤمنين لا تعجل عليّ، والذي نفسي بيده لا ينسلخ ذو الحجة حتى تدخل الجنة، فقال عمر: أي شيء هذا؟! مرّة في الجنة ومرّة في النَّار، فقال: يا أمير المؤمنين، والذي نفسي بيده إنا لنجدك في كتاب الله على باب من أبواب جهنم، تمنع الناس أن يقعوا فيها، فإذا مِتَّ لم يزلوا يقتحمون فيها إلى يوم القيامة^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد من هذا الموقف عدّة مفاهيم منها:

المفهوم الأول: حُبُّها لزوجها وحرصها عليه:

فالسيدة أم كلثوم - رضي الله عنها؛ لفرط حُبِّها لزوجها وحرصها عليه، أهمها ما قاله كعب الأحبار عنه، فانزعجت وقلقت على مصير زوجها فجلست تبكي.

وهكذا حال الزوجة المسلمة المحبّة لزوجها الحريصة عليه، تهتم لأمره وتخاف عليه لأنها ترجو له منزلة كريمة عند ربه. وهذا الشعور لو سرّى بين الأزواج لسعدت الأسر المسلمة، وعاشت عيشة هنيئة سعيدة.


المفهوم الثاني: تفقد الزوج لأحوال زوجته وسؤالها عمّا يسرّها أو يحزنها:



فالزوج عندما يدخل بيته عليه أن يتفقد أحوال زوجته، وإن رأى على وجهها علامات السّرور أو الحزن، عليه أن يسألها عن السبب؛ لعلّه يستطيع أن يشاركها في سرورها أو أن يزيل عنها أسباب حزنها.

(١) الطبقات الكبرى ٣/ ٣٣٢.

أما الزوج الذي تقتصر علاقته بزوجته على الطعام والشراب والاستمتاع بها، فزوج يعمل - وهو يشعر أو لا يشعر - على انهيار أسرته، وتقويض بُنيانها.

الموقف الثالث: القناعة والرضا:

روى الإمام أحمد بن حنبل  بسنده عن أبي صالح، قال: دخلت على أم كلثوم بنت علي، فإذا هي تمشط في ستر بيني وبينها، فجاء حسن وحسين فدخلا عليها، وهي جالسة تمتشط، فقالا ألا تطعمون أبا صالح شيئاً، قال: فأخرجوا لي قصعة فيها مرق بحبوب، قال: فقلت: تطعموني هذا وأنتم أمراء! فقالت أم كلثوم: يا أبا صالح كيف لو رأيت أمير المؤمنين - يعني علياً - وأتيت بأثرج فذهب حسن يأخذ منه أترجة، فنزعها من يده، ثم أمر به فقسّم بين الناس ^(١).

وذكر الواقدي أنّ أبا نعيم الأنصاري وقدّ على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب  بكتابين أحدهما: من خالد بن الوليد، والآخر: من عمرو بن العاص، ويروي أبو نعيم فيقول: أخذني ومضى إلى بيته، بيت أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب  وأدخلني إليه، فإذا فيه فراش من آدم حشوه ليف، ووسائد من صوف، وقطيفة واحدة، فجلستُ فقال لأم كلثوم: هل عندك شيء

(١) فضائل الصحابة ١/٥٤٠.

من التمر؟ قالت: لا إلا اللبن الحامض، قال: ذلك لي، وإن عندنا ضيفاً، فحضرت بعكة من سمن وقليل من عسل وفطير مع جارية، فأكلت قليلاً من المذكور وأخرجت الباقي لأصحابي^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: الزهد في الدنيا:

فالسيدة أم كلثوم عليها السلام وهي من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله والتي لو أرادت أن تعيش في يسار وغنى لعاشت، لكنها عليها السلام تزهد في الدنيا، وتحيا حياة الزهد.

فليس في بيتها أثاث فاخر، ولا طعام مما تشتهيهِ الأنفس، ففراشها من آدم حشوه ليف، ووسائدها من صوف، وليس سوى قטיפه واحدة، أما الطعام فلبن حامض، أو مرق بحبوب. والتمر مع انتشاره في المدينة ليس موجوداً في بيتها، وتعيش عليها السلام وهي راضية.

وفي هذا درس لكل مسلمة، خاصة تلك النساء اللاتي تزوجن من رجل فقير، أو متوسط الحال، بل قدوة حسنة، فإذا كانت أم كلثوم عليها السلام بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تعيش هذه العيشة، فلا غضاضة أن تعيش في مثلها أي مسلمة تبغى رضوان الله - عز وجل، ولا تكلف زوجها ما لا يطيق.

(١) فتوح الشام ٢/٣٠٧.

المفهوم الثاني: الجود وحسن التصرف:

ففي الروايتين السابقتين رأينا السيدة أم كلثوم عليها السلام تجود بما عندها، فتخرج لأبي صالح قصعة فيها مرق بحبوب.

كما أنّها تُحسِنُ التَّصَرُّفَ، وذلك عندما جهزت لضيفها (أبو نعيم الأنصاري) طعاماً من سمن وقليل من عسل وفطير.

فالزوجة قد تفاجأ بضيف يدخل عليها، وليس عندها شيء - كما حدث مع أم كلثوم عليها السلام وهنا عليها أن تحسن التصرف، وتقوم بتجهيز طعام لهذا الضيف، دون أن تكلف نفسها أو زوجها عناءً كبيراً. وعلى الضيف أن يرضى بما يُقدِّم له، ويحمد ربّه على ما رزقه.

المفهوم الثالث: اقتداء الأبناء بفعل الآباء:

فعلى الآباء أن يُعلِّموا أبناءهم الاقتداء بأفعالهم وأقوالهم، وأنهم يتعلمون من هذه الأفعال حسنة كانت أو غير حسنة، فها هي السيدة أم كلثوم عليها السلام تقول لأبي صالح: يا أبا صالح كيف لو رأيت أمير المؤمنين - يعني علياً - وأتى بأترج فذهب حسن يأخذ منه أترجة، فنزعها من يده ثم أمر به فقسّم بين الناس.

الموقف الرابع: جهدها في القضاء على فتنة أوشكت على الاشتعال:

بلَغَ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنه خرج إلى الشام، وكان عليّاً خشي أن ينضمّ ابنُ عمر رضي الله عنه إلى

طلحة والزبير رضي الله عنهما ومن كان معهما، وعندئذ ذهب رضي الله عنهما إلى السوق ودعا بالظَّهر، فحمل الرجال وأعدَّ لكل طريقٍ طلاباً، وماج أهل المدينة، وسمعت أم كلثوم بالذي هو فيه، فدعت ببغلتها فركبتها في رخل، ثم أتت عليّاً وهو واقف في السوق يفرق الرِّجال في طلبه، فقالت: ما لك لا تزند من هذا الرجل، إن الأمر على خلاف ما بلُّغته وحدُّته قالت: أنا ضامنة له، فطابت نفسه، وقال: انصرفوا، لا والله ما كذبت ولا كذب، وإنه عندي ثقة فانصرفوا.

والذي دعا أم كلثوم إلى ذلك أنّ ابن عمر رضي الله عنهما كان أخبرها قبل خروجه من المدينة، بأنه يخرج معتمراً مقيماً على طاعة عليّ رضي الله عنه ما خلا النهوض لقتال طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة ومعاوية - رضي الله عنهم جميعاً -؛ ولأن ابن عمر كان صدوقاً فاستقرَّ ذلك عندها، وفعلت ما فعلت^(١).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

الإيجابية في الوقوف إلى جوار الحق:

فسيدنا علي رضي الله عنه ذهب إلى السوق، ودعا بالظَّهر، فحمل الرِّجال، وأعدَّ لكل طريق طلاباً، ولكن هل تقف السيدة أم كلثوم رضي الله عنها مكتوفة اليدين مع علمها بحقيقة الأمر؟ هل تترك والدها يُطارد بريئاً ويُرزعجه؟ هل تنتظر حتى تقع الفتنة وبعدها تذهب

(١) تاريخ الأمم والملوك ٥/٣، الفتنة ووقعة الجمل ص ١٠٩.

للدفاع عن البريء؟ أو أنه من الأفضل أن تسعى لكبح جماح الفتنة التي أطلت برأسها، لِمَا تعلمه من أمر ابن عمر - رضي الله عنهما .

إن أباهما هو الذي أعدَّ الظهر، وحمل الرجال، ولكن الإيجابية المتأصلة في نفسها هي التي دعته لمناصرة الحق، والوقوف إلى جواره، وتبرئة ساحة ابن عمر - رضي الله عنهما .

وهذه الإيجابية ليتها تتأصل في نفس كلّ مسلم ومسلمة؛ كي تعود الأمة المسلمة إلى سابق مجدها وعزّها.

الموقف الخامس: صبرها الشديد عند استشهاد والدها

عندما طَعَنَ عبدُ الرحمن بنُ ملجم سيدنا عليّاً رضي الله عنه قالت أم كلثوم بنت عليّ لابن ملجم: يا عدوّ الله قتلت أمير المؤمنين؟! قال: ما قتلتُ إلا أباك، قالت: فوالله إني لأرجو أن لا يكون علي أمير المؤمنين بأسّ، قال: فَلِمَ تبكين إذا؟ ثم قال: والله لقد سَمَّمْتُهُ شهراً - يعني سيفه - فإنْ أخلفني فأبعده الله وأسحقه ^(١) .

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: التأدّب بأدب الإسلام عند حدوث المصائب:

فالسيدة أم كلثوم رضي الله عنها تأدّبت بأدب الإسلام، فلم تلطم خدّاً، ولم تشقّ جيّاباً، ولم تدعُ بدعوى الجاهلية.

(١) الطبقات الكبرى ٣/٣٧، تاريخ الأمم والملوك ٣/١٥٧.

المفهوم الثاني: جواز البكاء على المتوفى:

ففي الموقف السابق رأينا السيدة أم كلثوم رضي الله عنها تبكي على أبيها، وهذا جائز، فقد دمعت عينا النبي صلى الله عليه وسلم عندما مات ولده إبراهيم، وقال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، واللّه يا إبراهيم إنا بك لمحزونون»^(١).

المفهوم الثالث: أن يأمل المسلم الخير دائماً:

فقول السيدة أم كلثوم - رضي الله عنها: «إني لأرجو ألا يكون على أمير المؤمنين بأسٌ» يشتمل على أملٍ عظيم في حياة أبيها، وهي تقول هذا بعد أن طعن أبوها طعنة قاتلة، فكان هذا القول منها دليلاً على عدم تمكّن اليأس منها، ولعلّ هذا من باب الفأل الحسن الذي كان يُعجب النبي صلى الله عليه وسلم. فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا عدوى ولا طيرة، ويُعجِبُنِي الفألُ» قال: قيل وما الفأل؟ قال: «الكلمة الطيبة»^(٢).

* * *

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، عن أنس - رضي الله عنه - (صحيح مسلم بشرح النووي) ١٥/

٧٥ (برقم ٢٣١٥) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم وتواضعه.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٩/١٤ (برقم ٢٢٢٤) كتاب السلام، باب الطيرة والفأل

وما يكون فيه الشؤم.

أنس بن مالك

نبذة عن حياته:

اسمه ونسبه وكنيته:

هو: أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار.

وأمه: أم سليم بنت ملحان الأنصارية، يكنى أبا حمزة، سمي باسم عمه أنس بن النضر^(١).

ولد سنة ثلاث من بعثة النبي ﷺ، أي قبل هجرته ﷺ بعشر سنين، لما رواه مسلم^(٢) عنه ﷺ قال: (قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ، المَدِينَةَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ، وَمَاتَ وَأَنَا ابْنُ عَشْرِينَ سَنَةً).

نشأته، ومناقبه، وأبرز مواقفه:

نستطيع القول بأن أنس بن مالك ﷺ نشأ في بيت النبوة، فقد جاءت به أمه ودفعته إلى النبي ﷺ؛ ليعلمه وهو ابن عشر سنين، وكان يفتخر بكونه خادم رسول الله ﷺ، وكان ذا مكانة لديه ﷺ فعن أنس ﷺ قال: «خدمته - أي رسول الله ﷺ - في السَّفَرِ

(١) الطبقات الكبرى: لمحمد بن سعد: ١٧/٧، ط. دار صادر - بيروت.

(٢) في صحيحه: ك/ الأشربة، ب/ استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ: ح (٢٠٢٩).

والْحَضْر، وما قال لي لشيء صنعته لم صنعت هذا هكذا؟ ولا لشيء لم أصنعه: لِمَ لَمْ تصنع هذا هكذا؟^(١)

دعا له رسول الله ﷺ بالبركة في ولده وماله، فعنه عليه السلام أن أم سليم قالت: «يا رسول الله إن لي خُوَيْصَةَ - أي أريد دعوةً خاصَّةً - قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به: اللهم ارزقه مالاً وولداً وبارك له، فَإِنِّي لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة^(٢) وكان له بستان يُثْمَرُ الفاكهة في السنة مرتين^(٣).

لازم النبي ﷺ منذ هاجر حتى مات، وروى عنه كثيراً من الأحاديث، كما روى عن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاذ وأسيد بن حضير وغيرهم، وروى عنه خَلْقٌ كثيرٌ منهم: الحسن وابن سيرين، والشعبي وعمر بن عبد العزيز، وثابت البناني وغيرهم^(٤).

ولقد كان أنس بن مالك رضي الله عنه حريصاً أشد الحرص على سُنَّةِ

(١) الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: ك. الوصايا، ب. استخدام اليتيم في السفر والحضر إذا كان صلاحاً له، ح (٢٧٦٨)، وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة: لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد: ١٥٢/١، ط. دار الشعب.

(٢) الحديث: في صحيح البخاري: ك. الصوم، ب. من زار قوماً فلم يفطر عندهم، ح (١٩٨٢).

(٣) انظر: تهذيب الكمال في معرفة أسماء الرجال: ٣/٣٦٥ للحافظ جمال الدين أبي الحجاج يوسف المزي، طبع مؤسسة الرسالة.

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء: ٣/٣٩٦ للإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، طبع مؤسسة الرسالة.

رسول الله ﷺ أن تَضِيعَ أَوْ تُعَيَّرَ، ذكر ابن كثير^(١) عن الزهري قوله: (دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك، قال: لا أعرف مِمَّا كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة، وقد صنعتم فيها ما صنعتم، وفي رواية: وهذه الصلاة قد ضُيِّعَتْ - يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع - كانوا يواظبون على التأخير، إلا عمر بن عبدالعزيز في أيام خلافته).

وقد استعمله أبو بكر ثم عمر رضي الله عنهما على عمالة البحرين - أي إمارتها - وشكرأه في ذلك، وقد انتقل بعد النبي ﷺ فسكن البصرة، وكان له بها أربع دور.

وكان أنس رضي الله عنه مستجاب الدعاء مما يدل على كرامته عند الله تعالى، ومن أظهر ما يدل على ذلك ما ذكره ثابت البناني قال: شكا قَيْمٍ - أي أجيرٍ له - في أرضه - أي أرض أنس - العطش، فصلى أنس فدعا، فثارت سحابة حتى غَشِيَتْ أرضه، فأَمْطَرَتْ حتى ملأت صهريجه، فأرسل غلامه، فقال: انظر أين بلغت هذه، فنظر فإذا هي لم تعد أرضه^(٢).

ولأنس بن مالك رضي الله عنه مواقف تدل على ورعه وزهده وقناعته وأمانته:

(١) في البداية والنهاية: ٩٩/٩ طبع دار الفكر العربي.
(٢) انظر: المنتظم في تواريخ الملوك والأمم: ١٧٩٠/٤ لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

من هذه المواقف ما ذكره العَلَّامة شمس الدين الذهبي عن حماد بن سلمة، قال: أخبرنا عبيد الله بن أبي بكر عن أنس قال: استعملني أبو بكر على الصَّدقة، فقدمت وقد مات، فقال عمر: يا أنس أجتئنا بظهر؟ قلت: نعم، قال: جئنا به، والمال لك، قلت: هو أكثر من ذلك، قال: وإن كان فهو لك، وكان أربعة آلاف^(١).

رحم الله أنساً ورضي عنه، فقد أبى عليه ورعه أن يتعلق بالكلمة الأولى من عمر رضي الله عنه حتى يجعله على بينة من أمر ما جاء به من المال.

جهاده رضي الله عنه:

شهد أنس رضي الله عنه غزوة بدر، ولم يذكر في البدرين؛ لأنه إنما شهدها غلاماً يخدمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكنه شهد بعد ذلك بَيْعة الرِّضوان تحت الشجرة، وشهد الفتح بعد ذلك^(٢).

وفاته:

بعد عُمرٍ حافلٍ بالعطاء والجهاد والعلم والتعليم توفي أنس بن مالك رضي الله عنه بالبصرة، وكان آخر الصحابة موتاً بها، وكان ذلك سنة ثلاث وتسعين للهجرة على الأرجح، وقد نيف عمره على المائة سنة^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء: ٤٠١/٣ مرجع سابق.

(٢) البداية والنهاية: ٩٩/٩ مرجع سابق.

(٣) انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة: ١٥٢/١، مرجع سابق.

المواقف الأسرية في حياة أنس بن مالك رضي الله عنه :

الموقف الأول: توجيهه رضي الله عنه ابنته إلى معايير الخَيْرِ الْحَقَّةِ :-

أخرج البخاري^(١) عن ثابت البناني قال: (كنت عند أنس وعنده ابنة له، قال أنس: جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ تعرض عليه نفسها^(٢)) قالت: يا رسول الله، ألك بي حاجة؟ فقالت بنت أنس: ما أقل حياءها، واسوأها، قال: هي خير منك، رغبت في النبي ﷺ فعرضت عليه نفسها).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

المفهوم الأول: إن المعيار الحق في التفاضل هو مدى حرص الإنسان على ما يكون خيراً له في آخرته قبل دنياه، وهذا ما وجه إليه أنس رضي الله عنه ابنته في بيان أن التي عرضت نفسها على النبي ﷺ خيرٌ منها؛ لأنها نظرت إلى الهدف الأسمى، وهي أن تكون زوجاً للنبي ﷺ، فلم يحل حائل الحياء دون محاولتها تحقيق هذا الخير لنفسها، فليس في عرضها نفسها على النبي ﷺ - وهذه غايتها - شبهة ابتذال لنفسها، بل إنها أرادت الخير والكرامة فحاولت تحصيلهما.

المفهوم الثاني: جواز عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح

(١) في صحيحه: ك. النكاح، ب. عرض المرأة نفسها على الرجل الصالح، ح (٥١٢٠).

(٢) رغبة في أن يتزوجها ﷺ.

الذي ترتضي دينه وخلقه، وتعريفه برغبتها فيه، وأنه لا غضاضة ولا حرج عليها في ذلك، وفي هذا تيسير لأمر الزواج، وهو يتفق مع ما أمر الله تعالى به من إنكاح الأيامي والصالحين من رجال المسلمين ونسائهم، وعدم ترك المجتمع تضربه العزوبة بمضارها ومشاكلها.

المفهوم الثالث: إن الرجل إذا عرضت المرأة نفسها عليه بالخيار بين القبول والرد إذا لم يجد بنفسه رغبة فيها، ولكن لا ينبغي أن يصرح بالرد، بل يكتفي بالسكوت في ذلك أدياً معها حتى لا يواجهها بما تكره.

المفهوم الرابع: جواز السكوت لمن سئل حاجة ولم يرد أداءها، وأن ذلك أليّن في صرف السائل، وأكثر أدياً من الرد بالقول.

الموقف الثاني: كتمان السرِّ، وحفظه الأمانة: -

أخرج مسلم^(١) عن أنس رضي الله عنه قال: أتى عليّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا ألب مع الغلمان قال: فسلم علينا، فبعثني إلى حاجة، فأبطأت على أمي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله لحاجة، قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سرٌّ. قالت: لا تحدثن بسرّ رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً، قال أنس: والله لو حدثت به أحداً لحدثتكم يا ثابت، يقصد ثابتاً البناني راوي الحديث عنه.

(١) في صحيحه: ك. فضائل الصحابة، ب. فضل أنس بن مالك رضي الله عنه، ح (٢٤٨٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق: -

المفهوم الأول: أن من استحفظ سراً، أو استودع حديثاً، لا يجوز له أن يحدث به أحداً ولو كان أقرب الناس إليه، بل عليه حفظه وكتمانه؛ لأنه لو كان في الأمر سعةً للحديث به ما حرص صاحب السرِّ على اختصاص مَنْ أسرَّ إليه به.

المفهوم الثاني: أن على الغير ممن له صلة ولو قريبة بمن استحفظ على سرٍّ أن يعينه على كتمانه، ولا يطلب منه أو يلج عليه في معرفته مهما كانت الدوافع، وفي ذلك إعانة على الخير، وهذا ما فعلته أم سليم مع ابنها أنس رضي الله عنه، فقد حثته على حفظ السر.

المفهوم الثالث: حب أنس بن مالك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيثار حفظ أمانته على تلبية رغبة أمه.

المفهوم الرابع: أنَّ السرَّ يختلف عن العلم الذي يتعلمه الإنسان من غيره ولا يسعه كتمانه، فقد قال بعض العلماء: كان هذا السر عند أنس يختص بنساء النبي صلى الله عليه وسلم، ولو كان من العلم ما وسعه كتمانه.

المفهوم الخامس: إذا مات صاحب السر فإن موقف المستأمن عليه في إذاعته أو عدمها يتوقف على طبيعة هذا السر، والذي يظهر أن ذلك ينقسم بعد الموت إلى: ما يُباح وقد يستحب ذكره ولو كرهه صاحب السر، كأن يكون فيه تزكية له من كرامة أو منقبة أو نحو ذلك، وإلى ما يكره مطلقاً وقد يحرم إذا كان في إذاعته مضرة

وإثارة فتنة، وإلى ما يجب: كحق كان عليه لغيره يعذر بترك القيام به، ويرجى بعد إذا ذكر لمن يقوم به أن يفعل ذلك^(١).

الموقف الثالث: إتيان أمه به لخدمة الرسول ﷺ، وطلبها الدعاء له:-

أخرج مسلم^(٢) عن أنس قال: «جاءت بي أمي، أم أنس إلى رسول الله ﷺ، وقد أزرّنتني بنصف خمارها ورددتني بنصفه، فقالت: يا رسول الله هذا أتيس ابني، أتيتك به يخدمك، فادع الله له، فقال: «اللهم أكثر ماله وولده» كما أخرج مسلم^(٣) عن أنس قال: قدم النبي ﷺ المدينة وأنا ابن عشر سنين، ومات وأنا ابن عشرين، وكن أمهاتي يحثنني على خدمته».

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:-

المفهوم الأول: حرص الأم على مصلحة ولدها بجعله في كنف من يحسن رعايته، ويفيض عليه العلم والأدب والخير، ولو عمل خادماً له.

المفهوم الثاني: حرص الأم كذلك على استجلاب الخير لولدها، ومن هذا الباب طلب الدعاء له بالخير وخاصة من الصالحين.

(١) انظر في ذلك: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: ١١/٨٢ ابن حجر العسقلاني، دار المعرفة - بيروت (د. ت).

(٢) في صحيحه: ك. فضائل الصحابة، ب. من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه، ح (٢٤٨١).

(٣) في صحيحه: ك. الأشربة، ب. استحباب إدارة الماء واللبن ونحوهما عن يمين المبتدئ، ح (٢٠٢٩).

المفهوم الثالث: الاجتهاد في تنشئة الصغار على العمل النافع الذي يورث خير الدنيا والآخرة، وعدم تركهم للهو بعيداً عن دواعي الجدِّ والخير.

المفهوم الرابع: الندب إلى الاستجابة لطلب الخير بالدعاء لمن يسأل المرء الدعاء له.

المفهوم الخامس: حرص القربات على توجيه الأبناء إلى تحصيل الخير وإجادة العمل، فقد كانت أمهات أنس - كما أخبر - وهن أمه أم سليم، وخالته أم حرام، وغيرهما من محارمه يحثنه على خدمة النبي ﷺ، وقد استخدم لفظ الأمهات في الحديث في حقيقته ومجازه.

الموقف الرابع: موقف ابنته منه في إخباره عن كثرة ذريته: -

أخرج البخاري^(١) عن أنس رضي الله عنه قوله (دخل النبي ﷺ على أم سليم فأته بتمر وسمن، قال: أعيديا سمنكم في سقائه، وتمركم في وعائه، فإني صائم، ثم قام إلى ناحية من البيت فصلّى غير المكتوبة، فدعا لأم سليم وأهل بيتها، فقالت أم سليم: يا رسول الله، إن لي خويصة، قال: ما هي؟ قالت: خادمك أنس، فما ترك خير آخرة ولا دنيا إلا دعا لي به: اللهم ارزقه مالاً وولداً، وبارك له. فإني لمن أكثر الأنصار مالاً، وحدثني ابنتي أمينة أنه دفن لصلبي مقدم الحجاج البصرة بضع وعشرون ومائة).

(١) في صحيحه: ك. الصوم، ب. من زار قوماً فلم يفطر عندهم، ح (١٩٨٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

المفهوم الأول: أن البنت عينُ أبيها، وعونه كذلك على ما يريد معرفته مما يفضي إلى شكر الله تعالى على نعمته.

المفهوم الثاني: إستحباب التحدث بنعم الله تعالى، والإخبار بمعجزات النبي ﷺ؛ لما في إجابة دعوته ﷺ لأنس من الأمر النادر، وهو اجتماع كثرة المال مع كثرة الولد بالقدر الذي أوردنا.

الموقف الخامس: توجيهه لأبنائه في شأن التَّحْدِيثِ بالعلم :-

أورد ابن سعد في الطبقات^(١) عن ثابت البناني أن بني أنس بن مالك قالوا لأبيهم: يا أبانا ألا تحدثنا كما تحدث الغرباء؟ قال: أي بني إنه من يكثر يهجر^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

المفهوم الأول: حرص الأبناء على ميراث علم أبيهم، واغتنام الخير من آثاره، والافتداء به في التعلُّم والتعليم.

المفهوم الثاني: التوجيه إلى عدم كثرة التحديث إلا أن يكون بيان ما يجب بيانه ولا يسمع المحدث كتمانته، ذلك أن كثرة التحديث والإفراط في ذلك قد يورث الهذيان، وقول ما لا ينبغي، وذلك

(١) الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ٢٢/٧، طبع دار صادر - بيروت.

(٢) أي: يخلط في كلامه ويهذي.

أشبهه ما يكون بقاعدة علمية تربوية أرساها أنس للأمة من خلال نُصْحِهِ
لبنيه، كما أنه يدل على حسن تعهد الأبناء بالتربية.

المفهوم الثالث: التَّوَّاصُلُ بالتُّصْحِ بين الآباء والأبناء.

* * *

البراء بن مالك

نبذة عن حياته :

اسمه ونسبه :-

البراء بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن عَنَم بن عدي بن النجار فهو نجاري خزرجي أنصاري من بني النُّجَار من أقرباء النبي ﷺ، وهم بطن من الخزرج إحدى القبيلتين الكبيرتين اللتين يتكون منهما الأنصار، الذين آووا رسول الله ﷺ فأيدوه ونصروه، ولذلك كانت لهم منزلة كبيرة عند رسول الله ﷺ.

هو أخو أنس بن مالك، قال ابن سعد في ترجمة أنس وأمه أم سليم بنت ملحان وهي أم أخيه البراء بن مالك، فهو يرى أنه أخو أنس لأبيه وأمه^(١)، وكذلك قال ابن عبد البر^(٢)، وعز الدين ابن الأثير في أسد الغابة^(٣) قال: وهو أخوه لأبيه وأمه، وكذلك قال الحاكم^(٤).

لكن البخاري في التاريخ الكبير، وابن أبي حاتم في الجرح

(١) الطبقات الكبرى (١٦/٧، ١٧).

(٢) الاستيعاب على هامش الإصابة (٢٨٤/١).

(٣) أسد الغابة (٢٠٦/١).

(٤) المستدرک للحاکم (٢٩١/٣).

والتعديل رجحاً أنه أخوه لأبيه فقط، فقال البخاري: «البراء بن مالك الأنصاري أخو أنس بن مالك من أبيه...»^(١).

وقال ابن أبي حاتم: «البراء بن مالك الأنصاري أخو أنس لأبيه له صحبة، مدني روى عنه أنس بن مالك، قتل قبل عمر... سمعت أبي يقول ذلك»^(٢).

ورجح ابن حجر في الإصابة أنه أخوه لأبيه فقط كما في الإصابة^(٣).

مناقبه

هو من بني النجار أحوال النبي ﷺ، ومن الأنصار أجبّة النبي ﷺ. قال عنه الذهبي في السير: البطل الكرار صاحب رسول الله ﷺ^(٤).

كان بطلاً شجاعاً مهيباً له صولاتٌ وجولاتٌ في حروب الإسلام. قال ابن سعد: «وكان شجاعاً في الحرب»^(٥).

قالوا إنه قتل مائة من الرجال بمفرده غير من شارك في قتلهم مع غيره، قال الذهبي: «وقد اشتهر أن البراء قتل في حروبه مائة نفس من

(١) أسد الغابة (٢٠٦/١).

(٢) التاريخ الكبير (١١٧/٢) ترجمة ١١٨٧.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٢٣٥/١).

(٤) الجرح والتعديل (٣٩٩/٢) ترجمة رقم ١٥٦٧.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (١٦/٧).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٩٥/١).

الشَّجْعَانُ مُبَارَزَةً^(١).

وله في يوم اليمامة في مقاتلة المُرْتَدِّينَ أخبار وأخبار، وقيل إنه شَهِدَ المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بدءاً من أُحُدٍ فما بعدها، ولم يفته إلا بدر، ولعل ذلك؛ لأن رسول الله ﷺ لم يخبرهم أنه خارج لقتال وإنما كان يقصد عير قريش، فحوّل الله تعالى الأمر إلى قتال في بدر، كما بايَعَ تحت الشَّجْرَةَ، وكان البراء بن مالك ؓ حسن الصوت، وكان يَرْجُزُ لرسول الله ﷺ في بعض أسفاره.

وكان ؓ مستجاب الدعاء، فقد أخرج الترمذي رحمه الله بسنده إلى أنس بن مالك ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك»^(٢).

وقد ذكر الحاكم في ذلك قصة فقال: إن البراء لقي زحفاً من المشركين، وقد أوجع المشركون في المسلمين، فقالوا يا براء إن رسول الله ﷺ قال: إنك لو أقسمت على الله لأبرك، فقال:

(١) رواه الترمذي في ك. المناقب باب مناقب البراء بن مالك ؓ وقال هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه. والحاكم في المستدرک كتاب معرفة الصحابة باب ذكر البراء بن مالك ؓ (٢٩٢/٣) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي، والأشعث صاحب هيئة غير منظمة لأنه قد بُدِعَ عهده بالغسل والطيب ونحوهما. والظمر هو الثوب البالي القديم.

أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم.. تكرر ذلك منهم، فقال البراء في المرة الثانية أقسمت عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم، وألحقتني بنبك ﷺ فمنحوا أكتافهم ومات البراء شهيداً»^(١).

وفاته:

استشهد ﷺ يوم فتح تُسْتَر سنة عشرين للهجرة وهذا القول هو أصح الأقوال في وفاته، وذكر الحاكم أنه استشهد سنة ٢١هـ وقيل سنة ١٩هـ أو ٢٣هـ، ذكر ذلك ابن الأثير في أسد الغابة. رضي الله عنه وأرضاه وجزاه عن الإسلام وأهله خيراً.

المواقف الأسرية في حياة البراء بن مالك

الموقف الأول: البراء وقبول نصيحة أخيه أنس بن مالك:

روى الحاكم بسنده إلى أنس بن مالك ﷺ أنه دخل على أخيه البراء وهو مستلقٍ واضعاً إحدى رجله على الأخرى يتغنى، فنهاه، فقال: أترهب أن أموت على فراشي، وقد تفردت بقتل مائة من الكفار سوى من شركني فيه الناس»^(٢).

وفي رواية ابن سعد في الطبقات من حديث أنس: دخلت على

(١) الحاكم في المستدرک في الموطن السابق.

(٢) الحاكم في المستدرک (٣/٢٩١) ك. معرفة الصحابة، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وذكره ابن حجر في الإصابة ونسبه إلى البغوي بإسناد صحيح.

البراء وهو يَتَعَنَّى وَيُرْتَم قوسه: فقلت إلى متى هذا؟ وإسناده صحيح.
وفي رواية يا أخي تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به القرآن^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف :-

المفهوم الأول: حرص الأخ على أخيه، والتواصي فيما بينهما على طاعة الله تعالى ومرضاته: فقد رأى أنس أخاه مستلقياً على ظهره في وضع فيه استرخاء وترَف، يَتَعَنَّى بالشعر فظَنَّ أن ذلك منه نوع من الدَّعة والرُّكون إلى التَّمَتُّع الزائد بمتاع الحياة الدنيا، والانصراف عن القرآن، وعن الجهاد فَنَصَحَهُ في مودَّة ورفقٍ ولينٍ.

وهكذا يجب أن يأخذ كل أخ بناصية أخيه إلى البرِّ والتَّقوى والعمل على ما يرضي الله تعالى.

إن ذلك هو التعبير الحقيقي عن الحبِّ الصادق، والمشاعر المخلِصَة، والقلوب المتَّصِفة المتَّحَابَّة في الله تعالى التي تأمل أن تترافق في الجنة إخواناً على سُرُرٍ متقابلين، لا أن أتركه على خطأ أو مَعْصِيَّة، ثم لا أنصحه فكأنني في هذه الحالة أُسَلِّمُهُ إلى غضب الله تعالى وعقابه، فكيف أزعِمُ أَنِّي أُحِبُّهُ وأنا أتركه يتفلَّت مني إلى ما يغضب الله تعالى، فيتعرض لعقابه عياداً بالله.

المفهوم الثاني: في هذا الأسلوب الحاني الودود المخلص في الدعوة نجد أنه لم يَشْتُمهُ أو يَسُبُّهُ أو يضربه أو يؤنبه بأسلوب جاف

(١) الطبقات الكبرى (١٧/٧) وإسناده صحيح.

غليظ، وإنما رقق قلبه ببناء مخلص يذكره فيه بأخوته له قائلاً له: يا أخي، لبيّن له أنه ينطلق في دعوته من الحب له والحرص عليه لأنه أخوه، فهو أخلص الناس له، وأشدهم حرصاً على مصلحته، ثم بعد ذلك بيّن له محل المؤاخذة، مبيّناً له البديل الطيب الذي يعوضه وجدانياً وعملياً عما يشتغل به، فقال له يا أخي: تتغنى بالشعر وقد أبدلك الله به القرآن.

ويستفاد من ذلك أنّ الرفق واللين هو أسلوب الدعوة، والحرص على الأقربين، واقتراح البديل الصحيح الطيب الحلال، بدل الذي نعترض عليه، فلا يكفي أن تقول هذا خطأ مثلاً أو حرام ثم لا تطرح عليه البديل الذي يُعوّضه عما فيه.

المفهوم الثالث: سعة صدر الأخ لنصيحة أخيه، وبيان وجه الصّواب له فيما يفعل، فلم يغضب البراء من نصيحة أخيه، ولم يقل له - كما يفعل البعض أحياناً: لا شأن لك بي، أو لست أعلم أو أعقل منّي، فأنا أعرف الصّواب من الخطأ - وإنما تقبّل نصيحته، ثم بيّن له أن ما فيه ليس ركوناً إلى نعومة الحياة وترف الكسل والإخلاق إلى الأرض، وبيّن له أنه لن يكون كذلك، وهو من أهل الجهاد والصبر والاحتساب في سبيل الله.

وهكذا يجب علينا تقبّل النصيحة بل وإسداء الشكر عليها خصوصاً حينما تصدر عن إخلاص وودّ وحرص، كما يجب علينا أن نفسر للآخرين المواقف التي يأخذونها علينا حتى تتجلى الحقائق ويزول اللبس، وينقضي ما في نفوسهم من لوم

وعتاب، وكل ذلك يتم في إطار الحب والإخلاص والتآخي في الله تعالى.

المفهوم الرابع: لا بأس أن يتحدث الإنسان ببعض مناقبه ومآثره وأعماله الطيبة التي يقوم بها إذا كان ذلك لمصلحة، كتقديم القدوة للآخرين، أو دفع تهمّة أو نفي ريبة، ما دام ذلك في غير خيلاء أو إعجاب، بل من قبيل التحدّث بنعمة الله، ولم ينكر الله تعالى إيداء الصّدقات إذا كان ذلك لمصلحة مرجوة كما في قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾، لكن الإخفاء أفضل إذا كان في الظهور مفسدة، ولذلك قال الله تعالى تنمة للآية: ﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾^(١).

وقد قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه - على سبيل المثال - عن نفسه «لقد رأيتني وأنا ثلث الإسلام»^(٢) وقال: جمع لي النبي صلى الله عليه وآله أبويه يوم أحد^(٣). يقصد قوله له: «إرم فداك أبي وأمي» في يوم أحد.

وإنما قال سعد ذلك تحدثاً بنعمة الله، تعالى عليه، وكما فعل البراء حين طمأن أخاه بأنه من المجاهدين في سبيل الله وقد قتل

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (٢٧١).

(٢) رواه البخاري في ك. فضائل الصحابة باب مناقب سعد بن أبي وقاص الزهري. وأحمد في فضائل الصحابة (٧٤٨/٢).

(٣) البخاري في الكتاب والباب السابقين، ورواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة باب في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وأحمد في فضائل الصحابة (٧٤٨/٢).

مائة نفس تقريباً في سبيل الله منفرداً سوى ما شارك فيه غيره، فكانه يقول لأخيه كيف تظن بي ذلك وأنا من أهل الجهاد، وسأواصل ذلك حتى أقتل شهيداً في سبيل الله .

المفهوم الخامس: ليس معنى قول أنس لأخيه البراء رضي الله عنه «أتغنى بالشعر أن الشعر مذموم مطلقاً وفي كل الأحوال، بل المذموم منه ما كان فاحشاً أو هجاءً أو يتناول الأعراض والخمر ونحو ذلك، أما إذا كان لغرض صحيح مع أدب في الصياغة فلا مانع» ولذلك بعد أن ذم الله الشعراء في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْفَاؤُونَ﴾ استثنى الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(١).

وقد روى البخاري بسنده إلى أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشعر حكمة»^(٢).

كما روى عدي بن ثابت عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان: «اهجهم أو هاجهم وجبريل معك»^(٣).

(١) سورة الشعراء الآيات: ٢٢٤ وما بعدها، وجزء من الآية (٢٢٧) من نفس السورة الكريمة.

(٢) صحيح البخاري كتاب ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه، والترمذي كتاب الأدب باب إن من الشعر حكمة، وأحمد في المسند (١/٢٦٩) والطيايبي في مسنده، حديث ٥٥٦، ٥٥٧.

(٣) صحيح البخاري ك. الأدب باب هجاء المشركين، ومسلم ك. فضائل الصحابة باب فضائل حسان بن ثابت.

إذا فرسول الله ﷺ قد أجاز الشعر ما دام لا يتعارض مع شرع الله . .

قال ابن حجر رحمه الله: «والذي يتحصل من كلام العلماء في حد الشعر الجائز أنه إذا لم يكثر منه في المسجد، وخلا عن هجو، وعن الإغراق في المدح والكذب المحض، والغزل بمن لا يحل، وقد نقل ابن عبد البر الإجماع على جوازه إذا كان كذلك»^(١).

بل إن الشعر قد يستعمل كسلاح من أسلحة الدعوة إلى الله إذا دافع عن الإسلام أو تكلم عن الجهاد، وقد دعا النبي ﷺ لحسان بن ثابت رضي الله عنه «اللهم أيده بروح القدس»^(٢). لأنه كان يدافع عن رسول الله ﷺ.

الموقف الثاني: جهاده في سبيل الله ودفاعه عن أخيه:

روى الطبراني رحمه الله بإسناده إلى إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة قال: بينما أنس بن مالك وأخوه عند حصن من حصون العدو - يعني بالحريف - فكانوا يُلْقُونَ كلاليب في سلاسل مُحَمَّاة فَتَعَلَّقُوا بِالْإِنْسَانِ فِيرْفَعُونَهُ إِلَيْهِ، ففعلوا ذلك بأنس، فأقبل البراء حتى تراءى في الجدار ثم قبض بيده على السلسلة، فما برح حتى قطع الحبل ثم نظر إلى يده فإذا عظامها تلوح قد ذهب ما عليها من

(١) فتح الباري (١٠/٥٣٩).

(٢) البخاري كتاب الأدب باب هجاء المشركين، ومسلم كتاب فضائل الصحابة باب فضائل

حسان بن ثابت رضي الله عنه.

اللحم، وأنجى الله أنس بن مالك بذلك»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف :-

المفهوم الأول: خروج الأخوة جميعاً للجهاد في سبيل الله، فلا يتخلف أحد منهم تحت دعوى أن أخاه أو بقية إخوته قد خرجوا للجهاد، فإن الجهاد قد يتعين على كل قادر عليه إذا نزل الأعداء بديار الإسلام فلا بد أن يخرج لقتالهم كل القادرين من أهل البلد، اللهم إلا إذا كانت هناك مصلحة شرعية تقتضي تخلف بعض الإخوة، مثل إذا كان لهم أبوان شيخان كبيران لا يستطيعان القيام بأمر أنفسهما فيتخلف بعض الأبناء ليقوم على رعايتهما ويتعهد أمرهم ويقضي شأنهم، ونحو ذلك من الأعدار الشرعية.

وقد جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد فقال له النبي ﷺ: «لك أبوان؟ قال: نعم، قال: ففيهما فجاهد»^(٢) وذلك محمول على أنه لم يكن لهما سواه يقوم على أمرهما ويرعى شؤونهما.

المفهوم الثاني: حرص الأخ على أخيه والعمل على نجاته من أي ضررٍ يتعرّض له، سواء في أمر الدنيا أو الآخرة، ويشتد هذا الحرص

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢٤/٩، ٣٢٥) باب ما جاء في البراء بن مالك، ونسبه إلى الطبراني ولم يحدد في أي معاجمه وقال إسناده حسن، وكذلك نسبه ابن حجر في الإصابة إلى الطبراني. الإصابة (١/٢٣٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب باب لا يجاهد إلا بإذن الأبوين، ومسلم في كتاب البر باب بر الوالدين.

إذا كان هذا الأخ سيقع في برائن الكفار، ويتعرض لأذاهم وربما لفتنتهم؛ لأنهم قد يفتنونه في دينه والعياذ بالله.

وهكذا يكون الأخ في عون أخيه يَفُكُّ كربه، ويقضي حاجته، وينصره ظالماً أو مظلوماً، ونصره ظالماً أن يردّه عن ظلمه حتى لا يتعرض لعقاب الله، والأدلة على ذلك - وغيره - كثيرة لا نطيل بذكرها وليس ذلك للأخ الشقيق فقط بل لكل الأخوة التي تجمع بينهم رابطة الإسلام.

وقد فعل البراء ذلك مع أخيه أنس بن مالك رضي الله عنه.

المفهوم الثالث: أن دفع الأذى عن أخيك قد يعرضك للضرر والأذى، فعليك أن تحتمل ذلك صابراً محتسباً، رجاء ما عند الله، ولا يقعدنك عن نصرته الخوف من تعرضك للأذى في بدنك أو مالك أو عملك أو نحو هذا، فقد احترقت يد البراء رضي الله عنه، وظهر عظم يده لاحتراق لحمه تماماً من تلك الكلاب المحمية التي كانوا يخطفون بها المسلمين، فأبى ألم تعرض له؟! وتحمله راضياً، وقد أنجى الله أخاه من الوقوع في أسر الأعداء بتلك التضحية البالغة الشديدة التي أوقعت به ضرراً شديداً وألماً فظيماً، فجزاه الله تعالى خير الجزاء ورزقنا حسن الاقتداء به وبأمثاله، الذين قدّموا للإسلام النَّفْسَ والنَّفِيسَ. فتقبل الله منهم ذلك وجعله في موازين حسناتهم، و رضي الله عنهم أجمعين.

* * *

البراء بن معرور

نبذة عن حياته:

اسمه ونسبه:

البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سَلَمَةَ الأنصاري السلميّ الخزرجي (١).
كنيته: أبو بشر (٢) وأبو أنس.

نشأته:

نشأ بالمدينة المنورة وتوفّر عنده علم بأمر نبيّ سيبعث من العرب، وسمع عنه من أهل الكتاب المقيمين بالمدينة، ولم يكن يهودياً ولا نصرانياً، بل كان على دين قومه معظماً للكعبة كما كان يُعظّمها سائر المشركين قبل الإسلام.

إسلامه:

أسلم قبل الهجرة وبايع بيعة العقبة الأولى والثانية. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان البراء بن معرور أوّل من ضَرَبَ على يدِ الرّسول صلى الله عليه وآله في البيعة له ليلة العقبة في السبعين من الأنصار. فقام البراء بن معرور فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله

(١) الإصابة ١/١٤٤، سير أعلام النبلاء ١/٢٦٧، الاستيعاب ١/٢٣٧.

(٢) الاستيعاب ١/٢٣٧، الثقات ٣/٢٦ رقم ٩١.

وجاءنا به . وكان أول من أجاب وآخر من دعا، فأجبنا الله عز وجل وسمعنا وأطعنا، يا معشر الأوس والخزرج قد أكرمكم الله بدينه فإن أخذتم السمع والطاعة والمؤازرة بالشكر فأطيعوا الله ورسوله . ثم جلس^(١) .

منزله وأبرز مواقفه :

يذكر المؤرخون وكتاب السير مواقف مشهودة له منها :

- ١ - أنه أول من بايع الرسول ﷺ من الأوس والخزرج في بيعة العقبة الأولى^(٢) .
- ٢ - تم اختياره نقيباً على قبيلته بني سلمة^(٣) .
- ٣ - أول من توجه إلى الكعبة في صلاته بعد العودة إلى المدينة المنورة وقبل هجرة الرسول ﷺ^(٤) .
- ٤ - أول من قسم ماله في وصيته ثلاثة أقسام، وصى بقسم لله، وقسم ثان لرسول الله ﷺ يخصه حيث يشاء، وقسم ثالث لأولاده^(٥) .
- ٥ - أول من أمر أهله أن يوجهوه إلى القبلة عند احتضاره^(٦) .

(١) المستدرك ١٩٩/٣ وقال هذا صحيح الإسناد والطبقات الكبرى ٢٢٢/١ .

(٢) المستدرك ١٩٩/٣ وقال: حديث صحيح الإسناد .

(٣) الاستيعاب ٢٣٦/١ .

(٤) الثقات ١٠٧/١ وابن خزيمة ٢٢٣/١ .

(٥) المعجم الكبير ٣/٢٤١ رقم ٣٢٧٩، سير أعلام النبلاء ١/٢٦٨، وصحح إسناده الشيخ شعيب الأرنؤوط .

(٦) تلخيص الحبير ١٠٢/٢ رقم ٧٣٠، الإصابة ١/٢٥٢، نصب الراية ٢/٢٥١ .

٦ - أول من صلى عليه الرسول ﷺ صلاة الغائب بعد الهجرة حين سأل عنه فقالوا تُوفِّي، فقال عليه السلام دلوني على قبره فأتى قبره فصلى عليه وكبر أربعاً^(١).

وفاته:

قال ابن إسحاق: ومات قبل قدوم رسول الله ﷺ المدينة، وقال غيره مات في صَفَرٍ قبل قدوم النبي ﷺ بشهر فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أتى قبره في أصحابه فصلى عليه وكبر^(٢).

المواقف الأسرية في حياة البراء بن معرور رضي الله عنه:

مع قِصْرِ المُدَّة التي قضاها بين إسلامه وملاقاته لربه والتي لم تتجاوز ثلاث سنوات. إلا أنه يمكن إدراك بعض المواقف له والتي منها:-

الموقف الأول: دعوته أهله إلى مشاركته في الخير، وخير الخير هو: الإسلام.

ذكر الحاكم في المستدرک قصة إسلام البراء بن معرور، ولم يكتف بإعلان إسلامه بل ألقى خُطبةً بين يدي الرسول ﷺ حثَّ فيها الأوس والخزرج على الإسلام، ومما قاله «الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد ﷺ وجاءنا به، وكان أول من أجاب وآخر من دعا،

(١) زوائد الهيثمي ٣٧٢/١، ومصنف أبي شيبة ٤١/٣، المعجم الكبير ٢٨/٢.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢٣٧/١، سير أعلام النبلاء ١/٢٦٨.

فأجبتنا الله عز وجل وسمعنا وأطعنا، يا معشر الأوس والخزرج قد أكرمكم الله بدينه فإن أخذتم السمع والطاعة والمؤازرة بالشكر فأطيعوا الله ورسوله، ثم جلس»^(١).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :-

يدلّ هذا الأمر على مدى حرص الإنسان على أهله وعشيرته وحبّ الخير لهم كما يحبّ لنفسه، وإيضاح الآثار المترتبة على اتّباع النّصيحة، وبيان كون طاعة الله من أسْمَى الأعمال، وبدئه بنفسه فيما يدعوهم إليه، حتى لا يظنّ ظان أنّه يغرر بهم.

الموقف الثاني: دعوة عشيرته إلى الاحتكام للرسول ﷺ عند الخلاف

عن كعب بن مالك أن البراء بن معرور قال للنبي ﷺ إني خرجت من سفري هذا وقد هداني الله للإسلام - فرأيت أن لا أجعل هذه البنية متي بظهر^(٢) فصليت إليها، وقد خالفني أصحابي في ذلك حتى وقع في نفسي من ذلك شيء، فماذا ترى؟

قال: كنت على القبلة لو صبرت عليها، قال فرجع البراء إلى قبلة رسول الله ﷺ وصلى معنا إلى الشام^(٣).

وعند الحاكم في المستدرک: عن كعب بن مالك قال: خرجنا في

(١) المستدرک ١٩٩/٣ وقال صحيح الإسناد.

(٢) البنية: أي الكعبة، يقصد أنه لو صلى إلى بيت المقدس كانت الكعبة خلفه.

(٣) صحيح ابن خزيمة ١/٢٢٣، الثقات ١/١٠٧.

حُجَّاج من المدينة فقال لنا البراء بن معرور: يا هؤلاء إني قد رأيت رؤيا واللَّه ما أدري أتوافقوني عليها أم لا؟ قال: قلنا وما ذاك: قال قد رأيت أن لا أدع هذه البنية مني بظهر^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:-

نحن في حياتنا نجتهد ونختلف في ناتج الاجتهاد إذ لم يكن نصُّ يحسم الخلاف بيننا، وقد رأى البراء بن معرور أن يصلي مستقبل القبلة - الكعبة - ورأى أهله وعشيرته - من أسلم منهم - أن يصلوا مستقبلين بيت المقدس؛ لأنَّ الرسول ﷺ كان يُصلي تجاهه، وحين وصلوا إلى الرسول ﷺ وعرضوا عليه الأمر، أخبر الرسول ﷺ البراء بن معرور بأن صلاته تجاه بيت المقدس هي صلاة تجاه القبلة، فاستقبلها البراء بعد ذلك. ونستفيد من ذلك:

المفهوم الأول: جواز صحبة المسلمين وغير المسلمين في السفر؛ لأن بعض الروايات نصّت على أن الحجاج كانوا فريقين:-

الفريق الأول: مسلمون. ومنهم البراء ومن معه في الدين.

الفريق الثاني: مُشركون. وهم الذين كانوا يُعظِّمون الكعبة في الجاهلية.

المفهوم الثاني: عرض الإنسان ما يراه من أمرٍ لا نصَّ فيه على إخوانه لعلمهم يرشدونه إلى الصَّواب، وقد عرض البراء وجهة نظره في ترك بيت المقدس واستقبال الكعبة.

(١) المستدرك ٤٩٩/٣ رقم ٥٨٦٣.

المفهوم الثالث: ينبغي عند الخلاف في الرأي أن لا نتقاتل ولا يسب أحدنا الآخر بل يبدي كل واحد رأيه مع ذكر السبب الذي دفعه إليه .

المفهوم الرابع: إذا تعذّر رجحان أحد الرأيين وجب الذهاب إلى أهل الاختصاص واستطلاع رأيهم في محل الخلاف، وبخاصة في الأحكام الشرعية .

المفهوم الخامس: علينا إذا أخبرنا عالم بحكم شرعي أن نأخذ بخبره، ولا نحاج ولا نجادل، لأن البراء سمع الحكم واستجاب له مباشرة .

المفهوم السادس: إذا كانت الكعبة بهذه المنزلة قبل أن تكون القبلة الوحيدة للمسلمين، فماذا علينا نحوها الآن، بعد أن صارت قبلتنا ومهوى قلوبنا .

المفهوم السابع: الخلاف لا يُفسدُ لُؤدَّ قضية، فمع أن الخلاف في أمر تعبدي إلا أن هؤلاء لم يتقاتلوا، وإنما صبروا حتى احتكموا، والآن نحن نختلف على الهيئات ونتقاتل على الفروع، ونتخاصم على السنن، وذلك لعدم فقهننا لأدب الخلاف في الإسلام .

الموقف الثالث: تربيته لابنه على اتباع الحق :

أتاح البراء بن معرور لابنه بشر بن البراء أن يشهد بيعة العقبة .

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

المفهوم الأول: ضرورة أن يُتيح الآباء الفرصة للأبناء للمشاركة في معرفة الحقّ والوقوف عليه.

المفهوم الثاني: ضرورة احترام الأبناء للآباء، فلم يتقدم بشر على أبيه من أجل النقابة في البيعة.

المفهوم الثالث: التزام الآباء مدعاة لالتزام الأبناء، وهو أغلب ما يكون في حياتنا الدينية بخاصة.

الموقف الرابع: مع ابن أخته:

في صحيح البخاري بسنده قال: كان عمرو يقول: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: شهد بي خالاي العقبة، قال ابن عيينة: أحدهما: البراء بن معرور^(١).

وفي فتح الباري شرح صحيح البخاري قال:

إن خثولة البراء بن معرور لجابر بن عبد الله إما أن تكون حقيقة على ما قاله الدمياطي، وقد ردّ ذلك ابن عيينة، يقول ابن حجر: وأما البراء بن معرور فليس من أخوال جابر، قلت لكن من أقارب أمه وأقارب الأم يسمون أخوالاً مجازاً^(٢).

(١) البخاري حديث رقم ٣٦٧٧.

(٢) فتح الباري ٧/٢٢٢، الطبراني في الأوسط ١/٢٠ رقم ٥٧.

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

ينبغي أن لا يقتصر اهتمامنا على أولادنا في الحياة العادية؛ بل لابد من رعاية ذي القرابة القريبة منّا، سواء كانت القرابة من درجة أولى أم من درجة رابعة.

إن العرب كانوا يرون القرابة من جهة الخئولة من المنزلة بمكان وقد اشتهر على ألسنتهم «ولد لخاله» وهو ما يتطلب تحمل الأخوال مسؤوليتهم تجاه أبناء أخواتهم، وبخاصة إذا مات العائل.

الموقف الخامس: مع زوجه بعد وفاته:-

بين الزوجين من الأسرار الشيء الكثير، وصدق الله القائل:

﴿هُنَّ لِيَأْسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِيَأْسُ لِهِنَّ﴾^(١).

كم يتناجى الزوجان بما لم يذرك الآخرون، وكم يتفقان على أمور لا يكشف عنها إلا بعد فراق أحد الزوجين للحياة، والقصة التي معنا تكشف النقاب عن أمر قديم جديد، وهو تعاهد واتفاق وقَسَمُ الزوجين على أن لا يتزوج أحدهما إذا مات الثاني قبله، وهذه هي القصة.

«عن أم مبشر الأنصارية عن النبي ﷺ قال لها: وهي في بعض حالاتها، وكانت امرأة البراء بن معرور فتوفى عنها فقال: «إن

(١) سورة البقرة: جزء من الآية (١٨٧).

زيد بن حارثة قد مات أهله ولن ألو^(١) أن أختار له امرأة فقد اخترتك له، فقالت يا رسول الله: إني حلفت للبراء أن لا أتزوج بعده رجلاً، فقال رسول الله ﷺ أترغبين عنه؟ قالت: أفأرغب عنه وقد أنزله الله بالمنزلة منك^(٢). إنما هي غيرة. قالت فالأمر إليك، قال: فزوجها من زيد بن حارثة ونقلها إلى نسائه^(٣).

وعن جابر عن أم بشر أن النبي ﷺ خَطَبَ امرأة البراء بن معرور فقالت إني شرطت لزوجي أن لا أتزوج بعده فقال النبي ﷺ: «إن هذا لا يصلح»^(٤).

المفاهيم التربوية المستفادة من القصة السابقة: -

المفهوم الأول: عرضُ الزَّواجِ على الثيبِ دون واسطة أو ولي أمر؛ لأن حالها يأذن بسماع العرض ويمكنها من الردِّ في غير خَجَلٍ ولا وَجَلٍ.

المفهوم الثاني: إخبار الزوجة بما لا يكشف ستر زوجها؛ لأن الحلف على عدم الزواج بعده لا يعد كشفاً لستره.

المفهوم الثالث: كلُّ حلف على شيء يخالف شريعة الإسلام يجب الإغراضُ عنه والعدولُ إلى ما يتفق ومبادئ الإسلام، وفي

(١) ألو: أي أقصر أو أتردد.

(٢) أي مكان منك بمنزلة الود من والده.

(٣) التاريخ الكبير ٢٨٥/٨ رقم ٣٠٢٠.

(٤) المعجم الكبير ٢٩/٢ رقم ١١٨د، المعجم الصغير ٢٧٤/٢ رقم ١١٥٧.

الحديث «من حلف على يمين ورأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر»^(١).

المفهوم الرابع: يجوز للخاطب أن يسأل المرغوب في خطبتها عن سبب الرّفص، وعلى المسؤول أن يظهر العلة إذا توفرت.

المفهوم الخامس: جواز إنابة الغير في عقد القران، ويجوز أن يقوم شخص واحد بالوكالة عن الزوج والزوجة، وبخاصة إذا كان ولي أمر المسلمين.

المفهوم السادس: وجوب ترك هوى النفس والتخلى عن العاطفة إذا كانا مخالفين لشيء من الشرع، وقد تركت أم مبشر الحلف ونزلت على الشرع، وتزوجت من زيد بن حارثة.

المفهوم السابع: مدى مسارعة أصحاب الرسول ﷺ في النزول على حكمه والرضى به، حتى يتحقق لهم كمال الإيمان، عملاً بقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٢).

(١) مسلم ١٢٧١/٣ رقم ١٦٥٠.

(٢) سورة النساء: الآية (٦٥).

الموقف السادس: من وصاياهم لأهله:-

الوصية الأولى: توجيهه إلى الكعبة عند الاحتضار:-

عن الزهري قال: البراء بن معرور أول من استقبل الكعبة حياً وميتاً، وكان يُصَلِّي إلى الكعبة والنبي ﷺ يصلي إلى بيت المقدس، فأخبر به النبي ﷺ فأرسل إليه أن يصلي نحو بيت المقدس، فأطاع النبي ﷺ. فلما حضرته الوفاة قال لأهله استقبلوا بي نحو الكعبة^(١).

وقال غير الزهري: إنَّه كان وعد رسول الله ﷺ أن يأتيه الموسم بمكة العام المقبل، فلم يبلغ العام حتى توفي، فلما حضرته الوفاة قال لأهله: استقبلوا بي الكعبة لموعدي محمداً، فإنِّي وعدته أن آتي إليه، فهو أول من استقبل الكعبة حياً وميتاً^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:-

يستفاد من هذا الموقف ما يلي:-

المفهوم الأول: وجوب أن تكون الوصية بخير عند الوفاة، إن بعض الناس يوصون أولادهم أن لا يسمِّحوا لهذا أو ذاك بحضور الجنازة أو تقديم العزاء، ويوصونهم بترك كلام هؤلاء وأولئك لقد رأينا أن الوصية تتعلق بفعل خير لا أكثر.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١/٢٣٧.

(٢) الاستيعاب ١/٢٣٧، الإصابة ت ٦٢٠، وأسد الغابة ت ١٩١، تلخيص الحبير

١٠٢/٢، نصب الرأية ٢/٢٥١، صحيح ابن حبان ١٥/٤٧١.

المفهوم الثاني: يعد البراء بن معرور أول من سَنَّ التوجُّه إلى القبلة عند الاحتضار وعندما علم الرسول بذلك لم ينكر عليه فعله .

المفهوم الثالث: إذا تعذَّر الوفاء بالوعد حقيقة جاز الوفاء به حُكْمًا، فلقد أيقن البراء أمر الموت، فطلب أن يوجهوه إلى مكة .

المفهوم الرابع: على الأهل تنفيذ كل وصية لا تخالف الشريعة الإسلامية وإن لم يتوفر لهم الدليل على حلِّها .

المفهوم الخامس: الحرص على السَّبْق في الطاعة وبذل كل جديد ممكن؛ ليكون الإنسان مضرب المثل في الالتزام الديني .

الوصية الثانية: تقسيم ماله إلى ثلاثة أقسام: -

عن أبي قتادة عن أمّه عن أبيه أن البراء بن معرور أوصى بثلثه للنبي ﷺ وكان أوصى بثلث في سبيل الله، وأوصى بثلث لولده فقيل للنبي ﷺ فردّه على الورثة، فقدم النبي ﷺ وقد مات، فسأل عن قبره فأتاه فَصَفَّ عليه وَكَبَّرَ وقال: «اللهم اغفر له وارحمه وأدخله الجنة، وقد فعلت»^(١) .

وعن أبي قتادة أن البراء بن معرور أوصى للنبي ﷺ بثلث ماله يضعه حيث شاء فردّه النبي ﷺ على ولده^(٢) .

(١) ابن سعد ٣/١٤٧، سير أعلام النبلاء ١/٢٦٨، تلخيص الحبير ٣/٩٠ رقم ١٣٦١ .

(٢) المعجم الكبير ٣/٢٤١ رقم ٣٢٧٩ .

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

يُسَنُّ لكل مسلم أن يتصدق ببعض ما يملك، بشرط أن لا يَضُرَّ بالورثة، وقد رأينا البراء بن معرور يقسم ماله ثلاثة أثلاث :-

- ثلث في سبيل الله.

- ثلث لرسول الله يتصرف فيه كما يرى.

- ثلث لأولاده من بعده.

وندرِك من هذا ما يلي :-

المفهوم الأول: الوقف أو الوصية أو التبرُّع بشيء من المال من الأمور المُسْتَحَبَّة في الإسلام؛ لأنها تحلّ مشكلة الفقر في المجتمع الإسلامي.

المفهوم الثاني: على الأبناء أن يكونوا بَرَّةً بأبائهم وذلكم بإنفاذ عهدهم، وإكرام صديقهم، وصلة رحمهم، إن أبناء البراء لم ينكروا الوصية ولم يجحدوها بل أخبروا بها الرسول ﷺ وهو الذي قضى فيها على ضوء الشَّرْع الحنيف.

* * *

بشير بن سعد رضي الله عنه

نبذة عن حياته :

اسمه ونسبه :

هو بشير بن سعد بن ثعلبة، بن خلاس، بن زيد، بن مالك، بن ثعلبة، بن كعب، بن الخزرج، بن الحارث، بن الخزرج، يكنى أبا النعمان بن بشير، وله من الولد أيضاً أبيّة وأمهما عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة، ولبشير عقب.

إسلامه وجهاده :-

يقال: إن بشيراً أوّل من أسلم من الأنصار^(١)، وشهد العقبة الثانية وبدراً وأحداً والمشاهد بعدها، ويقال: إنه أول من بايع أبا بكر الصديق رضي الله عنه يوم السقيفة من الأنصار.

وكان جريئاً في الحقّ، فقد روى محمد بن النعمان بن بشير أنّ أباه أخبره أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال يوماً في مجلس وحوله المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو ترخصت في بعض الأمر ما كنتم فاعلين؟ فسكتوا فعاد مرتين أو ثلاثاً، فقال بشير بن سعد: لو فعلت قومناك تقويم القدح، قال عمر: إذا أنتم^(٢).

(١) البداية والنهاية ٦٤/٥.

(٢) التاريخ الكبير ٩٨/٢.

وكان بشير يكتب بالعربية في الجاهلية، وكانت الكتابة في العرب قليلة.

أرسله رسول الله ﷺ في بعض السرايا، واستعمله على المدينة في عمرة القضاء.

وفاته:

ذكر ابن إسحاق والواقدي أن بشير بن سعد قُتل يوم عين التمر مع خالد بن الوليد منصرفه من الإمامة سنة ١٢هـ، لكن الخبر الذي رواه البخاري في تاريخه يدل على أنه بقي إلى خلافة عمر بن الخطاب (١).

المواقف الأسرية في حياة بشير بن سعد

مواقف أسرية نذكر منها ما يلي:

الموقف الأول: بشير يتيم^(٢) لابنه النعمان بدعوة من النبي ﷺ: -

عن عبد الملك بن عمير أن بشير بن سعد جاء بالنعمان بن بشير إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: أدع لابني هذا؟ فقال ﷺ: «أما ترضى أن يبلغ ما بلغت ثم يأتي الشام فيقتله منافق من أهل الشام»^(٣).

(١) تهذيب التهذيب ٤٠٨/١، الطبقات الكبرى ٤١٩/٢.

(٢) التيمن بالشيء: التبرك به، القاموس الفقهي ٣٤٩.

(٣) كنز العمال رقم ٣٣٦ (٧٥٠/١١٧)، تهذيب الكمال (٤١١/٢٩)، تهذيب التهذيب

(٣٩٩/١٠)، سبل الهدى والرشاد (١٠٩/١٠).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

يستفاد من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية :-

المفهوم الأول: ربط الولد بالدعوة والداعية :-

يصطحب بشير بن سعد رضي الله عنه ولده النعمان إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم يلتبس له دعوة من النبي صلى الله عليه وسلم يتبرك بها، ولقد كان بشير دائم الاصطحاب لولده إلى مجلس النبي صلى الله عليه وسلم، ومما يدل على هذا حديث النحل حين ذهب بشير ليشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عطيته للنعمان، فكان مما قاله له: «إني نحت ابني هذا غلاماً» وكان لهذا الاصطحاب أثره في نفس النعمان، إذ ارتبط بالرسول صلى الله عليه وسلم كقائد ومرتب وموجه، فكان لبنة صالحة في الكيان الإسلامي الذي شيده النبي صلى الله عليه وسلم من مجموع صحابته الكرام رضوان الله عليهم، ومجتمع المسلمين الآن بحاجة لأن ترتبط فيه الناشئة بالعلماء الربانيين يخالطونهم ويأخذون عنهم ما يصلحهم في دينهم ودنياهم.

المفهوم الثاني: الشهادة في سبيل الله طريق إلى الرضا :-

حين طلب بشير بن سعد من النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو لولده النعمان قال صلى الله عليه وسلم: «أما ترضى أن يبلغ ما بلغت ثم يأتي الشام فيقتله منافق من أهل الشام».

يتلقى بشير بن سعد هذه الكلمات بقبول حسن، فلم يجزع على مستقبل ولده؛ لأن الشهادة في سبيل الله كانت أسمى أمانهم.

المفهوم الثالث: الرسول ﷺ يشهد لبشير بالخير:-

في قول النبي ﷺ لبشير «أما ترضى أن يبلغ ما بلغت» إشارة من طرف خفي لرضا النبي ﷺ عن بشير والشهادة له بالخير، وفيه لفتة أخرى وهي طمأنة قلب بشير على ولده النعمان بأنه سيُشَبُّ في مدارج الصَّلاح والتقوى، وليس هذا فحسب؛ ولكن يختم له بالشهادة في سبيل الله.

الموقف الثاني: بشير بن سعد يَهَبُ لولده النعمان:-

عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال: «إن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلته ابني هذا غلاماً كان لي، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ وَلَدَكَ نحلته مثل هذا؟» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «فارجعه».

وفي رواية قال: «تَصَدَّقْ عَلَيَّ أَبِي ببعض ماله، فقالت أُمِّي عَمْرَةَ بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشْهَدَ رسول الله ﷺ، فانطلق أبي إلى النبي ﷺ لِيُشْهَدَهُ على صَدَقَتِي، فقال له رسول الله ﷺ: «أفعلت هذا بولدك كلهم؟ قال: لا، قال: اتقوا الله، واعدلوا في أولادكم، فرجع أبي فرد تلك الصدقة».

وفي أخرى: فقال رسول الله ﷺ «يا بشيرُ، ألك وَلَدٌ سِوَى هذا؟» قال: نعم، قال: «أَكُلْهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هَذَا؟» قال: لا، قال: «تُشْهَدُنِي إِذْنُ، فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَى جُورٍ».

وفي أخرى: «أشْهَدُ عَلَى هَذَا غَيْرِي»، ثم قال: «أَيَسْرُكَ أَنْ يَكُونُوا

إليك في البرِّ سواء؟» قال: بلى، قال: «فلا إذن» أخرجه البخاري
ومسلم^(١).

ولمسلم «أن أباه أعطاه غلاماً، فقال له النبي ﷺ: ما هذا؟ قال:
أعطانيه أبي، قال: فكل إخوتك أعطاه كما أعطاك؟ قال: لا، فقال:
فاردُّه»^(٢).

وللنسائي رواية فيها: «أن أمّه ابنة رواحة سألت أباه بعض الموهبة
من ماله لابنه، فالتوى بها، فَمَنَعَهَا سَنَةً، ثم بدا له فَوَهَبَهَا له، فقالت:
لا أرضى حتى تُشْهَدَ رسولَ الله ﷺ، فقال يا رسول الله، إنَّ أمَّ هذا
قَابَلْتَنِي على الذي وَهَبْتُ له، فقال رسول الله ﷺ: أَفَكُلَّهُمْ وَهَبْتُ لَهُمْ
مثل الذي وَهَبْتُ لابنك هذا؟ قال: لا، قال رسول الله ﷺ: فلا
تشهدني إذن، فإني لا أشهد على جور»^(٣).

المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الحديث: -

يستفاد من الموقف السابق المفاهيم التربوية التالية:

المفهوم الأول: ينبغي التسوية بين الأولاد في الهبة: -

من العدل أن يسوي الأب بين أبنائه ويعدل بينهم حتى في الأمور

(١) رواه البخاري (١٥٥/٥)، (١٥٦) في الهبة، باب الهبة للولد إذا أعطى بعض ولده شيئاً
لم يجز حتى يعدل بينهم.

(٢) رواه مسلم رقم (١٦٢٣) في الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة.

(٣) رواه النسائي (٢٥٨/٦، ٢٦١) في النحل في فاتحته، جامع الأصول (٦١٧/١١) وما
بعدها.

السيطة كالنظرة والقبلة والكلمة الطيبة، والتسوية تقتضي أن يعطي كل واحد منهم مثل الآخر، ولا يُفْضَل أحدهما على الآخر، ويُسَوَّى بين الذكر والأنثى فإن فَضَّل واحداً على الآخر فمكروه وليس بحرام، والدليل على ذلك قول النبي ﷺ فأشهد على ذلك غيري، ولو كان حراماً أو باطلاً لما قال هذا الكلام.

المفهوم الثاني: على الآباء أن يُعينوا أبناءهم على برّهم: -

إن عدم العدل بين الأبناء يُوغِرُ صدورهم على آبائهم وعلى بعضهم البعض، ولذا نصح رسول الله ﷺ بشير بن سعد بعدم تفضيل أحد من أبنائه على إخوته في العطية قائلاً له: «أليس يَسْرُكُ أن يكونوا لك في البر واللفظ سواء؟ قال: نعم، قال: فأشهد على هذا غيري»^(١) وفي رواية قال له: «إنَّ لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم، كما أن لك عليهم من الحق أن يَبْرُوكَ»^(٢) وفي رواية ثالثة قال له: «أليس تريد منهم البر مثل ما تريد من ذا، قال بلى، قال فإني لا أشهد»^(٣).

(١) رواه أبو داود (٣٥٤٢، ٣٥٤٣، ٣٥٤٤، ٣٥٤٥)، في البيوع، باب في الرجل يفضل بعض ولده في النحل، جامع الأصول (٦١٩/١١).

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي رقم (١٦٢٣) باب كراهة تفضيل بعض الأولاد في الهبة (٦٥/١١).

(٣) رواه البخاري (١٦٠/٥) في الهبة، باب لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، ومسلم رقم (١٦٢٢) في الهبات باب تحريم الرجوع في الصدقة والهبة بعد القبض إلا ما وهبه لولده وإن سفل.. جامع الأصول (٦١٥/١١).

المفهوم الثالث: استحباب رد الهدية إن لم يعدل بين الجميع :-

الهبة لبعض الأولاد دون بعض صحيحة، ولكن لها آثارها السيئة على نفوس الذين لم ينالوا مثل إخوانهم؛ ولذا استحَب العلماء أن يسترد الآباء هداياهم وهباتهم إذا لم يعدلوا بين الجميع، والنبى ﷺ قال لبشير: «أكلٌ ولدك نحلته مثل هذا» فقال: لا، فقال رسول الله ﷺ: «فارجعه».

المفهوم الرابع: جواز رجوع الوالد في هبته للولد :-

الرجوع في الهبة من الأمور التي حذّر منها الإسلام ونفّر من فعلها، فعن ابن عباس ؓ أن رسول الله ﷺ قال: «ليس لنا مثلُ السَّوءِ، الذي يعود في هبته، كالكلب يرجع في قيئه» وفي أخرى: «كالكلب يقيء، ثم يعود فيه فيأكله»^(١).

ولكن الإسلام إستثنى من هذا الحكم هبة الرجل لولده فيجوز له الرجوع فيها، فعن عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر ؓ أن النبي ﷺ قال: «لا يحلُّ لرجل أن يُعطيَ عطيةً، أو يهبَ هبةً، ثم يرجعَ فيها، إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثلُ الذي يرجع في عطيته أو هبته، كالكلب يأكل، فإذا شبع قاء، ثم عاد في قيئه»^(٢).

(١) رواه أبو داود في الرجوع في الهبة، جامع الأصول (١١/٦١٦).

(٢) سيرة ابن هشام (٣/٧٠٣)، البداية والنهاية (٤/١١٣)، دلائل النبوة لإسماعيل الأصبهاني (٢٠٩، عيون الأثر (٢/٣٦).

الموقف الثالث: ابنة بشير في خدمة أبيها: -

روى محمد بن إسحاق أن ابنة لبشير بن سعد أخت النعمان ابن بشير قالت: -

دعنتي أمي عمرة بنت رواحة فأعطتني حفنة من تمر، ثم قالت اذهبي إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما، قالت فأخذتها فانطلقت بها فمررت برسول الله ﷺ وأنا أتمس أبي وخالي. فقال لي: تعالي أي بنية، ما هذا معك؟ قلت: يا رسول الله هذا تمر بعثت به أمي إلى أبي بشير بن سعد وخالي عبد الله بن رواحة يتغديان به، قال هاتيه، قالت: فصبته في كفي رسول الله ﷺ فما ملأتهما، ثم أمر بثوب فبسط له ثم دحا بالتمر عليه، فتبدد فوق الثوب، ثم قال لإنسان عنده، اصرخ في أهل الخندق: أن هلم إلى الغداء. فاجتمع أهل الخندق عليه، فجعلوا يأكلون منه، وجعل يزيد، حتى صدر أهل الخندق عنه، وإنه ليسقط من أطراف الثوب.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق: -

يستفاد من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية: -

المفهوم الأول: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم: -

كانت ابنة بشير بن سعد تفهم هذه الآية جيداً فلما طلب منها النبي ﷺ غداء أبيها وخالها لم تفكر ولو للحظة أن ترفض، ولم تراجعها

عليه الصلاة والسلام في الأمر، وإنما صبته في يده ﷺ مُقَدِّمَةً مراد رسول الله ﷺ على مراد نفسها، وهو أنها خرجت بالتمر؛ لأبيها وخالها، وهي تفهم كذلك قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾^(١).

المفهوم الثاني: فضل التربية على الإسلام:-

ما كانت ابنة بشير بن سعد لتتهدي لهذا السلوك الرائع (طاعتها السريعة لرسول الله ﷺ) لولا أنها تلقت تلك التعاليم في بيت أبيها فإنما هي غرسٌ من غرسهم. رضي الله عن بشير بن سعد والصحابة أجمعين.

* * *

(١) سورة الأحزاب: جزء من الآية (٦).

أم المؤمنين «جُوَيْرِيَّة بنت الحارث» ﷺ

نبذة عن حياتها:

اسمها ونسبها: -

هي جُوَيْرِيَّة بنت الحارث بن أبي ضرار بن حبيب بن خَزِيمَةَ وهو المصطلق بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو الخزاعية المصطلقية.

زواج الرسول ﷺ بها وفضلها على قومها: -

لما غزا النبي ﷺ بني المصطلق غزوة المريسيع في سنة خمسٍ أو ست وسباهم وقعت جُوَيْرِيَّة - وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلق - في سهم ثابت بن قيس^(١). فكاتبته على نفسها ثم طلبت من الرسول ﷺ أن يؤدِّي عنها كتابتها فوافقها على ذلك على أن تكون زَوْجَةً له فقالت نعم.

فقد روى ابن إسحاق بسنده عن عائشة ؓ أنها قالت: لما قَسَم رسول الله ﷺ سبايا بني المصطلق وقعت جُوَيْرِيَّة في السهم لثابت ابن قيس بن شماس، أو لابن عمِّ له، فكاتبته على نفسها، وكانت امرأة حلوة مليحة لا يراها أحدٌ إلا أخذت بنفسه، فأنت رسول الله ﷺ تستعينه في كتابتها قالت عائشة ؓ: فوالله ما هي إلا أن رأيتها

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ص (١٦٥٩، ١٦٦٠)، والاستيعاب (٣٣٢٩)، وأسد الغابة (٦٨٢٩)، وتهذيب التهذيب (٤٠٧/١٢).

فكرهتها، وقلت: يرى منها ما قد رأيت، فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت: يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه، وقد أصابني من البلايا ما لم يخف عليك، وقد كاتبْتُ على نفسي فَأَعْنِي على كتابتي، فقال: «أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك، وأتزوجك» فقالت نعم. ففعل ذلك، فبلغ الناس أنه قد تزوجها، فقالوا أصهار رسول الله ﷺ، فأرسلوا ما كان في أيديهم من بني المصطلق، فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بني المصطلق، فما أعلم امرأة أعظم بركةً منها على قومها^(١).

وفاتها:

قيل: ماتت ﷺ سنة خمسين من الهجرة، وقيل: بقيت إلى ربيع الأول سنة ست وخمسين. قاله الواقدي، قال: وصلى عليها مروان. وقيل: عاشت خمساً وستين سنة^(٢).

المواقف التربوية في حياة السيِّدة أم المؤمنين

«جُوَيْرِيَّة بنت الحارث» ﷺ

ذكرت كُتُبُ السُّنة مواقف عِدَّةَ للسيدة جُوَيْرِيَّة ﷺ يمكن من خلالها استنباط بعض المفاهيم التربوية، ونُحاول هنا ذكر تلك المواقف، ثم نبين المفاهيم التربوية المستفادة منها.

(١) انظر المراجع السابقة.

(٢) المراجع السابقة.

الموقف الأول: تحريمها رضوان الله عليها الحلال في طعام زوجها وشرابه :-

ورد في الأحاديث الصحيحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل على السيدة جويرة رضي الله عنها فسألها «هل من طعام؟» فقالت: لا والله يا رسول الله، ما عندنا طعام إلا عظم من شاة أعطيته مولاتي^(١) من الصدقة. فقال: «قريبه فقد بلغت محلها»^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

المفهوم الأول : فهذا الموقف الذي ذكرناه آنفاً يدلُّ بما لا يدعُ مجالاً للشكِّ كيف كانت السيدة جويرة رضي الله عنها حريصة على طيب المطعم والمشرب لها ولزوجها، ويتجلَّى هذا المفهوم حين سألتها زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طعامٍ كي يأكله، فقالت له لا والله، رغم أنه كان عندها طعام لكنَّه في الأصل كان صدقةً لمولاتها، قد أهدته لجويرة رضي الله عنها، فظنت السيدة جويرة أنه لا يجوز لها ولا لرسول الله صلى الله عليه وسلم تناول شيء منه، لتيقننا من أن الصدقة لا تحل لآل بيت

(١) المولى اسم يقع على جماعة كثيرة منها العبد، فمعنى مولاتي أي: أمتي. النهاية في غريب الحديث ص (٩٧٩).

(٢) رواه مسلم في الزكاة رقم (١٠٧٣) واللفظ له، والحاكم (٢٩/٤ - ٦٧٨٥)، وابن حبان (٥١٨/١١، ٨١٩)، (٥١١٧، ٥١١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٦٤)، (١٦٧ - ١٦٩).

النبي ﷺ. ولكنه عليه الصلاة والسلام يُوضِّح لها أن هذا الطعام قد خرج من دائرة الصدقة إلى دائرة الهدية حينما قامت الجارية بإهدائه إليها، ولا حرج على النبي ﷺ وآل بيته الأطهار في قبول الهدية والأكل منها، ولهذا قال لها: «قربيه فقد بلغت محلها»، ومن هنا ترجم البخاري - رحمه الله - لهذا الحديث الشريف بقوله باب إباحة الهدية للنبي ﷺ.

ألا ما أخوج الكثير من الأزواج والزَّوجات الاستفادة من هذا الموقف. فتحت ضغط الأعباء ومشقة الحياة حينا، وأمام الطموح غير المحسوب في أحيان كثيرة، لا يُبالي بعض النَّاس ولا يشغل بآلهم التَّحري الدَّقيق والاستيثاق القوي عن حل أو حرمة مصادر دخلهم وأقواتهم.

المفهوم الثاني: صبر زوجات النبي ﷺ على الفقر وهن من خيرة نساء الأمة كما قال تعالى: ﴿لستن كأحد من النساء﴾ - أسوة لمن بعدهن من نساء الأمة في الصبر على ضيق ذات اليد الزوج وعدم تكليفه فوق طاقته حتى يستدين أو يذل نفسه ويثقلها بما لا طاقة له به.

المفهوم الثالث: قبول الهدية من الخدم ولو كانت صغيرة ومتواضعة، فإن في ذلك تطيب لأنفسهم وإشعار لهم بمكانتهم وكيانهم.

الموقف الثاني: حرصها على عدم استغلال مكانة زوجها ﷺ :-

لما تزوج الرسول ﷺ السيدة جويرية (رضي الله عنها) لم تستغل هذا الزواج

في أن تطلب من رسول الله ﷺ أن يعتق أحداً من قومها الذين أسرهم الرسول وأصحابه في غزوة بني المصطلق، بل إن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين أطلقوهم من تلقاء أنفسهم، وعن ذلك تقول رضي الله عنها «رأيت قبل قدوم النبي ﷺ بثلاث ليالٍ كأنَّ القمرَ أقبل يسير من يثرب حتى وقع في حجري، فكرهت أن أخبر بها أحداً من الناس حتى قدم رسول الله ﷺ. فلما سُبينا رجوت الرؤيا، فلما أعتقني وتزوجني والله ما كلمته في قومي حتى كان المسلمون هم الذين أرسلوهم، وما شعرت إلا بجارية من بنات عمِّي تُخبرني الخبر فحمدت الله عز وجل»^(١).

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٢٧/٤)، (٦٧٨٣) وفي حديث طويل للسيدة عائشة رضي الله عنها وهي تحكي قصة مجيء السيدة جويرية رضي الله عنها إلى النبي ﷺ لتستعين به على أداء مكاتبتها لثابت بن قيس رضي الله عنه، وقول النبي لها «أو خيراً من ذلك؟» قالت ما هو؟ قال: «أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك» قالت: نعم. قال: «قد فعلت»، فخرج الخبر إلى الناس فقالوا أصهار رسول الله ﷺ يسترقون! فأعتقوا من كان في أيديهم من سبي بني المصطلق، فبلغ عتقهم مائة من أهل بيت بتزوجه إياها. قالت عائشة: «فلا أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها»، ورواه أبو داود (٢٢/٤)، (٣٩٣١)، وأحمد في المسند (٢٧٧/٦)، (٦٤٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٩/٣٦١)، (٤٠٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى (٧٤/٩)، (١٧٨٥٢)، وابن حجر في الإصابة (٥٦٥/٧)، وابن عبد البر في الإصابة (١٨٠٤/٤)، وابن سعد في الطبقات (٦٤/٢ و ١٦٦/٨ - ١١٧)، وانظر صفة الصفة (٤٩/٢ - ٥٠).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :-

المفهوم الأول: تنزه السيدة جويرية عن أن تطلب من زوجها ﷺ إطلاق سراح أهلها :-

فرغم أن السيدة جويرية ﷺ قد تزوجت رسول الله ﷺ في ظروف قاسية تتمثل في أسر المسلمين لِعَدَدٍ كبيرٍ من قومها إلا أنها لم تستغل زواجها من الرسول عليه الصلاة والسلام في إطلاق سراح هؤلاء النَّاسِ، بل إنَّ الصحابة ﷺ هم الذين بادروا بمحض إرادتهم بإطلاق سراح كُلِّ الأسرى عندما علموا أنَّهم أَصْبَحُوا أَصْهَارَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وفي هذا تعليم للمسلمين أجمعين بأنَّه من الواجب عليهم ألا يستغلوا أقاربهم ولا أصحابهم ولا أهلهم في فعل أشياء تُخَالِفُ الشَّرْعَ.

المفهوم الثاني: فِطْنَةُ الصَّحَابَةِ وَرِفْعَةُ ذَوْقِهِمْ :-

كان الصحابة الكرام ﷺ يتسمون بالفِطْنَةِ والذِّكَاءِ والذُّوقِ الرَّفِيعِ ولعلنا نَلْمَحُ هذه المعاني الجليلة والأخلاق الجميلة في موقف الصحابة ﷺ في إطلاق سراح أسرى بني المصطلق، إذ بمجرد بلوغهم خبر اعترامه ﷺ الزَّوْجِ بالسيدة جويرية سارعوا إلى إطلاق سراح من كانوا بأيديهم من سبايا بني المصطلق.. فهذا التَّصَرُّفُ الذي بدر منهم ﷺ يدل على ذوقهم الرفيع وأدبهم العالي، إذ قالوا أصهار رسول الله ﷺ يسترقون؟!!

وأقول أيضاً لعلهم فطنوا إلى الحكمة النبوية العظيمة من وراء هذا الزواج، وأدركوا ما يرمي إليه الحبيب المصطفى ﷺ بزواجه من السيدة جويرية أم المؤمنين رضی اللہ عنہا من تحرير هؤلاء الأسرى، فسارعوا إلى فعله طائعين مُختارين محبين.. فهذه هي طبيعة المسلم الحق إنه كَيْسٌ فَطِنٌ.

المفهوم الثالث: يظهر من الموقف الرابع للصحابة مكانة الأصهار في المجتمع الإسلامي، وأنهم في مكان إجلال وإكبار؛ لأنهم أخوال الأولاد، وهم بعد النسب في الدرجة، قال تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾، بل إن المحرمات بسبب النسب سبع ويسبب الصهر سبع كما في آية النساء ﴿حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم.. الآية﴾، فهل نستفيد من ذلك في تطوير علاقتنا بأصهارنا مما سيلقي يقيناً بظلال وارفة على شؤوننا الأسرية وعلاقتنا الاجتماعية.

الموقف الثالث: اهتمامها بالعبادة وتوجيه زوجها ﷺ لها إلى صالح الأعمال :-

أ - يروي حبر الأمة عبد الله بن عباس رضی اللہ عنہما عن أم المؤمنين السيدة جویریة رضی اللہ عنہا أن النبي ﷺ خرج من عندها بكرة حين صلى الصُّبح وهي في مسجدها، ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة، فقال «مازلت على الحال التي فارقتك عليها؟» قالت: نعم. قال «لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم

لوزنتهن سبحان الله وبحمده، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضَا نَفْسِهِ وَزِنَةَ عَرْشِهِ
وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ»^(١).

ب - وعن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله دَخَلَ عَلَيْهَا يَوْمَ
الْجُمُعَةِ وَهِيَ صَائِمَةٌ، فَقَالَ لَهَا «أَصُمْتَ أَمْس؟» قَالَتْ لَا،
قَالَ «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قَالَتْ لَا، قَالَ «فَافْطِرِي»^(٢).

* المفاهيم التربوية المستفادة من الموقفين السابقين :-

يستفاد من الموقفين السابقين ما يلي :-

المفهوم الأول: انشغال السيدة جُوَيْرِيَّة دَائِمًا بِعِبَادَتِهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ :-

كانت السيدة جُوَيْرِيَّة رضي الله عنها حريصة على مرضاة الله عز وجل،
ودليل ذلك أنها ظَلَّتْ فِي مَسْجِدِهَا مِنْ صَلَاةِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ أَضْحَى
رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله، وَأَنَّهَا كَانَتْ تَصُومُ فِي غَيْرِ شَهْرِ رَمَضَانَ. لَكِنَّ
الرَّسُولَ صلى الله عليه وآله كَانَ حَرِيصًا عَلَى إِرْشَادِهَا إِلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي
تَزْدَادُ بِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى قَرِيبًا، وَيَمْتَلِئُ قَلْبُهَا بِمُحَبَّةِ النَّاتِجَةِ عَنْ
الْمَدَاوِمَةِ عَلَى ذِكْرِهِ جَلَّ وَعَلَا. فَمَا أَجْدَرُ الزَّوْجَاتِ بِالِاقْتِدَاءِ بِهَا
رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا فِي عِبَادَتِهَا لِرَبِّهَا، وَمَا أَجْدَرُ كُلَّ الْأَزْوَاجِ بِالِاقْتِدَاءِ
بِهِ صلى الله عليه وآله فِي الْأَخْذِ بِأَيْدِي زَوْجَاتِهِنَّ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ، وَسَبِيلِ الْفَلَاحِ.

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء رقم (٢٧٢٦) واللفظ له، وأبو داود (٨١/٢)، رقم
(١٥٠٣)، والترمذي (٥٥٦/٥)، رقم (٣٥٥٥)، وابن ماجه (١٢٥١/٢)، رقم
(٣٨٠٨)، والنسائي (٧٧/٣)، رقم (١٣٥٢).

(٢) رواه البخاري في كتاب الصوم - باب صوم يوم الجمعة (١٩٨٥).

وما أجدر الزَّوجات أيضاً بممارسة الدور نفسه بإرشاد الأزواج إلى أبواب الخير وسبل النجاة.

المفهوم الثاني: حِرْصُ الزَّوجِ رضي الله عنه على تعليم زوجته أحكام الشريعة :-

في تنبيه الرسول رضي الله عنه لزوجته السيدة جَوَيْرِيَّةَ أم المؤمنين رضي الله عنها على عدم إفراد يوم الجمعة بالصيام دليل على أنه لا بد أن يحرص المسلم على تطبيق أحكام الشرع الحنيف في بيته، وعليه أيضاً - وبخاصة إذا كان من أهل العلم والتوجيه - أن يُعَلِّمَ أهله وَيُرْشِدُهُم إلى حكم الدين في جميع القضايا وكافة المسائل، أو يسأل أهل العلم والدين والاختصاص إذا لم يكن من أهل العلم.

الموقف الرابع: شكواها لرسول الله رضي الله عنه من ضرائرها أمهات المؤمنين رضي الله عنهن :-

فقد اشتكت أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها لرسول الله رضي الله عنه زوجاته (أمهات المؤمنين) قائلة له: «إن أزواجك يَفْخَرْنَ عَلَيَّ، يَقُلْنَ لم يتزوجك رسول الله رضي الله عنه إنما أنت ملك يمينه»، فَيُطَيِّبُ رسول الله رضي الله عنه خاطرَها قائلاً لها: «أَلَمْ أُعْظِمَ صِدَاقَكَ؟ أَلَمْ أُعْتِقْ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً مِنْ قَوْمِكَ؟» (١).

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٢٧/٤)، (٦٧٧٨)، واللفظ له، والطبراني في الكبير (٥٩/٢٤)، (١٥٥)، وسعيد بن منصور في السنن (٢٦٢/١)، (٩٠٩)، وعبدالرزاق في المصنف (٢٧١/٧)، (١٣١١٩).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف الأسري السابق: -

المفهوم الأول: مشروعية شكوى الزوجة لزوجها وحزبه على تطيب خاطرهما: -

لما كانت زوجات الرسول ﷺ أمهات المؤمنين رضوان الله عليهن يفخرن على السيدة جويرية رضي الله عنها بقولهن لها: لَمْ يَتَزَوَّجْكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّمَا أَنْتَ مَلِكٌ يَمِينٌ، شَكَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَلِكَ الْأَمْرَ، فَطَيَّبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَاطِرَهَا، وَهَدَأَ مِنْ رَوْعِهَا، وَبَيَّنَّ لَهَا أَنَّهُ أَعْطَاهَا صَدَاقَهَا وَأَعْتَقَ أَرْبَعِينَ مِنْ قَوْمِهَا؛ إِكْرَامًا لَهَا.

وفي هذا ما فيه من مراعاة لحالتها النفسية، ورفع لروحها المعنوية؛ لذلك فمن الواجب على كل من الزوجين عند حدوث مشكلة لأحدهما أن يعرضها على الآخر؛ كي يريح نفسه، ثم من الجائز أن يجد عند الآخر ما يزيل ما في نفسه من ألم أو حزن أو غير ذلك.

المفهوم الثاني: عدم الاغترار بالدنيا وزخارفها الفانية: -

على الزوجات: مراعاة شعور بعضهن البعض، وعدم جرح إحداهن مشاعر الأخرى مهما كانت الغيرة بينهما، وعليهن أيضاً مراعاة الله سبحانه وتعالى في علاقة بعضهن ببعض، ومراقبته عز وجل، ولا تتعالى إحداهن على الأخرى؛ لأن العز والذل والرِّفعة

والخَفْضُ بيد الله سبحانه وتعالى، فهو يُعزُّ من يشاء ويُدِلُّ من يشاء بيده الخَيْرُ وهو على كُلِّ شيءٍ قَدِيرٌ.

الموقف الخامس: عتقها لِغُلامٍ في سبيل الله :-

ورد في الحديث أَنَّ أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ ﷺ قالت يا نبي الله أردت أن أعتقَ هذا الغلام، فقال رسول الله ﷺ: «بل أعطيه أخاك الذي في الأعراب يرعى عليه، فإنه أعظم لأجرك»^(١).

وفي رواية أخرى «بل أعطيه بعض خالاتك اللواتي في الأعراب يرعى عليهن»^(٢).

وفي رواية ثالثة «أعطيه خالك»^(٣).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :-

حُسْنُ صِلَةِ الزَّوْجِ بِأَهْلِ زَوْجَتِهِ وإرشاده لها:

كثيراً ما تنشب نار الفتنة في البيت وتزداد تَأْجُجاً واشتعالاً بسبب مزاعم - قد يكون لها أحياناً نصيب من الصِّحة - عن جفوة بين الزَّوْجِ وأهل زوجته، أو طريقة سيئة يتعامل بها معهم - أمّا حينما ترى الزوجة حِرْصَ زَوْجِهَا على حُسْنِ صِلَتِهِ بِأَهْلِهَا بل وتراه يوصيها

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى ١٧٩/٣ (٤٩٣٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٩٤/١ (٩٧٥).

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٣/٨. وقال رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.

بهم خيراً، فَإِنَّ الْبَيْتَ - بلا شك - سَيَنْعَمُ بِظِلَالِ وارفَةٍ من المحبة والحنان والموَدَّةِ والرَّحمة .

وهذا ما كان يفعله الرسول ﷺ، فحينما أرادت زوجته السيدة جُوَيْرِيَّةُ أم المؤمنين ﷺ عتق غلام لها أشار عليها الرسول ﷺ بِأَنْ تُعْطِيَهُ لِأَخِيهَا أَوْ لِخَالَيَهَا أَوْ لِخَالَيَهَا، وفي هذا توجيه نبوي كريم للزوجة بِحُسْنِ صَلَاتِهَا بِأَهْلِهَا .

الموقف السادس: رضاها التام - هي وبقية أمهات المؤمنين -
بالمُسْتَوَى الْمَعِيشِي لِزَوْجِهَا: -

كانت السيدة جُوَيْرِيَّةُ ﷺ راضية بالمستوى المعيشي الذي كان يعيش فيه رسول الله ﷺ، وعندما نزلت آيتا التخيير على الرسول ﷺ كي يخير زوجاته بين الله ورسوله والدار الآخرة، أو الحياة الدنيا وزينتها، فاخترن كُلَّهُنَّ اللهُ ورسوله والدار الآخرة ومن بَيْنَهُنَّ السيدة جُوَيْرِيَّةُ ﷺ جميعاً وأرضاهن .

قال الله تعالى في آيتي التخيير: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلًا لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنْتُمْ تُرِيدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾ (١).

(١) سورة الأحزاب: الآيتان (٢٨، ٢٩).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق:

إِدْرَاكُ السَّيِّدَةِ جُوَيْرِيَّةٍ لِمَهْمَةِ زَوْجِهَا الْجَلِيلَةِ :-

إِنَّ السَّيِّدَةَ جُوَيْرِيَّةَ رضي الله عنها شَأْنَهَا فِي ذَلِكَ شَأْنٌ بَقِيَّةُ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِنَ جَمِيعاً، قَدْ أَدْرَكْنَ طَبِيعَةَ الْمَهْمَةِ الْجَلِيلَةِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ الْجَسِيمَةِ لِلْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى صلى الله عليه وآله وسلم، وَتَرَسَّخَتْ فِي أَذْهَانِهِنَّ حَقِيقَةَ أَنَّهُنَّ وَإِنْ كُنَّ زَوَاجَاتِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ وَرَأْسِ الدَّوْلَةِ وَقَائِدِ الْأُمَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي التَّرَفَ وَالتَّنَعُّمَ بِالسُّلْطَةِ وَالثَّرَاءِ وَالجَاهِ، وَإِنَّمَا يَعْنِي زَهْداً فِي نَعِيمِ الدُّنْيَا وَرَغْبَةً عَنِ تَرْفِهَا، بِالنَّظَرِ إِلَى كَوْنِ الْبَيْتِ النَّبَوِيِّ مَحَطَّ أَنْظَارِ الْمُتَمَسِّمِينَ لِلْقُدُوءِ، الرَّاعِبِينَ فِي الْأَسُوءَةِ الْحَسَنَةِ.

نلمح هذه المعاني في قول السيدة جُوَيْرِيَّةَ رضي الله عنها : وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم عِنْدَ مَوْتِهِ دِينَاراً وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أُمَّةً إِلَّا بَغْلَتَهُ وَسِلَاحَهُ وَأَرْضًا تَرَكَهَا صَدَقَةً^(١).

فهذه تركة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يملك - لو رغب - أَنْ تُحَوَّلَ لَهُ جِبَالُ مَكَّةَ ذَهَبًا، وَخَيْرٌ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مُلِكًا أَوْ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْدًا، يَجُوعُ يَوْمًا فَيَصْبِرُ، وَيَشْبَعُ يَوْمًا فَيَشْكُرُ، وَقَدْ اسْتَجَابَتْ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ لِأَمْرِ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَاخْتَرْنَ الْعَيْشَ فِي رِحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم مَعَ ضَيْقِ الْحَالِ عَلَى التَّنَعُّمِ بِالدُّنْيَا وَزِينَتِهَا بَعِيداً عَنِ أَنْوَارِ بَيْتِ النَّبِوةِ.

(١) رواه ابن خزيمة في صحيحه ٤/١٢٠ (٢٤٨٩)، الطبراني في الكبير ٤٤/١٧

(٩٤٠٩٢)، والأوسط ١/١٦٣ (٥١١).

الموقف السابع : علاقتها ﷺ بأخواتها أمهات المؤمنين :-

هذا جانب آخر في الحياة الأسرية لأم المؤمنين السيدة جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث ﷺ وأرضها. فما من شك أنها واحدة من زوجات النبي ﷺ وكانت لها علاقات وصلات بأخواتها أمهات المؤمنين اللاتي كُنَّ يشاركنها العيش في رِحَابِ أنوار البيت النبوي الشريف.

وقد سبق إيراد حديث السيدة عائشة ﷺ الذي وصفت فيه السيدة جُوَيْرِيَةَ بأنها كانت امرأة حُلُوَّةٌ مليحة لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه، وقولها أيضاً: فبينما النبي ﷺ عندي إذ دخلت جويرية تسأله في كتابتها، فوالله ما هو إلا أن رأيتها حتى كرهت دخولها على النبي ﷺ وعرفت أن سيرى فيها مثل الذي رأيت.

وتتحدث أم سنان الأَسْلَمِيَّة عن غيرة أربع من أمهات المؤمنين حينما رأين السيدة صفية بنت حيي ﷺ فتقول لما نزلنا المدينة لم ندخل منازلنا حتى دخلنا مع صفية منزلها، وسمع بها نساء المهاجرين والأنصار فدخلن عليها متنكرات، فرأيت أربعاً من أزواج النبي ﷺ متنقبات - زينب بنت جحش وحفصة وعائشة وجُوَيْرِيَةَ - فأسمع زينب تقول لجُوَيْرِيَةَ يا بنت الحارث ما أرى هذه الجارية إلا ستغلبنا على عهد رسول الله ﷺ. فقالت جُوَيْرِيَةَ كَلَّا، إنها من نساء قَلَّ ما يحظن عند الأزواج^(١).

(١) الطبقات الكبرى ١٢٦/٨.

المفاهيم التربوية المستخلصة من الموقف السابق :-

يستفاد من غيرة أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ ومن بينهن السيدة جُوَيْرِيَّة بنت الحارث ما يلي :-

المفهوم الأول: إِنَّ غَيْرَةَ النِّسَاءِ عَمُومًا وَمِنْهُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ زَوْجَاتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ طَبِيعَةٌ نَفْسِيَّةٌ وَغَرِيْزَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ.

لا يملك المرء لها دفعاً ولا يستطيع إنكاراً، فَهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ صَاحِبَاتِ الْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ وَالْمَنْزِلَةِ السَّامِيَةِ، إِلَّا أَنَّهِنَّ فِي الْبَدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ نِسَاءٌ مِثْلَ بَقِيَّةِ نِسَاءِ الْأُمَّةِ، لَسْنَ مَعْصُومَاتٍ.

ولكن الدرس التربوي الذي نخرج به هنا أن الغيرة من جانب أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ بَقِيَّتْ فِي إِطَارِ الْغَيْرَةِ الْمَحْمُودَةِ، وَلَمْ تَنْتَقِلْ أَبَدًا إِلَى إِطَارِ الْغَيْرَةِ الْمَذْمُومَةِ الَّتِي تَدْفَعُ صَاحِبَتَهَا إِلَى إِيْذَاءِ الْأَخْرِيَّاتِ وَاحْتِقَارِهِنَّ، وَالانْتِقَاصِ مِنْ كِرَامَتِهِنَّ. وَيَكْفِي لِلذَّلَالَةِ عَلَى ذَلِكَ الْكَلَامُ الْجَمِيلُ الَّذِي قَالَتْهُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حَقِّ السَّيِّدَةِ جُوَيْرِيَّةٍ حِينَمَا قَالَتْ فَلَا أَعْلَمُ امْرَأَةً كَانَتْ أَعْظَمُ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا. . وَأَيْضًا مَوْقِفُ السَّيِّدَةِ زَيْنَبِ بِنْتِ جَحْشِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي حَادِثَةِ الْإِفْكِ وَقَوْلِهَا: أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي وَوَاللَّهِ مَا أَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، مَعَ أَنَّهَا كَانَتْ الْمُتَأَسِّسَ الْأَوَّلَ لِلْسَّيِّدَةِ عَائِشَةَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ أَزْوَاجِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا (١).

(١) يراجع حديث قصة الإفك في صحيح مسلم كتاب التوبة باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف (٢٧٧٠).

المفهوم الثاني : إذا كان من طباع النساء الغيرة وإذا كانت زوجات رسول الله ﷺ غرن فإنه من الواجب على الزوج أن يتعامل مع المواقف الناتجة عن غيرة الزوجة بهدوء وروية، بعيداً عن العصبية والانفعال اللذين يؤدیان إلى أَوْحَمِ العواقب وأسوأ النتائج، ومواقف النبي ﷺ في هذا المِضمار كثيرة معروفة، بل هي أكثر من أن تُحصَر وأشهر من أن تُشهر^(١).

* * *

(١) يراجع بعضها في كواكب حول الرسول ﷺ، عبدالحليم خفاجي، ص ١٠٦ - ١١٢ - ط. دار الوفاء - المنصورة - ط. الثالثة، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

الحسن والحسين ﷺ

نبذة عن حياتهما:

أولاً: نبذة عن حياة الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ:

اسمه وكنيته ونسبه:

هو أبو محمد الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي القرشي المدني الشهيد رضي الله عنه، فهو سبط رسول الله ﷺ، وريحانته من الدنيا، وهو سيد شباب أهل الجنة، وهو ابن السيدة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأبوه أمير المؤمنين علي ﷺ وحفيد أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ، وهو خامس الخلفاء الراشدين^(١).

فقه النبي ﷺ في تسمية الحسن والحسين ومُحسن، والمفهوم التربوي المستفاد منه

ولد الحسن ﷺ في رمضان سنة ثلاث من الهجرة، وقيل في شعبان، لكن الأول أصح^(٢).

(١) انظر: محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي. سير أعلام النبلاء ٣/٢٤٦، ط ٧، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) ابن سعد: الطبقات ١/٢٢٦، والذرية الطاهرة، محمد بن أحمد بن حماد الدولابي: ص ٧١، خرَّج أحاديثه: سعد المبارك الحسن، الدار السلفية، الكويت، ط. ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

يقول سيدنا علي عليه السلام لما وُلد الحسن سميته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: «أروني ابني ما سميتموه؟» قلنا: حرباً، قال: «لا بل هو حسن»، فلما وُلد محسن سميته حرباً، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فقال: «بل هو مُحسن».

ونلاحظ أن النبي صلى الله عليه وآله عدل عن تسميتهما بأسماء ما قبل الإسلام، وما تدل عليه أسماؤها من القتال وسفك الدماء، فاختر لهما أكرم الأسماء وأجل المعاني.

وقد وُصف الحسن بالسيد، ولقبه بذلك جده الرسول الكريم صلى الله عليه وآله، كما جاء في الحديث الصحيح: «إن ابني هذا سيد، ولعلَّ الله يُصلح به بين فئتين من المسلمين»^(١).

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله من وجوه أنه قال: في الحسن والحسين «إنهما سيدا شباب أهل الجنة، وقال: اللهم إني أحبهما وأحبُّ من يحبهما»^(٢).

(١) صحيح البخاري، باب علامات النبوة ٣/١٣٢٨ رقم (٣٤٣٠)، وباب إذا أنزل الله بقوم عذاباً ٦/٢٦٠٢ رقم (٦٦٩١)، والمستدرک علی الصحیحین فی فضائل الحسن ابن علي بن أبي طالب عليه السلام ٣/١٩١، رقم (٤٨٩).

(٢) المستدرک علی الصحیحین. من مناقب الحسن والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ٣/١٨٢، رقم ٤٧٧٨، وصحيح ابن حبان ١٥/٤١١، رقم ٦٩٥٩، وسنن ابن ماجة. فضل علي بن أبي طالب عليه السلام ١/٤٤، رقم ١١٨، وسنن الترمذي. باب مناقب الحسن والحسين عليه السلام ٥/٦٥٦، رقم ٣٧٦٨، وانظر: ابن عبد البر. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق: محمد علي البجاوي ١/٣٩١، ط. ١، بيروت، دار الجيل ١٤١٢هـ.

المفهوم التربوي المستفاد من فقه النبي ﷺ في تسمية الحسن
والحسين، ومُحسن:

اختيار أحسن الأسماء لأبنائنا:

علينا أن نتعلم من هدي النبي ﷺ قيمة مهمة في حياتنا، وهي
اختيار أجمل وأحسن الأسماء لأبنائنا، وهذا توجيه للآباء والأمهات
على اختيار الاسم الحسن لفظاً ومعنى، ويدخل في دائرة النظر
الشَّرعي واللسان العربي، حتى يكون حسناً عذباً على اللسان،
مقبولاً للأسماع، يحمل معنى كريماً شريفاً، ووصفاً صادقاً، خالياً
مما دلت الشريعة على تحريمه أو كراهته، وعلى الآباء أن
يستشيروا من كان ذا بصيرة في معاني الأسماء؛ حتى لا يقع فيما
يُحذَرُ تسميته، ومما حرَّمته الشريعة.

زوجاته:

وقد تزوج الحسن من خولة الفزارية، وجعدة بنت الأشعث،
وعائشة الخثعمية، وأم إسحاق بنت طلحة عبيد الله التيمي،
وحفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر، وأم عبد الله بنت الشليل بن
عبد الله أخو جرير البجلي، وامرأة من ثقيف، وامرأة من بني عمرو
ابن أهيم المنقري.

ذريته:

وله من الذرية كثير منهم: الحسن، وزيد، وطلحة، والقاسم،

وأبو بكر، وعبد الله، وهؤلاء قتلوا مع عمهم الحسين الشهيد بكربلاء، وله أيضاً عمرو، وعبد الرحمن، والحسين، ومحمد، ويعقوب، وإسماعيل، وحمزة، وجعفر، وعقيل، وأم الحسين، ولم يعقب من ذريته إلا الحسن، وزيد، رضي الله عنهم أجمعين^(١).

وفاته:

روي من وجوه أن الحسن بن علي عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين عليه السلام يا أخي: إن أبانا رحمه الله تعالى لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله ثم استشرف لهذا الأمر ورجا أن يكون صاحبه، فصرفه الله عنه ووليها أبو بكر رضي الله عنه، فلما حضرت أبا بكر الوفاة، تشوف لها أيضاً فصرفت عنه إلى عمر رضي الله عنه، فلما احتضر عمر رضي الله عنه، جعلها شورى بين ستة، فلم يشك أنها لا تعدوه، فصرفت عنه إلى عثمان، فلما هلك عثمان ببيع ثم نُوزِعَ حتى جرد السيف وطلبها فما صفا له شيء منها، وإنِّي واللّه ما أرى أن يجمع الله فينا أهل البيت النبوة والخلافة، فلا أعرفن ما استخفك سفهاء أهل الكوفة فأخرجوك، وقد كنتُ طلبت إلى عائشة رضي الله عنها إذا متّ أن تأذن لي فأدفن في بيتها مع رسول الله صلى الله عليه وآله ثم فقالت نعم، وإنِّي لا أدري

(١) سير أعلام النبلاء ٣/ ٢٧٩.

لعلها كان ذلك منها حياءً، فإذا أنا مت فاطلب ذلك إليها، فإن طابت نفسها فادفني في بيتها^(١).

ثانياً: التعريف بالحسين بن علي عليه السلام:

الحسين بن علي بن أبي طالب كنيته أبو عبد الله، سبط رسول الله وريحانته ومحبوبه وابن بنت رسول الله ﷺ فاطمة الزهراء عليها السلام، كان مولده في السنة الرابعة من الهجرة، كان بينه وبين الحسن طهر واحد ثم حملت فاطمة به.

وقد وردت في مناقبه وفضائله أحاديث كثيرة منها:

ما رواه أحمد بإسناد إلى يعلى العامري رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله ﷺ يعني إلى طعام دعوا له، قال: فاستمثل رسول الله ﷺ أمام القوم، وحسين مع غلمان يلعب، فأراد رسول الله ﷺ أن يأخذه فطفق الصبي يفر هنا مرة، وها هنا، فجعل النبي ﷺ يضاحكه حتى أخذه، قال: «فوضع إحدى يديه تحت قفاه والأخرى تحت ذقنه، ووضع فاه وقبَّله، وقال: «حسين مني وأنا من حسين اللهم أحب من أحب حسيناً، وحسين سبط من الأسباط»^(٢).

وفي ذلك منقبة ظاهرة للحسين رضي الله عنه، إذ حثَّ على

(١) ابن عبد البر، الاستيعاب ١/٣٩١.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/١٩٤، رقم ٤٨٢٠، وصحيح ابن حبان ١٥/٤٢٨، وموارد الظمان، رقم ٢٢٤٠، وانظر: الإمام أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، حديث رقم (١٣٦١)، إسناده حسن، السعودية، دار ابن الجوزي، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

محبتة، وكأنه ﷺ علم بنور الوحي ما سيحدث بينه وبين القوم فخصه بالذكر، وأكد على وجوب المحبة وحرمة التعرض له ومحاربتة، وأكد ذلك بقوله: «أحب الله من أحب حسينا» فإن محبته تؤدي لمحبة رسول الله ﷺ، ومحبة الرسول تؤدي إلى محبة الله عز وجل.

وفاته:

مات شهيداً ﷺ يوم عاشوراء بكربلاء من أرض العراق، يوم السبت سنة إحدى وستين، وهو عطشان في إمارة يزيد بن معاوية، وحمل رأسه إلى الشام، واختلف في موضع رأسه، فمنهم من زعم أن رأسه في البرج الثالث من السور على باب الفراديس بدمشق، ومنهم من زعم أن رأسه على رأس عمود في مسجد جامع دمشق عن يمين القبلة بجانب القبة الخضراء، ومنهم من زعم أن رأسه في قبر معاوية؛ وذلك أن يزيد بن معاوية دفن رأسه في قبر أبيه وقال أحسنه بعد الممات به ويرجح كثير من أهل العلم أنه مدفون بقرب قبر أمه في البقيع، فأما جثته فبكربلاء بلا شك.

المواقف التربوية في حياة الحسن والحسين ﷺ

الموقف الأول: نصيحة الحسين؛ لأبيه الإمام علي - ﷺ - عند

خروجه إلى الكوفة:

بايع المهاجرون والأنصار أمير المؤمنين علياً ﷺ بعد استشهاد عثمان ابن عفان رضي الله عنه؛ لما رأوا من فضله على من بقى من الصحابة، وأنه أقدمهم إسلاماً، وأوفرهم علماً، وأقربهم بالنبي ﷺ نسباً وأحبهم إلى الله ورسوله، وأكثرهم مناقباً، وأفضلهم سوابق،

وأرفعهم درجة، وأشرفهم منزلة، وأشبههم برسول الله ﷺ هدياً وسمتاً، فكان ﷺ متعيناً للخلافة دون غيره، وقد قام من بقى من أصحاب النبي ﷺ بالمدينة بعقد البيعة له بالإجماع، ووجب على سائر الناس طاعته وحُرْم الخروج عليه ومخالفته.

رأى أمير المؤمنين عليّ ﷺ أن المدينة لم تعد تملك المقومات التي تملكها بعض الأمصار في تلك المرحلة، فقال: إن الرجال والأموال بالعراق، لكن أبا أيوب الأنصاري نصحه بالبقاء في مدينة رسول الله ﷺ؛ لأنها الدرع الحصينة، ومهاجرة رسول الله، وبها قبره ومنبره ومادة الإسلام، فإن استقامت لك العرب كنت كمن كان، وإن أَلجئت حينئذ إلى السير سرت، وقد أعذرت، فأخذ الخليفة بما أشار عليه أبو أيوب وعزم على المقام بالمدينة وبعث العمّال على الأمصار^(١).

لكن حدث كثير من المستجدات السياسية التي أرغمت الخليفة على مغادرتها، وقرّر التوجه إلى الكوفة؛ ليكون قريباً من أهل الشام، وعندما بلغ «الربذة» عسكر بمن معه، وهناك قام الحسن ﷺ وهو باكٍ لا يخفى أثر حزنه، وتأثره على ما أصاب المسلمين من تفرّق واختلاف. وكان قد قال الحسن لوالده: قد أمرتك فعصيتني، فتقتل غدراً بمضيعة لا ناصر لك، فقال علي رضي الله عنه: إنك لا تزال تخن^(٢) خنين الجارية.

(١) الثقات، لابن حبان (٢/٢٨٣)، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وحسين الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) خنّ: أخرج الصوت من خياشيمه.

وما الذي أمرت به فعصيته؟ قال: أمرتك يوم أحيط بعثمان رضي الله عنه أن تخرج من المدينة، فيقتل ولست بها، ثم أمرتك يوم قُتِلَ أَلَّا تُبَاعِ حتى يأتيك وفود أهل الأمصار والعرب وبيعة كل مصر، ثم أمرتك حين فعل الرجلان ما فعلا أن تجلس في بيتك حتى يصطلحوا، فإن كان الفساد كان على يد غيرك، فعصيتني في ذلك كله.

قال: أي بني، أما قولك: لو خرجت من المدينة يوم أحيط بعثمان، فوالله لقد أحيط بنا كما أحيط به، وأما قولك: لا تباع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإنَّ الأمر أمر أهل المدينة وكرهنا أن يضيع هذا الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير فإن ذلك كان وهنا على الإسلام، والله ما زلت مقهوراً منذ وليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي، وأما قولك: اجلس في بيتك فكيف لي بما لزمني، أو مَنْ تريدني: أتريدني أن أكون مثل الضبع التي يحاط بها، ويقال: دبابٍ دبابٍ^(١).

ليس ها هنا حتى يحل عرقوباها ثم نخرج، وإذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر، ويعينني من ينظر فيه، فكفَّ عني أي بني.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

إن في هذا الموقف لكثير من المفاهيم التربوية الرائدة التي ينبغي أن يتعلمها الأبناء والآباء؛ لصالح الأسرة في الإسلام.

(١) دباب: قظام، دعاء الضبع للضبع.

المفهوم الأول: حسن تربية الأبناء:

حسن تربية الإمام علي ﷺ لأبنائه جميعاً، ومنهم الحسن - رضي الله عنهم أجمعين - فقد ربّاهم تربية إسلامية صحيحة، يجهرون بالحق، ويسدون النصيحة للخلفاء، ودليلنا على ذلك تقديم الحسن ﷺ النصيحة لوالده أمير المؤمنين رضي الله عنه بعدم الخروج لمقابلة طلحة والزبير ﷺ، وذلك حقناً للدماء الطاهرة الزكية.

المفهوم الثاني: الحب الأول والأخير للإسلام والمسلمين:

لقد كانت درجة حُب الحسن ﷺ للإسلام والمسلمين كبيرة، وخوفه من تفرّق المسلمين عالياً، وذلك عندما ذهب لوالده وهو يبكي غير خافٍ حزنه وتأثره على ما أصاب بيضة الإسلام من تفرّق واختلاف وفتن، وفي هذا - أيضاً - إشارة لطيفة من حُبّ وشفقة ظاهرين من الابن لأبيه، ونصحه له في أشدّ المواقف وأعصبها.

المفهوم الثالث: تعويد الأبناء حرية التعبير عن أنفسهم:

إن في ذلك الموقف مفهوم تربوي على درجة عالية من الأهمية وهو حسن تربية أمير المؤمنين ﷺ للحسن عندما رسّخ لديه حُرّيّة التعبير عن رأيه بمتتهى الحرية وفي حدود الأدب، كما أنّ فيه إشارة لطيفة بأن أعطاه مجالاً وفسحة ليعبر عمّا يدور بخلده وتفكيره، كما أنه قام بالإنصات إليه، وإن كانت النصيحة تحمل نوعاً من أنواع العتاب المؤدب، فلعله - أي الحسن - يقول ما يرشده ويصّره بما لم يرشده ويصّره من قبل.

المفهوم الرابع: تنمية مهارات الأبناء في إعمال فكرهم والخروج منها
بآراء سديدة:

في هذا الموقف دعوة للآباء والأمهات أن يَسْمَعُوا لأبنائهم، وأن يتشاوروا معهم في كل ما يتعلق بأمورهم ومستقبلهم، ووجوب إرشادهم إلى الصواب؛ حتى نستطيع تنشئة جيل مسلم مثقف قادر على التعبير عن رأيه بحرية داخل الضوابط الأخلاقية للمجتمع الإسلامي؛ ولكي يتعودوا على أن تكون لهم آراؤهم المستقلة، والقدرة على تنمية أفكارهم وإعمال عقولهم، وهو ما يسمى «بتنمية المهارات العقلية» التي من خلالها يتم تقدّم الأمم والشعوب، فلم تتقدم الأمة الإسلامية إلا عندما أعمل أبنائها عقولهم في كل ما من شأنه البحث والنظر، حتى برز لنا علماء فطاحل أفذاذ في شتى مناحي العلوم والحياة كلها.

المفهوم الخامس: ضبط النفس مع المخالفين لأقصى درجة:

حَثَّ الحسن أمير المؤمنين علياً عليه السلام على التمسك بالسلم لأقصى درجة، والابتعاد عن شبح الحرب واستخدام القوة، وأنه يخشى على والده أن يصيبه مثل ما أصاب سلفه - سيدنا عثمان عليه السلام وهو ما عبّر عنه بقوله: «فتقتل غدرًا بمضيعة لا ناصر لك» وكأنه يستقرئ الأحداث، ويعلم ببصيرة المؤمن أنّ الزمان زمان فتنة وبلاء، ويجب الابتعاد بالنفس عنها وعدم الخوض فيها.

المفهوم السادس: على الآباء أن يوضحوا للأبناء ما خفى عليهم:

ويتمثل ذلك في قيام سيدنا علي ﷺ ببيان الأمر لابنه الحسن في كل ما نصحه به ببصيرة الأب النافذة « وما الذي أمرت به فعصيته ».

أي حوار هذا الذي يجعل الأب يقول لابنه؟ أي أمر لك قد أمرتني به فلم أنفذه؟، ومن المعلوم أن الأب هو الذي يأمر والإبن ينفذ، وهذا ما تعلمناه من القرآن في قصة الذبيح إسماعيل - عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام - ومن وجوب طاعة الأبناء للآباء، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَتَّبِعُ أَخَاكَ وَسَتَنصُرُنِي ۚ إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾^(١).

المفهوم السابع: معادن الرجال لا تظهر إلا في وقت الشدة:

أظهر لنا هذا الموقف قيمة تربية عظيمة وهي أن معادن الرجال تظهر وقت الشدائد، فبرغم أن الحسن ﷺ نصح والده يوم أحيط بعثمان - رضي الله عنهم أجمعين - أن يخرج من المدينة، حتى لا يقتل سيدنا عثمان ﷺ وهو بها، لكن الإمام علياً ﷺ رفض هذه النصيحة من ابنه الحسن رضي الله عنه، لأنه أحس بحنكة القائد والسياسي أن الخارجيين على عثمان ﷺ بخروجهم هذا

(١) سورة الصافات، الآية: (١٠٢).

إنما هو خروج علي جميع الصحابة الأبرار الأبطال، وحتى لو خرج علي من المدينة وقتها لفسر علي أنه هروب، وحاشا لله أن يترك علي عثمان وهو في محنته تلك، وعلي هو القائد الذي صرع الأقوياء في الجاهلية وفي الإسلام.

ولقد سطر التاريخ بأحرف من نور الدور الذي قام به سيدنا علي والحسن والحسين وكثير من أبناء الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - في الدفاع عن سيدنا عثمان رضي الله عنه، فليس سيدنا علي بالذي يتخلى عن «ذي النورين» في وقت محنته، لكن قد اشتدت سيطرة المتمردين على المدينة حتى إنهم أصبحوا يصلون بالناس في أغلب الأوقات^(١).

المفهوم الثامن: الحرص على وحدة المسلمين وقيام الدولة الإسلامية:

يتبين لنا من هذا الموقف مفهوم تربوي أسري مفاده: الخوف من ضياع الأمر إذا ترك الناس بدون خليفة وإمام، وذلك نفهمه من قول أمير المؤمنين علي لابنه الحسن في رده عليه، وأما قولك: لا تبائع حتى تأتي بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة، وكرهنا أن يضيع الأمر، وأما قولك حين خرج طلحة والزبير، فإن ذلك كان وهناً على أهل الإسلام، والله ما زلت مقهوراً مذوليت، منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي.

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣/٥١٥.

وهنا يبين لابنه كيف تمّ حملّه على تحمّل أمانة الخلافة التي وُكِّلت إليه بطلب من أهل المدينة بعد قتل عثمان رضي الله عنه، فبعد أن علم بمقتله دخل داره وأغلقها عليه فأتوه فقالوا: لا بد للناس من خليفة ولا نعلم أحداً أحق بها منك، فقال لهم علي رضي الله عنه: لا تريدوني فإني لكم وزير خير لكم مني أمير. فقالوا: لا والله لا نعلم أحداً أحق بها منك، قال: فإنّ أبيتهم عليّ فإن بيعتي لا تكون سراً، ولكن أخرج إلى المسجد فيبايعه الناس^(١).

إذا لم يطلب الخلافة ولا طمع فيها وإنما كان المسلمون يحتاجون في هذا الوقت العصيب لمن يلم شملهم وكلمتهم، وكان هناك أناس لا يهمهم ذلك، فسارعوا للمطالبة بدم عثمان من قبل أن يقوم الخليفة الجديد بعملية «الإحلال والتجديد» في أعضاء حكومته. وهذا ما اتضح جلياً في قوله مقسماً باسم الله العلي قائلًا: «والله ما زلت مقهوراً مذ وليت منقوصاً لا أصل إلى شيء مما ينبغي».

الموقف الثاني: حياء الحسن والحسين وأدبهما:

حدّثنا التاريخ الإسلامي أن الحسن والحسين - ﷺ - شهدا في صباهما - شيخاً لا يحسن الوضوء، ومنعهما الحياء أن ينكرا عليه، فزعا له أن بينهما خلافاً، أيهما يحسن وضوءه عن الآخر، وأنهما

(١) كتاب السنة لأبي بكر الخلال، نقلاً عن: د. علي محمد محمد الصلابي، أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شخصيته وعصره، (١/ ٢٣٦)، مكتبة الصحابة - الإمارات ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

ارتضياه حكماً، فتوضاً أمامه، فلم يلبث الرجل أن أدرك حسن وضوئهما، وأنه هو الذي لا يحسن الوضوء، ثم قام فتوضاً^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: إرشاد المخطئين (أصحاب الخبرة البسيطة) بأسلوب تربوي هادئ:

أسس الحسن والحسين مفهوماً تربوياً لكل من يرى خطأ الآخرين سواء أكان صغيراً أو كبيراً، بأن يرشده إلى خطئه بطريقة غير مباشرة وبطريقة تعليمية بسيطة، وأن لا يتم ذلك مع جرح كرامته، أو الإيعاز له بجهله ونقص معرفته، كما يجوز أن يرشده إلى خطئه بطريقة مباشرة إن كان هذا يتعلق بالعقائد والشرائع، شرط أن لا يكون على الملأ؛ لأن النصيحة على الملأ فضيحة، والأمر بالنصيحة وتقديمها مطلب إلهي، فقد قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٢).

كل مسلم يخرج من حظ نفسه مكلف أن يسلك هذا الطريق،

(١) ابن الجوزي: صفة الصفوة ١/٢٣٣، وانظر: د. سيد بن حسين العفاني: صلاح الأمة في علو الهمة ٥/٤٨٨، ط ١، مؤسسة الرسالة ١٩٩٧م، وانظر: محمد عبدالله الخطيب: مفاهيم تربوية ١/١٠٧، ط ١، دار المنار الحديثة، مصر ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٢) سورة آل عمران، الآية: (١٠٤).

وكل مسلم إذا وجد من نفسه سعة للإنكار بمثل هذا الأسلوب فما أجمله، فإن عزَّ عليك فكلمة طيبة ونصيحة رقيقة جديدة بأن تهدي إلى الحق وتردَّ إلى المعروف.

المفهوم الثاني: دعوة المسلم تتضمن أدب الخلاف لا عصبية الاختلاف:

إن الاختلاف في حدِّ ذاته ليس انتقاصاً للمجتمعات، أو أنه سبب في تراجعها، بل العكس، بشرط أن تتوفر الأجواء المطلوبة، وألا تغطي هذه الاختلافات ليتحول المجتمع إلى فوضى، أو تنحرف عن مسارها، وإنما يجب أن نستفيد من هذا الاختلاف، كما استفاد منه المسلمون الأوائل الذين تركوا لنا بعده حضارة وعلماً فريداً.

والخلاف موجود في كل المجتمعات، ولكن لا بد أن يحاط بأدب الخلاف الذي التزمه جيل الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأجيال الصالحة.

المفهوم الثالث: إقرارهم مشاهد التمثيل الهادف الذي يرجى به نفع المجتمع لا إفساده:

أسس الحسن والحسين ﷺ مشهداً تربوياً واقعياً قد نبع من جنبات المجتمع، يجب أن ينتفع به العاملون في مجال التمثيل والتشخيص - أعني طبعاً التمثيل الهادف الذي يوجه الأنظار إلى تصحيح الخطأ -، فإذا كان فن التمثيل في أيامنا هذه على اختلاف مسمياته من «الواقعي - الدرامي، والتراجيدي، والكوميدي» فإن

الحسن والحسين سبقا هؤلاء في كيفية علاج ما شاهدا فيه جانباً من الخطأ بطريقة واقعية، حيث ذكرا للرجل أن بينهما خلافاً، ليس بالمذموم، حوّل مَنْ مِنْهُمَا قد أحسن وضوءه عن الآخر، حتى يتم تعليم الرجل كيف يحسن الوضوء «ذلك الحسن المتمثل في إسباغ الوضوء على المكاره».

فهذا خلق تعلماه من جدّهما رسول الله ﷺ عندما كان يتعرّض لمثل هذه المواقف، فكان يقوم بإصلاحها تارة بالتعريض - وهو الأكثر - وتارة بالتلويح، والأول كان يعبر عنه ﷺ بقوله «ما بال أقوام».

وما أجمل خلق رسول الله ﷺ مع معارضيه، فهذا «عتبة» ترسله قريش مفاوضاً وعارضاً على الرسول ﷺ المال والسيادة والعلاج إن كان به مرض، ومن كلامه يعرف الرسول ﷺ أنه كلام باطل سخيف، ولكنه أدب الاختلاف الذي التزمه، ليسمع للرأي الآخر دون مقاطعة، قال له ﷺ: «يا أبا الوليد أفرغت من كلامك، فقال: نعم، قال: إذا، اسمع ما أقول، وأخذ يرتل عليه آيات من القرآن الكريم، حتى ذهب إلى قومه بغير الوجه الذي جاء به».

نحن نحتاج في هذا الزمان، بل في كل زمان ومكان، أن نرتقي إلى أدب النبوة الذي أصلَ قواعد هذا الدين العظيم، وإذا كنا نريد الوصول إلى الحق، فعلينا ترك عبادة الذات، وطرح الأحقاد التي تفسد كل شيء، وترك الأضغان التي لا تهلك إلا أصحابها، وهذه الأمراض من أخطر الأمراض على المجتمع والفرد.

المفهوم الرابع : التاريخ الإسلامي مواقف وعبر :

وما أجمل ما قام به الحسن والحسين من علاج لهذا الموقف ، فقد قدما مفاهيم تربوية أصيلة حثَّ عليها الإسلام ، وتعلّماها من جدّهما رسول الله ﷺ وأبيهما علي بن أبي طالب ، وهو الذي يجب علينا أن نتأسى به ، وأن نتخلق به في الرضا والغضب إن كنا حقاً ندعو إلى الله أو نرجو الخير للناس .

يمكننا المقارنة بين ما قام به الحسن والحسين وبين ما يحدث في زماننا هذا ، الذي ما إن تثور فيه بعض الاختلافات ، إلا احمرت الوجوه ، وانتفخت الأوداج ، وتعالّت الأصوات وازداد التجريح والتكذيب ، وسيطر جو المماراة والجدل العقيم والانتصار للنفس دون الانتصار للحق عند كل خلاف ، فهل هذا هو أدب الخلاف الذي انتهجه المسلمون الأوائل؟!

المفهوم الخامس : من السنن العملية التي علّمنا وعلمهم إياها المعصوم ﷺ آداب اللقاء والحوار مع الآخرين :

وذلك بإعلائهم من شأن الرجل الذي لم يحسن الوضوء ، وجعله حكماً بينهما حتى يتم تعليمه بطريقة غير مباشرة كيف له أن يُحسّن الوضوء ، عندما قام الحسن والحسين الواحد تلو الآخر بالوضوء أمامه ، ومن شأن هذا الدرس العملي التطبيقي أن يرسخ في ذهن الرّجل مراحل وخطوات الوضوء دون تقديم وتأخير ، وكأنهما وسيلة تعليمية من أساسيات التعليم في وقتنا الراهن ، أو ما يسمى بالبيان على المعلم .

وقد أدرك الرجل بفطنته من جراء هذا الدرس العملي التطبيقي أنه هو المخطئ، وأنه لم يحسن الوضوء، وأدرك أنهما أرادا أن يعلماه بطريقة مؤدبة مهذبة، فقام وطبق الوضوء الصحيح.

الموقف الثالث: قال ابن حجر في الإصابة: «ترجمة امرؤ القيس ابن عدي وابن عساكر في تاريخ دمشق في ترجمة الرباب بنت امرؤ القيس بن عدي وفيه:

لعمرك إنني لأحب دارا تحل بها سكينه والرباب^(١)
أحبهما وأبذل بعد مالي وليس للائمي فيها عتاب
ولست لهم وإن عتبوا مطيعا حياتي أو يغيبني التراب

والرباب هي التي أقامت على قبر الحسين عليه السلام حولاً ثم قالت:
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

وسكينة اسمها آمنة أو أميمة، وإنما سكينه لقب لقبتها أمها الرباب بنت امرؤ القيس، ولما توفي الحسين عليه السلام خطبت الرباب وألحَّ عليها، فقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلم تزوج وعاشت بعده سنة لم يظلمها سقف بيت حتى بليت وماتت كمدأ، وكانت من أجمل النساء وأعقلهن.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: ملاطفة الرجل زوجته وابنته مما يورث المحبة ويزيدها، وليس من مفهوم الرجولة أن يكون الرجل غليظاً مع أهله

(١) يقصد ابنته سكينه وزوجته الرباب.

أو يعاملهم بجدية، بل يجعلهم أولى من يلاطفهم ويحنو عليهم، وجاء عن النبي ﷺ عن عائشة ؓ: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»^(١).

ولعلّ هذا ما جعل الرباب بعد استشهاد الحسين ترفض أن تتزوج بعده، ولما خطبت قالت: «ما كنت لأتخذ حمواً بعد رسول الله ﷺ».

المفهوم الثاني: يظهر من قول الحسين ؓ (أبذل بَعْدُ مالي) أن الإنفاق على الأسرة من أهم الواجبات والقربة فيه من أعظم القربات، وهذا ما جاء عن النبي ﷺ فيما يرويه أبو هريرة ؓ: «دينار أنفقته في سبيل الله ودينار أنفقته في رقبة ودينار تصدقت به على مسكين ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً للذي أنفقته على أهلك»^(٢).

المفهوم الثالث: شاهدنا وفاء الرباب لزوجها الحسين ؓ بعد وفاته، بل ووفاتها كمدأ وحزناً عليه، وهذه القيمة الاجتماعية الرائعة نتجت عن شخصية الحسين ؓ في بيته؛ لأن الرباب لم تكن لتأسى على زوج سيئ الخلق أو الدين، فمن أراد الوفاء من أسرته لا بد أن يبذل لهم من أخلاقه ومن ماله ما يجعله يسكن قلوبهم، ولو بعد وفاته وغياب رسمه وشخصه.

الموقف الرابع: عن ابن سيرين (أن الحسن بن علي طلق امرأة له وبعث إليها بعشرة آلاف متعة^(٣) لها فقالت: متاع قليل من حبيب

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل الصدقة على العيال.

(٣) المتعة: هو ما يعطي المطلق طليقته بعد الفراق.

مفارق) فراجعها، وعند الدارقطني «فبكي»^(١).

المفهوم: عندما يتم الطلاق لا ينسى الإنسان أن المطلقة كانت يوماً من الأيام سكناً، وكان بينهما من المودة والرحمة، ولعلّ هذا من أسباب المتعة التي شرعها الله: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ وبالغ الحسن في المتعة احترام منه للمطلقة فردت بأنه «متاع قليل» فلما رأى الحسن أنها فضّلت عشرته ورأت أن المال وإن كثر لا يغني عن فراق الحسن ﷺ لم يكن لسليل بيت النبوة إلا أن يراجعها، بل ويبكي، وهذا من حسن العشرة والخلق الجم، ومن لطيف ما يحصل بين الطليق وطليقته، فما بالنا أحلنا الطلاق إلى نار تأكل المجتمع وحرب يزداد أوراها شتماً وقذفاً وتشويهاً للسيرة والأسرار.

الموقف الخامس: عن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ الحسن بن علي ؑ تمر من تمر الصدقة فجعلها في فيه، فقال النبي ﷺ: «كخ كخ». ليطرحها ثم قال: «أما شعرت أنا لا نأكل الصدقة»^(٢).

عن عبدالله بن شداد عن أبيه قال: خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً أو حسيناً، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه ثم كبر للصلاة فصلى فسجد بين ظهراني صلواته سجدة أطلها قال أبي فرفعت رأسي وإذا الصبي على ظهر رسول الله ﷺ

(١) سنن سعيد بن منصور (١٧٦٣)، باب ما جاء في متاع المطلقة، والدارقطني، كتاب النكاح، باب الطلاق والخلع.

(٢) سنن النسائي [جزء ٢ - صفحة ٢٢٩].

وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر أو أنه يوحى إليك. قال: «كل ذلك لم يكن ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته»^(١).

وعن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسن والحسين ﷺ عليهما قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزل فأخذهما فصعد بهما المنبر ثم قال: «صدق الله ﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾ رأيت هذين فلم أصبر» ثم أخذ في الخطبة^(٢).

وعن أبي هريرة الدوسي ﷺ قال: خرج النبي ك في طائفة النهار لا يكلمني ولا أكلمه حتى أتى سوق بني قينقاع ثم انصرف حتى أتى خباء^(٣) فاطمة فقال: «أثم لكع أثم لكع». فحسبته شيئاً فظننت أنها تلبسه سخاباً^(٤) أو تغسله فجاء يشتد حتى عانقه وقبله وقال: «اللهم أحبه وأحب من يحبه»^(٥).

وعن أبي ليلي أنه: كان عند رسول الله ﷺ وعلى بطنه الحسن أو الحسين شك زهير قال: فبال حتى رأيت بوله على بطن رسول الله ﷺ

(١) سنن النسائي، كتاب صفة الصلاة، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة.

(٢) سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب الإمام يقطع الخطبة.

(٣) خباء: الخيمة ويريد هنا بيت فاطمة.

(٤) السخاب: قلادة من طيب أو قرنفل.

(٥) صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين ﷺ.

أساريع قال: فوثبنا إليه، قال: فقال عليه الصلاة والسلام: «دعوا ابني أو لا تفرعوا ابني». قال: ثم دعا بماء فصبه عليه قال: فأخذ تمره من تمر الصدقة قال: فأدخلها في فيه، قال: فانتزعها رسول الله ﷺ من فيه^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: الجد لأم لا تنتهي مسؤوليته بتزويج ابنته، بل إن الرحمة والزيارة والتعلم والملاطفة والملاعبة من رسول الله ﷺ حتى في شأن الصلاة ونزوله عن المنبر وتربيته على أكل الحلال لما أخذ من تمر الصدقة رغم أن الحسن وقتها غير مكلف مما يظهر بجلاء أن ما يقوم به البعض من إهمال أو تساهل في شأن بعض المنكرات من الأبناء حتى بعد البلوغ مخالفة للشريعة ومخالفة لأصول التربية؛ لأنه سوف يستعصي على التربية بعد أن يشتد عوده ولا ننسى أن رسول الله ﷺ قال في شأن الصلاة: «مروهم عليها لسبع واضربوهم عليها لعشر»^(٢).

المفهوم الثاني: معالجة خطأ الأبناء - بهدوء - مثل بول الحسين، ومثل أخذ الحسن تمر الصدقة أدعى للقبول وأنجح للتربية من أسلوب التعنيف والتهديد اللذان لا يلجأ إليهما إلا بعد استيفاء السبل الأخرى.

المفهوم الثالث: حرص فاطمة عليها السلام على إخراج الحسن برائحة

(١) مسند أحمد بن حنبل (١٩٠٨٠) مسند الكوفيين حديث أبي ليلي.

(٢) مسند الإمام أحمد بن حنبل، مسند عبدالله بن عمرو بن العاص (٦٧٥٦).

ومظهر لائق رغم صغره فيه أن المظهر الطيب والرائحة الزكية مطلوبة اجتماعياً وشرعياً حتى لو كان طفلاً صغيراً.

عن عبدالله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: «إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس»^(١).

* * *

(١) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر.

حمزة بن عبد المطلب ﷺ

نبذة عن حياته:

من أوائل المهاجرين سيد الشهداء.


اسمه ونسبه: حمزة بن عبد المطلب ﷺ، عم رسول الله ﷺ، يقال له أسد الرحمن. وأسد رسول الله ﷺ، وعمّه وأخوه من الرضاعة.


كنيته: أبو عمار، كني بابن له يقال له عمار من امرأة من بني النجار.

وقيل: كنيته أبو يعلي كني بابنه يعلي ولم يعقب حمزة.

وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وهي بنت عمّ آمنه بنت وهب أم رسول الله ﷺ، وهو شقيق صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضي الله عنه. وكان حمزة أسن من رسول الله ﷺ بستتين. وقيل بأربع وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة.

إسلامه: أسلم حمزة ﷺ في السنة الثانية من مبعث رسول الله ﷺ، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدرًا، وبارز وأبلى فيها بلاءً عظيمًا، وقاتل بسيفين، قال أبو الحسن المدائني: أول لواء عقده رسول الله ﷺ لحمزة بن عبد المطلب حين بعثه في سرية إلى سيف البحر بكسر السين من أرض جهينة، وخالفه ابن إسحاق فقال: أول لواء عقده لعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب.

وفاته: استشهد يوم أحد في نصف شوال من السنة الثالثة من الهجرة بعد أن قتل واحداً وثلاثين من الكفار، ودفن عند أحد في موضعه، وقبره مشهور يزار، وحزن عليه رسول الله ﷺ والصحابة  (١).

قاتله: قتله وحشي، مولي جبير بن مطعم، وكان طعمة بن عدي قد أصيب يوم بدر، فلما سارت قريش إلى أحد قال جبير لوحشي: إن قتلت حمزة عم محمد فأنت عتيق، فخرج وحشي من الناس فرأى حمزة في عرض الناس مثل الجمل الأورق، يهد الناس بسيفه هدأً، ما يقوم له شيء فدفع وحشي حربته فأصاب حمزة  فقتله.

وقد أسلم وحشي بعد هذا وذهب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة، فلما رآه طلب منه أن يحدثه كيف قتل حمزة، فلما حدثه بذلك قال رسول الله ﷺ: «ويحك! غيب عني وجهك، فلا أرينك» فكان وحشي يتنكب رسول الله ﷺ حيث كان لئلا يراه، حتى قبض رسول الله .

ولما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرج وحشي معهم، وأخذ حربته التي قتل بها حمزة فلما التقى الناس رأى مسيلمة الكذاب قائماً في يده السيف، فتهياً له، وتهياً له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى، كلاهما يريد، فدفع وحشي حربته عليه، فوقعت فيه، وشد عليه الأنصاري فضربه بالسيف، وفي ذلك يقول وحشي: فربك أعلم أينما قتله فإن كنتُ قَتَلْتُهُ فقد قَتَلْتُ خَيْرَ الناس

(١) تهذيب الأسماء واللغات ١/١٦٨، ١٦٩.

بعد رسول الله ﷺ، وقد قَتَلْتُ شَرَّ النَّاسِ (١).

لما وقف رسول الله ﷺ على جثمان عمّه حمزة بن عبد المطلب الذي استشهد في معركة أحد ورأى ما به من تمثيل وتشويه قال: «لن أصاب بمثلك أبداً» ما وقفت موقفاً أغيظ لي من هذا.. رحمة الله عليه.. فإنك كنت ما علمتك فعولاً للخيرات.. وصولاً للرحم.. أما والله لأمثلن بسبعين منهم مكانك.. وشاركه المسلمون في هذا الوعيد.. فأنزل الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ (٢).. فعفا رسول الله ﷺ وصبر، ونهى عن المثلة، وكفر عن يمينه..، وقد تكرر نزول هذه الآيات في هذه الواقعة وفي قصة العرنين، وعن ابن مسعود رضي الله عنه: ما رأينا رسول الله ﷺ باكياً أشد من بكائه على حمزة ؑ، وضعه في القبلة، ثم وقف على جنازته، وانتحب حتى نشق.. أي: شهق، حتى بلغ به الغشي يقول: يا عم رسول الله، وأسد الله وأسد رسول الله.. يا حمزة يا فاعل الخيرات، يا حمزة يا كاشف الكربات، يا حمزة يا مانع عن وجه رسول الله.. وقال ما قال بعد أن كف عن البكاء.. فهو ليس من التَّدب المحرم.. وإنما هو من ذكر محاسن الميت.. أمر رسول الله ﷺ الزبير ؑ أن يرجع أمه

(١) السيرة النبوية ٣/ ٢١ - ٢٣.

(٢) سورة النحل: الآية (١٢٦).

صفية أخت حمزة حتى لا تقع عينها عليه . . فدفعته في صدره وهي تقول: ولم؟ . . وقد بلغني أنه مثل بأخي . . وذلك في الله . . فما أرضاني بما كان في الله من ذلك . . فقال الرسول ﷺ: «خل سبيلها» . . فجاءت واسترجعت، واستغفرت له وهي تبكي . . والرسول يضع يده على صدرها خوفاً على عقلها . . وقال: لولا أن تجزع صفية ونساؤنا لتركنا حمزة ولم ندفنه حتى يحشر من بطون الطير والسباع . . ثم صلى عليه فكبر أربع تكبيرات، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى جنب حمزة: واحداً واحداً . . فيصلي على كل واحد منهم مع حمزة ثم يرفع ويؤتى بآخر فيصلي عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة . . وصلى على حمزة والشهداء من غير غسل لهم (١) .

قال ابن إسحاق: «مر رسول الله ﷺ بدار بني عبد الأشهل فسمع البكاء والنواح على قتلاهم في معركة أحد فذرفت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: لكن حمزة لا بواكي له» .

فلما رجع سعد بن معاذ وأسيد بن حضير إلى دار بني عبد الأشهل أمر نساءهم أن يبكين على عم رسول الله ﷺ، ولكنه ﷺ لما سمع بكاءهن خرج عليهن فقال: «ارجعن يرحمكم الله فقد آسيتن بأنفسكن، ثم نهى رسول الله عن النوح» .

وعن عبادة بن الصامت: «أن رسول الله ﷺ كان يأتي قبور

(١) مشهد حمزة رضي الله عنه ٢٠٣ .

الشهداء بأحد على رأس كل حول فيقول «سلام عليكم بما صبرتم
فنعم عقبى الدار».

من مواقفه الأسرية:

دفاعه عليه السلام عن سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ابن أخيه وأخيه من الرضاعة

عن ابن هشام قال: حدثني رجل من أسلم كان واعية:

أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وآله عند الصفا فأذاه وشتمه، ونال منه
بعض ما يكره من العيب لدينه، والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول
الله صلى الله عليه وآله، ومولاة لعبد الله بن جدعان في مسكن لها تسمع ذلك، ثم
انصرف عنه فعمد إلى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم.

فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب صلى الله عليه وآله أن أقبل متوشحاً
قوسه^(١)، راجعاً من قنص له^(٢)، وكان صاحب قنص يرميه ويخرج
له، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلّم
وتحدّث معهم، وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة فلما مر
بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيته قالت له: يا أبا عمارة:
لو رأيت ما لقي ابن أخيك محمد أنفأ من أبي الحكم^(٣) بن هشام،
وجده ههنا جالساً فأذاه وسبه، وبلغ منه ما يكرهه، ثم انصرف عنه
ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وآله.

(١) أي: متقلداً إياه.

(٢) القنص: الصيد.

(٣) أبو الحكم: كنية أخرى لأبي جهل، واسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبدالله بن
عمر بن مخزوم.

فاحتمل حمزة الغضب لِمَا أراد الله به من كرامته، فخرج يسعى ولم يقف على أحد، معداً لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به، فلَمَّا دخل المسجد نظر إليه جالساً في القوم، فأقبل نحوه حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشججه شجة منكرة، ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول؟ فردّ ذلك عليّ إن استطعت.

فقامت رجال من بني مخزوم لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عماره، فإنني والله قد سببت ابن أخيه سباً قبيحاً، وتمّ حمزة ﷺ على إسلامه، وعلى ما بايع عليه رسول الله ﷺ، فلَمَّا أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله ﷺ قد عَزَّ وامتنع، وأن حمزة سيمنعه فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من هذا الموقف:

المفهوم الأول: إذا أراد الله عزّ وجلّ أمراً هيئاً له أسبابه، وهنا أراد الله سبحانه وتعالى لسيدنا حمزة بن عبدالمطلب ﷺ الصلاح والفلاح والنجاة من النار، فهيئاً لذلك السبب الذي به يترك حياة الشرك ليعتنق الإسلام، فكأن الله عزّ وجلّ سخّر أبا جهل لإيذاء رسول الله ﷺ كي يعتق سبحانه وتعالى رقبة الصحابي الجليل أسد الله حمزة - ﷺ - من النار.

(١) تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام هارون ص ٧١، ٧٢، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان، وانظر البداية والنهاية (٤١/٢).

المفهوم الثاني: في غيرة سيدنا حمزة عليه السلام على ابن أخيه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، وفي حماسه الشديد في الدفاع عنه، وفي ذهابه للملعون أبي جهل في وسط رجاله وأهله بعد حضوره من رحلته التي كان فيها ثم في ضربه رأس أبي جهل بالقوس ضربة أوضحت في رأسه، ثم في تهديده له على مرأى ومسمع من قومه، بل وفي إذلاله له أمام حشد هائل دليل قاطع على حبه الشديد لابن أخيه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله، ودليل على قوة شكيمته، ودليل كذلك على عدم خوفه من أحد، ودليل أيضاً على دفاعه المستميت وبكل قوة عن أهله وأقاربه وذوي رحمه، خاصة تلك الرحم التي كان صلى الله عليه وآله وصلاً لها، فقد أخرج ابن سعد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وقف على حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه حين استشهد، فنظر إلى منظر لم ينظر إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه، ونظر إليه قد مُثِّل به، فقال: رحمة الله عليك، فإن كنت، ما علمتُ وَصُولاً للرحم، فعولاً للخيرات، ولولا حزن من بعدك عليك لسرّني أن أتركك حتى يحشرك الله من أرواح شتى، أما واللّه عليّ ذلك لأمثلنّ بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل عليه السلام والنيبي صلى الله عليه وآله واقفٌ بخواتيم النحل: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾^(١)، فكفّر النبي صلى الله عليه وآله عن يمينه، وأمسك عن الذي أراد، وصبراً^(٢).

وصلة الرحم هذه التي كانت سمة من سمات سيدنا حمزة رضي الله عنه،

(١) سورة النحل: الآية (١٢٦).

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/١٣، ١٤).

وعلامه بارزة في تصرفاته أيام الجاهلية ثم تمسكه بها بعد إسلامه من المعالم الكبرى للإسلام، من توحيد الله، وإقامة الصلاة، والتمسك بالصدق والعفاف، كما أنها من أبرز المعالم وأوضحها في شريعة هذا الدين يشهد لذلك ما يلي:

١ - عندما هاجر الصحابة ﷺ أجمعين هجرتهم الأولى إلى الحبشة في السنة الخامسة للبعثة النبوية عزّ على المشركين أن يجد المهاجرون مأمناً لأنفسهم ودينهم، فأرسلوا للنجاشي ملك الحبشة عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة كي يُخَصِّرَ المهاجرين إلى مكة ثانية، فاستدعى النجاشي المسلمين ليسألهم عن الدين الذي فارقوا فيه قومهم، فردّ عليه جعفر بن أبي طالب وكان هو المتكلم عن المسلمين قائلاً: أيها الملك كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل متا القوي الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً متاً نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه، من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار^(١)... إلخ.

٢ - في حديث عمرو بن عَبَسَةَ ﷺ الطويل المشتمل على جملة من

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٢٠٢/١، ٢٠٣) ورجاله رجال الصحيح، انظر جمع الزوائد (٢٤/٦، ٢٥).

قواعد الإسلام وآدابه، قال فيه: أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بُعث وهو بمكة، وهو حينئذ مختف، فقلت: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، قلت: وما نبي؟ قال: «رسول الله ﷺ»، قلت: بم أرسلك؟ قال: «بأن يُعبد الله، وتكسر الأوثان، وتُوصل الأرحام بالبر والصلة»^(١).

٣ - ويشهد لذلك كذلك أنه لما سُلمت رسالة الرسول ﷺ لهرقل التي دعاه فيها إلى الإسلام، استدعى من يعرف الرسول ﷺ، ثم سألهم: أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ يقصد رسول الله ﷺ فقال له أبو سفيان - وكان مشركاً في ذلك الوقت - أنا أقربهم نسباً، فسأله هرقل عدّة أسئلة وكان منها قوله له: فماذا يأمركم به نبيكم؟ فأجابه أبو سفيان: يقول «اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آبائكم، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة»^(٢) أي: صلة الرحم.

المفهوم الثالث: التفكير العقلي السليم يهدي صاحبه إلى الحق:

إنّ الإسلام في أمر العقيدة والوصول إلى الله فتح الأبواب للعقل على مصاريعها لكي يرتب المقدمات؛ ليصل إلى نتائج سليمة فحينما دعا الإسلام الناس إلى الدخول في الإسلام دعاهم إلى استعمال

(١) رواه الحاكم في المستدرک (١٤٩/٤) وصححه هو والذهبي.

(٢) فتح الباري (١٢٧/٨، ١٢٨).

العقول للموازنة بين الحق والباطل ؛ ليصلوا من وراء ذلك إلى الاعتقاد الحق في الله عز وجل ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾^(١) .
فسيدنا حمزة ﷺ يضرب لنا المثل للتفكير الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان كي يصل إلى الله ولم يكن إسلامه حمية ؛ لشرف بني هاشم كما يظهر من الخبر، وإنما سبقه تفكير وروية حتى جاءت اللحظة التي كُشِفَ فيها الران عن الفطرة السليمة التي يتمتع بها حمزة ﷺ .

المفهوم الرابع : الاستعانة بأهل الحق على الشيطان حتى لا يصرفه عن الحق :

الإنسان خُلِقَ في هذا الكون لغاية من أعظم الغايات وهي عبادة الله ؛ وعمارة الأرض بمنهجه، وله بذلك السعادة الدنيوية والأخروية ولكن عدو الإنسان يحاربه حتى يثنيه عن تلك الغاية قال تعالى : ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾^(٢) فهو في صراع معه إلى يوم القيامة، ولكي لا يغوي الشيطان الإنسان ويفترسه لابد له من الإستعانة بالصالحين، ولقد كان سيدنا حمزة ﷺ قدوة في ذلك، فقد روي عن إسحاق : «أنه لما رجع حمزة إلى بيته أتاه الشيطان فقال : أنت سيد قريش اتبعت الصابئ وتركت دين آبائك، لَلْمَوْتُ خَيْرٌ لَكَ مِمَّا صَنَعْتَ . فأقبل حمزة على نفسه وقال : ما صَنَعْتُ اللَّهْمُ إِنْ كَانَ رَشْدًا فَاجْعَلْ تَصَدِيقَهُ فِي قَلْبِي، وَإِلَّا فَاجْعَلْ

(١) سورة الطور: الآية (٣٥).

(٢) سورة ص: الآيتين (٨٢، ٨٣).

لي مما وقعت فيه مخرجاً، فبات بليلة لم يبت بمثلها من وسوسة الشيطان، حتى أصبح فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي إنِّي قد وقعت في أمر ولا أعرف المخرج منه، وإقامة مثلي على ما لا أدري ما هو أرشد أم هو غي شديد؟ فحدثني حديثاً اشتهيت يا ابن أخي أن تحدثني، فأقبل رسول الله ﷺ فذكره ووعظه وخوفه وبشره فألقى الله في قلبه الإيمان بما قال رسول الله ﷺ، فقال: أشهد أنك الصادق شهادة الصدق، فأظهر يا ابن أخي دينك فوالله ما أحب أن لي ما أظلته السماء وإنِّي على ديني الأول، فكان حمزة رضي الله عنه ممن أعزَّ الله به الدين^(١).

* * *

(١) البداية والنهاية، ابن كثير، ج ٤١/٢، ٤٢ وقال: ورواه البيهقي في سننه عن الحاكم.

خالد بن الوليد

نبذة عن حياته:

سيف من سيوف الله تعالى، وفارس الإسلام، وليث المشاهد، الإمام الأمير الكبير، قائد المجاهدين، هاجر مسلماً في صفر سنة ثمان، ثم سار غازياً، فشهد غزوة مؤتة، واستشهد أمراء رسول الله ﷺ الثلاثة: مولاه زيد، وابن عمه جعفر ذو الجناحين، وابن رواحة، وبقي الجيش بلا أمير، فتأمر عليهم في الحال خالد، وأخذ الراية، وحمل على العدو، فكان النصر، وسماه النبي ﷺ سيف الله فقال: إِنَّ خالداً سيفٌ سلَّه اللهُ على المشركين، وشهد فتح مكة، وحُنيناً، وتأمَّر في أيام النبي ﷺ، وحارب أهل الردة ومُسيِّمَةَ وهزمهم، وغزا العراق، وشهد حروب الشام، وأمره الصديق بالمشير إلى الشام، وأمره على سائر أمراء الأجناد، وحاصر دمشق فافتتحها هو وأبو عبيدة، ولم يبق في جسده قيد شبرٍ إلا وعليه طابع الشهداء، ومناقبه غزيرة، واحتبس أذراعه ولأمته في سبيل الله، وكان له بلاء وإقدام في سبيل الله، حتى توفي رحمه الله بحمص سنة إحدى وعشرين^(١).

نسبه: هو خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي، أبو سليمان.

(١) الطبقات الكبرى (٣٩٧/٧)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٦/١، ٣٦٧).

وأمة لبابة الصغرى بنت الحارث بن حرب الهلالية، وهي أخت لبابة الكبرى زوج العباس بن عبد المطلب، وهما أختا ميمونة بنت الحارث زوج النبي ﷺ (١).

وضعه في الجاهلية :-

كان خالد أحد أشرف قريش المشهورين بالشجاعة والشرف والرياسة في الجاهلية، وإليه كانت القبة والأعنة في الجاهلية، فأما القبة فإنهم كانوا يضربونها ثم يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش، وأما الأعنة فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحروب. ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون في مقدمتها (٢).

(١) التاريخ الكبير، للبخاري (٣/١٣٦)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٧/٣٩٤)، و(٨/٢٧٩)، والطبقات، لخليفة بن خياط (١/١٩)، والثقات (٣/١٠١، ١٠٢)، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي (٣/٣٥٦)، ومشاهير علماء الأمصار (١/٣١)، والمستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٦)، والاستيعاب، لابن عبد البر (٢/٤٢٧)، و(٤/١٩٠٩)، ورجال صحيح البخاري، للكلاباذي (١/٢٢١)، ورجال مسلم، لابن منجويه (١/١٨٢)، والتعديل والتجريح، للباجي (٢/٥٤٩)، والآحاد والمثاني (٢/٢٤)، وصفة الصفوة، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي (١/٦٥٠)، وتهذيب الكمال، للمزي (٨/١٨٧)، وتهذيب الأسماء، للنووي (١/١٧٤)، و(٢/٦١٨)، وسير أعلام النبلاء، للذهبي (١/٣٦٦)، ومجمع الزوائد، للهيثمي (٩/٣٤٨)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٥١)، وتهذيب التهذيب، لابن حجر (٣/١٠٧)، وإسعاف المبطل، للسيوطي: ص (٩).

(٢) الاستيعاب (٢/٤٢٧)، وتهذيب الأسماء (١/١٧٥).

إسلامه :-

اختلف في وقت إسلامه وهجرته :-

والأكثرون على أنه قَدِمَ المدينة على رسول الله ﷺ (قبيل فتح مكة)^(١) في صفر سنة ثمان مهاجراً، وأسلم بين يديه، وبايعه، هو وعمرو بن العاص، وعثمان بن طلحة^(٢).
وقيل في تاريخ إسلامه غير ذلك^(٣).

حُبّه للجهاد ووصيته :-

- عن قيس بن أبي حازم قال: قال خالد بن الوليد: «ما ليلة تهدي إلى بيتي فيها عروس أنا لها محبّ، أو أبشر فيها بغلام بأحبّ إليّ من ليلة شديدة الجليد في سرية من المهاجرين أصبح بها العدو»^(٤).

(١) ذكر الهيثمي ذلك في أثر طويل عن عمرو بن العاص في قصة إسلامه، وقال بعده: رواه أحمد والطبراني ورجالهما ثقات. راجع: مجمع الزوائد (٩/٣٥٠، ٣٥١).
(٢) انظر: المستدرک على الصحيحین (٣/٣٣٧، ٥١٤)، والطبقات الكبرى، لابن سعد (٤/٢٥٢)، و(٧/٣٩٤، ٣٩٥)، وصفة الصفوة (١/٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢). وسير أعلام النبلاء (١/٣٦٦)، وتاريخ الإسلام، للذهبي (١/٤٤٣ - ٤٤٥)، وتهذيب الكمال (٨/١٨٨)، وتهذيب التهذيب (٣/١٠٧)، وإسعاف المبطع، للسيوطي: ص (٩).

(٣) انظر: المستدرک على الصحيحین (٣/٣٣٦، ٣٣٧)، وتهذيب الكمال (٨/١٨٨).
(٤) مجمع الزوائد (٩/٣٥٠)، وقال الهيثمي: «رواه أبو يعلى، ورجاله رجال الصحيح». وأخرجه ابن أبي شيبة في: المصنف (٤/٢١٤)، وابن حبان في: الثقات (٣/١٠١)، (١٠٢)، وانظر: سير أعلام النبلاء (١/٣٧٥)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٥٤).

- وعن أبي وائل قال: «لما حضر خالد بن الوليد الوفاة قال: لقد طلبت القتل فلم يُقدَّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي أرجى من لا إله إلا الله وأنا مترس بها. ثم قال: إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي فاجعلوه عدّة في سبيل الله»^(١).

- وعن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل قال: لما احتضر خالد بن الوليد قال: لقد طلبت القتل مظانه فلم يُقدَّر لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عملي شيء أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بُتُّها وأنا مترس بترسي، والسماء تهلبيني، تنتظر الصبح حتى تُغيّرَ على الكفار. ثم قال: إذا أنا مت فانظروا سلاحي وفرسي، فاجعلوها عدّة في سبيل الله عز وجل»^(٢).

- وعن أبي الزناد: إن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى وقال: «لقيت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبرٌ إلا وفيه ضربة بسيف أو طعنة برمح، وهأنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت العير، فلا نامت أعين الجبناء»^(٣).

(١) المعجم الكبير: للطبراني (١٠٦/٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، وإسناده حسن: مجمع الزوائد (٣٥٠/٩).

(٢) أخرجه أبو بكر القرشي في: مكارم الأخلاق (٦٢/١)، وابن المبارك في: الجهاد: ص (٥٥)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٣٨١/١). وقوله: (والسماء تهلبيني) أي: تجودني وتمطرني. يقال: يوم هلاب إذا كان مطره شديداً. انظر: غريب الحديث للخطابي (٢/٣٧٨).

(٣) الاستيعاب (٤٣٠/٢)، وصفة الصفوة (٦٥٤/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٨٢/١)، وتهذيب الكمال (١٨٩/٨)، وتهذيب التهذيب (١٠٧/٣).

فضله :-

- عن عمرو بن العاص قال: «ما عدل رسول الله ﷺ بي وبخالد بن الوليد أحداً منذ أسلمنا في حربه»^(١).

- وقال الزبير بن بكار وغيره: كان خالد هو المقدم على خيول قريش في الجاهلية، ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله ﷺ أعنة الخيل فيكون في مقدمتها^(٢).

- وعن الزهري قال: كان عبد الرحمن بن أزهر يحدث أن خالد بن الوليد خرج مع رسول الله ﷺ يوم حنين فكان على خيل رسول الله...^(٣).

- وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى زَيْدًا وَجَعْفَرًا وَابْنَ رَوَاحَةَ لِلنَّاسِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُمْ خَبْرُهُمْ، فَقَالَ: «أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ جَعْفَرٌ فَأَصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَ ابْنُ رَوَاحَةَ فَأَصِيبَ - وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ - حَتَّى أَخَذَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ»^(٤).

- وعن عبد الله بن جعفر أن رسول الله ﷺ لما نعى أهل مؤتة

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط والكبير ورجاله ثقات. مجمع الزوائد (٩/٣٥٠).

(٢) تهذيب الأسماء (١/١٧٥)، وتهذيب التهذيب (٣/١٠٧).

(٣) صحيح ابن حبان (١٥/٥٦٤).

(٤) صحيح البخاري (٣/١٣٧٢) ك. فضائل الصحابة - باب مناقب خالد بن الوليد ﷺ. و: ك. المغازي.

قال: «ثم أخذ الراية سيف من سيوف الله خالد بن الوليد، ففتح الله عليه»^(١).

- وعن أنس بن مالك قال: نعى رسول الله ﷺ أهل مؤتة على المنبر، ثم قال: «فأخذ اللواء خالد بن الوليد، وهو سيف من سيوف الله»^(٢).

- وعن عبد الله بن أبي أوفى أن رسول الله ﷺ قال: «لا تؤذوا خالدًا؛ فإنه سيف من سيوف الله صبه على الكفار»^(٣).

- وعن وحشي بن حرب أن أبا بكر ﷺ عقد لخالد بن الوليد على قتال أهل الردة، وقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نعم عبد الله وأخو العشيرة خالد بن الوليد سيف من سيوف الله سلّه الله على الكفار والمنافقين»^(٤).

- وعن خالد بن الوليد قال: «لقد انقطعت في يدي يوم مؤتة تسعة أسياف، فما بقي في يدي إلا صفيحة يمانية»^(٥).

(١) المستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومجمع الزوائد (٩/٣٤٩)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وهو إمام ثبت.

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٨)، وقال الحاكم: هذا حديث عال صحيح ولم يخرجاه.

(٣) المستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٨)، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ومجمع الزوائد (٩/٣٤٩)، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الصغير والكبير باختصار والبخاري بنحوه، ورجال الطبراني ثقات.

(٤) مجمع الزوائد (٩/٣٤٨)، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني بنحوه ورجالهما ثقات.

(٥) صحيح البخاري، ك. المغازي - باب غزوة مؤتة من أرض الشام. وصحيح ابن حبان (٥٦٣/١٥).

- وعن أبي السفر قال: «نزل خالد بن الوليد الحيرة على أمير بني المرازبة، فقالوا له: احذر السم، لا تسقيكه الأعاجم. فقال: ائتوني به. فأتي به، فأخذه بيده ثم اقتحمه، وقال: بسم الله، فلم يضره شيئاً»^(١).

- وروى ابن أبي الدنيا بإسناد صحيح عن خيثمة قال: أتى خالد بن الوليد رجلاً معه زق خمر، فقال: اللهم اجعله عسلاً. فصار عسلاً. وفي رواية له من هذا الوجه مرَّ رجل بخالد ومعه زق خمر فقال: ما هذا؟ قال: خل. قال: جعله الله خلًا. فنظروا فإذا هو خل وقد كان خمرًا^(٢).

- وعن جعفر بن عبد الله بن الحكم أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك؛ فقال: اطلبوها. فلم يجدوها. فقال: اطلبوها. فوجدوها فإذا هي قلنسوة خلقة. فقال خالد: اعتمر رسول الله ﷺ فحلقت رأسه؛ فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته، فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر^(٣).

(١) قال الهيثمي: رواه أبو يعلى، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، وهو مرسل، ورجالهما ثقات إلا أن أبا السفر وأبا بردة بن أبي موسى لم يسمعا من خالد والله أعلم. مجمع الزوائد (٣٥٠/٩).

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة (٢٥٤/٢).

(٣) قال الهيثمي: رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا. مجمع الزوائد (٣٤٩/٩).

سبب عزل عمر له :

أنه كان ينكر منه أشياء منها: تقدمه على أبي بكر رضي الله عنه بفعل أشياء دون الرجوع إليه، وإحراقه بعض المرتدين، وقتله بعضهم الآخر ممن اختلف كلام جنوده في بقائهم على الإسلام أو ارتدادهم، مرجحاً قول من أكدوا ارتدادهم، ومنهم مالك بن نويرة الذي تزوج إمرأته بعد انقضاء عدتها، لكن كل هذه الأشياء كانت اجتهاداً منه لذلك لم يعزله أبو بكر رضي الله عنه .

- عن ناشرة بن سمي اليزني قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجابية وهو يخطب: وإني أعتذر إليكم من عزل خالد بن الوليد، فإني أمرته أن يحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا البأس وذا الشرف وذا اللسان؛ فعزلته، ووليت أبا عبيدة بن الجراح^(١) .

- وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قال عمر لأبي بكر: تدع خالداً بالشام ينفق مال الله؟ قال: فلما توفي أبو بكر قال أسلم: سمعت عمر يقول: كذبت الله إن كنت أمرت أبا بكر بشيء لا أفعله؛ فكتب إلى خالد، فكتب خالد إليه لا حاجة لي بعملك. فولى أبا عبيدة^(٢) .

(١) قال الهيثمي: رواه أحمد، والطبراني بنحوه، ورجالهما ثقات: مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٧٩).

- وعن الزبير بن بكار قال: كان خالد إذا صار إليه المال قسمه في أهل الغنائم ولم يرفع إلى أبي بكر حساباً، وكان فيه تقدم على أبي بكر يفعل أشياء لا يراها أبو بكر؛ أقدم على قتل مالك بن نويرة، ونكح امرأته؛ فكره ذلك أبو بكر، وعرض الدية على متمم بن نويرة، وأمر خالداً بطلاق امرأة مالك، ولم ير أن يعزله، وكان عمر ينكر هذا وشبهه على خالد^(١).

- قال الزبير: ولما حضرت خالداً الوفاة أوصى إلى عمر، فتولى عمر وصيته وسمع راجزاً يذكر خالداً فقال: رحم الله خالداً، فقال له طلحة بن عبيد الله:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي فقال عمر: إني ما عتبت على خالد إلا في تقدمه وما كان يصنع في المال^(٢).

- وعن هشام بن عروة عن أبيه قال كان في بني سليم ردة، فبعث أبو بكر إليهم خالد بن الوليد، فجمع رجالاً منهم في الحظائر ثم أحرقهم، فقال عمر لأبي بكر: أتدع رجلاً يعذب بعذاب الله؟ قال: والله لا أشيم سيفاً سله الله على عدوه، ثم أمره فمضى إلى مسيلمة.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٢٥٥).

(٢) السابق.

وفي رواية عن عاصم بن عمر بن قتادة وحظلة بن علي الأسلمي في حديث الردّة: ثم أوقع بأهل بزاخة وحرقتهم لكونه بلغه عنهم مقالة سيئة شتموا النبي ﷺ، ومضى إلى الإمامة فقتل مسيلمة^(١).

- قال ابن عبد البر: أمره أبو بكر الصديق على الجيوش ففتح الله عليه الإمامة وغيرها، وقتل على يده أكثر أهل الردة منهم مسيلمة ومالك بن نويرة.

وقد اختلف في حال مالك بن نويرة، فقيل: إنه قتله مسلماً لظن ظنه به، وكلام سمعه منه، وأنكر عليه أبو قتادة قتله، وخالفه في ذلك. وقيل: بل قتله كافراً^(٢).

- وعن سالم عن أبيه قال: قدم أبو قتادة على أبي بكر فأخبره بقتل مالك بن نويرة وأصحابه فجزع، وكتب إلى خالد فقدم عليه فقال أبو بكر: هل تزيدون على أن يكون تأول فأخطأ، ثم رده وودى مالكا، ورَدَّ السبي والمال.

- وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: شهد قوم من السرية أنهم أذنوا وأقاموا وصلوا. وشهد آخرون بنفي ذلك فقتلوا، وقدم أخوه متمم بن نويرة ينشد الصديق دمه ويطلب السبي، فكتب إليه برد السبي وألح عليه عمر في أن يعزل خالداً، وقال إن في سيفه رهقا. فقال: لا يا عمر، لم أكن لأشيم سيفاً سله الله على الكافرين^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٢، ٣٧٨).

(٢) الاستيعاب (٢/٤٢٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٦، ٣٧٧).

- وعن محمد بن جعفر بن الزبير وغيره أن خالدًا بث السرايا فأتي بمالك فاختلف قول الناس فيهم وفي إسلامهم، فأمر بهم خالد فضربت أعناقهم، فقام أبو قتادة فناشده فيهم، فلم يلتفت إليه، فركب أبو قتادة فرسه، ولحق بأبي بكر، وحلف لا أسير في جيش وهو تحت لواء خالد، وقال ترك قولي وأخذ بشهادة الأعراب الذين فتنهم الغنائم^(١).

ثناء عمر عليه :-

أخرج الحاكم بسنده عن أبي وائل قال: قيل: لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن نسوة من بني المغيرة قد اجتمعن في دار خالد بن الوليد يبكين، وإنا نكره أن يؤذيناك؛ فلو نهيتهن. فقال عمر: «ما عليهن أن يهرقن من دموعهن سجلاً أو سجلين ما لم يكن نقع ولا لقلقة». يعني بالنقع اللطم، وباللقلقة الصراخ^(٢).

- وعن نافع قال: لما مات خالد بن الوليد لم يدع إلا فرسه وسلاحه وغلामه، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب رحمه الله، فقال: يرحم الله أبا سليمان؛ كان على غير ما ظننا به^(٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٧٨).

(٢) المستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٦)، ك. معرفة الصحابة - ٩٩ ذكر مناقب خالد بن الوليد رضي الله عنه، وانظر: الاستيعاب (٢/٤٣٠)، وصفة الصفوة (١/٦٥٥)، وسير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٣) الطبقات الكبرى (٧/٣٩٧)، وسير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

- وعن ثعلبة بن أبي مالك قال: رأيت عمر بقباء، وإذا حجاج من الشام، قال: من القوم؟ قالوا: من اليمن، ممن نزل حمص، ويوم رحلنا منها مات خالد بن الوليد؛ فاسترجع عمر مراراً، ونكس، وأكثر الترحم عليه، وقال: كان والله سداداً لنحر العدو، ميمون النقيبة. فقال له عليّ: فَلِمَ عزلته؟! قال: عزلته لبذله المال لأهل الشرف وذوي اللسان. قال: فكنت عزلته عن المال، وتركه على الجند. قال: لم يكن ليرضى. قال: فهلا بلوته^(١).

وعن أبي علي الحرمازي: دخل هشام بن البختري في ناس من بني مخزوم على عمر بن الخطاب، فقال له: يا هشام، أنشدني شعرك في خالد بن الوليد. فأنشده، فقال: قَصَّرتَ في الثناء على أبي سليمان رحمه الله، إن كان ليحب أن يذل الشرك وأهله، وإن كان الشامت به لمتعرضاً لمقت الله. ثم قال عمر: قاتل الله أخا بني تميم ما أشعره: فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى تهباً لأخرى مثلها فكأن قد فما عيش من قد عاش بعدي بنافعي ولا موت من قد مات قبلي بمخلدي ثم قال: رحم الله أبا سليمان، ما عند الله خير له مما كان فيه، ولقد مات فقيراً، وعاش حميداً^(٢).

ثناؤه على سيرة عمر، ووصيته له: -

- عن محمد بن عبد الله الديباج: لما عزله عمر بن الخطاب لم


(١) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٣).

(٢) تهذيب الكمال (٨/١٨٩، ١٩٠).

يزل مرابطاً بحمص حتى مرض، فدخل عليه أبو الدرداء عائداً فقال: «إن خيلي وسلاحي على ما جعلته في سبيل الله عز وجل، وداري بالمدينة صدقة قد كنت أشهدت عليها عمر بن الخطاب، ونعم العون هو على الإسلام، وقد جعلت وصيتي وإنفاذ عهدي إلى عمر «فقدم بالوصية على عمر، فقبلها وترحم عليه»^(١).

- وفي رواية عن محمد بن عبد الله الدياج قال: لم يزل خالد مع أبي عبيدة حتى توفي أبو عبيدة، واستخلف عياض بن غنم، فلم يزل خالد مع عياض حتى مات، فانعزل خالد إلى حمص، فكان ثمَّ، وحبس خيلاً وسلاحاً فلم يزل مرابطاً بحمص حتى نزل به، فعاده أبو الدرداء، فذكر له أن خيله التي حبست بالشعر تelf من مالي وداري بالمدينة صدقة، وقد كنت أشهدت عليها عمر. والله يا أبا الدرداء لئن مات عمر لترين أموراً تنكرها^(٢).

وفاته:-

مات خالد بن الوليد بمدينة حمص بالشام، ودفن في قرية على ميل منها سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب ^(٣).

(١) صفة الصفوة (١/٦٥٤)، وسير أعلام النبلاء (١/٣٨٢).

(٢) سير أعلام النبلاء (١/٣٨٢).

(٣) الطبقات الكبرى (٧/٣٩٧)، والطبقات لخليفة بن خياط (١/١٩)، ورجال صحيح البخاري (١/٢٢١)، ورجال مسلم (١/١٨٢)، والثقات: (٢/٢٢٤)، (٣/١٠١)، ومشاهير علماء الأمصار (٣١/١)، والمستدرک علی الصحیحین (٣/٣٣٦)، =

وقيل: توفي بالمدينة النبوية، قال النووي: والصحيح الأول.
وقال الذهبي: قلت: الصحيح موته بحمص^(١).

من المواقف الأسرية في حياة خالد بن الوليد رضي الله عنه

الموقف الأول: أكله عند خالته ميمونة

- عَنْ أَبِي أَمَامَةَ بْنِ سَهْلٍ بِنْتِ حُنَيْفِ الْأَنْصَارِيِّ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ، أَنَّ خَالَدَ بْنَ الْوَلِيدِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ سَيْفُ اللَّهِ أَخْبَرَهُ، أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَيْمُونَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ وَهِيَ خَالَتُهُ وَخَالَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ، فَوَجَدَ عِنْدَهَا ضَبًّا مَحْنُودًا، قَدِمَتْ بِهِ أُخْتُهَا حُفَيْدَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ مِنْ نَجْدٍ، فَقَدِمَتْ الضَّبَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ قَلَمًا يُقَدَّمُ إِلَيْهِ طَعَامٌ حَتَّى يُحَدِّثَ بِهِ وَيَسْمَى لَهُ، فَأَهْوَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ إِلَى الضَّبِّ، فَقَالَتْ امْرَأَةٌ مِنَ النُّسُورَةِ الْحُضُورِ أَخْبَرَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَا قَدِمْتَنَ لَهُ. قُلْنَ هُوَ الضَّبُّ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، فَقَالَ خَالَدُ بْنُ الْوَلِيدِ أَحْرَامُ الضَّبِّ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «لَا

= والاستيعاب (٤٣/٢)، والآحاد والمثاني (٢٤/٢)، ومولد العلماء ووفياتهم، لمحمد ابن عبدالله الربيعي (١٠٨/١)، وصفة الصفوة (٦٥٤/١)، وتهذيب الكمال (١٨٩/٨)، وسير أعلام النبلاء (٣٦٧/١)، والإصابة في تمييز الصحابة (٢٥٥/٢)، وتهذيب التهذيب (١٠٧/٣)، وإسعاف المبطل: ص (٩)، وتحفة الأحوذى، للمباركفوري (٢٣٢/١٠).

(١) تهذيب الأسماء (١٧٥/١)، وسير أعلام النبلاء (٣٨٤/١).

وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ». قَالَ خَالِدٌ فَاجْتَرَزْتُهُ فَأَكَلْتُهُ
وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ فَلَمْ يَنْهَنِي (١).

- وعن أبي سلمة قال: حدثني فاطمة بنت قيس أن أبا عمرو بن حفص طلقها ثلاثاً وأمر لها بنفقة، واستقلتها، وكان رسول الله ﷺ بعثه نحو اليمن، فانطلق خالد بن الوليد في نفر من بني مخزوم إلى رسول الله ﷺ - وهو في بيت ميمونة - فقال: يا رسول الله، إن أبا عمرو بن حفص طلق فاطمة ثلاثاً فهل لها نفقة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس لها نفقة ولا سكنى. فأرسل إليها رسول الله ﷺ أن تنتقل إلى أم شريك، ثم أرسل إليها أن أم شريك يأتيها المهاجرون الأولون؛ فانقلي إلى بيت ابن أم مكتوم، فإنك إن وضعت خمارك لم يرك، وأرسل إليها لا تسبقيني بنفسك، فزوجها رسول الله ﷺ من أسامة بن زيد» (٢).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :-

صلة الرحم: في هذين الموقفين نجد الترابط الأسري الحاصل بين خالد بن الوليد ﷺ وبين أقاربه ورحمه، فكان ﷺ واصلاً

(١) صحيح البخاري: ك. الأطعمة (٩) باب ما كان النبي ﷺ لا يأكل حتى يسمى له فيعلم ما هو، وصحيح مسلم. ك. الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان - باب إباحة الضب، وصحيح ابن حبان (٦٩/١٢) ذكر الإباحة للمرء أكل الضباب ما لم يتقدرها، والآحاد والمثاني (٢٨/٢)، والمسند لأبي بكر الحميدي (/٢٢٥).

(٢) صحيح ابن حبان: . الرضاع - ذكر العلة التي من أجلها أمر ﷺ فاطمة بنت قيس أن تعتد في بيت ابن أم مكتوم، ومسند أبي عوانة: . الطلاق (١٧٦/٣/٢).

رحمه، ممثلاً أوامر الدين بصلة الرحم، ففي الموقف الأول كانت زيارته لخالته ميمونة رضي الله عنها، وأكله عندها من طعام أهدته خالته الأخرى أم حفيد رضي الله عنها، ومن هنا يظهر كيف كانت عرى القرابة موصولة في ذلك العهد النبوي الشريف في إهداء الأخت لأختها طعاماً، وإطعام الخالة لابن أختها الذي كان يصلها بالزيارة، ويبدو أنه كان دائم الزيارة لها ويتحین زيارتها وسؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عما يريد معرفته في اليوم الذي يكون فيه الرسول صلى الله عليه وسلم عندها بدليل الموقف الثاني الذي ذهب فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عندها، يسأله عن نفقة فاطمة بنت قيس على أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، وهو ابن عم خالد، مما يدل أيضاً على مدى ارتباطه بأسرته ومشاركتهم في حل مشاكلهم، وحرصه على أداء ما على ابن عمه أبي عمرو المسافر إلى اليمن من حق إن وجد. وهو في كل ما سبق ممثلاً لأوامر الدين الإسلامي بصلة الأقارب، والوصية بالخالات، وأن بر الخالة بعد بر الأم في الثواب ومحو الذنوب على ما جاءت الرواية به:

فَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ ذَنْبًا عَظِيمًا فَهَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمَّ». قَالَ: لَا. قَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ خَالَةٍ». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَبَرِّهَا»^(١).

كما أن صلة الرحم من أكد أوامر الدين، ولواصلها خير وثواب

(١) سنن الترمذي: ك. البر والصلة.

عظيم، ومن الأعمال التي تدخل الجنة على ما بينته الأحاديث النبوية ومنها:

- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ فَأَخَذَتْ بِحَفْوِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ لَهَا: مَهْ. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِدِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكَ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكَ. قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَاكَ لِكَ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ أَفْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطُّعُوا أَرْحَامَكُمْ) ^(١).

- عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعْبُدُ اللَّهَ لَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ» ^(٢).

الموقف الثاني: صلته وأخته واستشارتها:

عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام أن خالد بن الوليد استشار أخته في شيء فأشارت فقبَّل رأسها ^(٣).

(١) صحيح البخاري: ك. التفسير رقم ٤٥٥٢.

(٢) صحيح البخاري: ك. الأدب، و: . الزكاة.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة بسنده (حدثنا الفضل بن دكين، عن عبد الواحد بن أنس، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام) مصنف ابن أبي شيبة: ك. الطلاق - ما قالوا في الرجل يُقبَّل ابنته أو أخته (٤/٤٨).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :-

صلة الرحم، وحسن معاملة الأخت، والرفق بها، وإكبارها:

وهذا الموقف أيضاً يؤكد الموقفين السابقين في كون خالد بن الوليد رضي الله عنه كان شديد الحرص على صلة رحمه، والامثال لأوامر الدين بصلة الرحم بعيداً كل البعد عن أن يكون مقصراً أو قاطعاً لها. ويُضاف إلى ذلك هنا الحرص على الرفق والحنو على أخته ومراعاة طبيعة النساء في حاجتهن إلى الرفق بهنّ؛ لأن هذا مما يزيد في المودة والرحمة والصحة النفسية لهن حينما يشعرن أن هناك من يحبهن من أهلهنّ ويحنو عليهن، فيزيد الترابط الأسري والإحساس بالأمان.

كما أن في استشارته أخته تقدير لها وإكبار، وحرص على إظهار محبته لها، وأنه يثق فيها وفي رأيها، وهذا مما يزيد المحبة والمودة بينه وبين أخته، كما تظهر استشارته هذه أن المرأة في الصدر الأول للإسلام كان لها كيانها واحترامها، ولم تكن كمّاً مهملاً لا قيمة له في المجتمع الإسلامي، كما يظن بعض الناس في العصور المتأخرة، ممن لا يعرفون كيف يفهمون تاريخ الإسلام وتعاليمه.

فمع جلالة قدر خالد بن الوليد بين الرجال، وكونه خبيراً بأمر الحرب، متمرساً في إدارة ومواجهة شدائد الحروب يذهب إلى أخته ويستشيرها ويطلب رأيها، وهذا مما يجعل أخته تسعد بذلك ويزيد في حبّها ومودتها له، ولم يستهجن أو يقلل من قيمة مشورتها كما هو الحال عند أغلب من يكونون في مثل منزلته في

الرجال، وإنما قبلها إشارة إلى رضاه بمشورتها، وبياناً لحسن منزلتها عنده، فإلى ليت الناس يتعلمون ويقتدون برسول الله ﷺ وبصحابته رضوان الله عليهم في حسن معاملة النساء.

الموقف الثالث: حرصه على جلب ما يحب لأهله

عن الحسن قال: أهدى أكيدر دومة الجندل إلى رسول الله ﷺ جرة فيها المن الذي رأيتم، وبالنبي ﷺ وأهل بيته يومئذ والله إليها حاجة، فلما قضى الصلاة أمر طائفاً فطاف بها على أصحابه فجعل الرجل يدخل يده فيستخرج فيأكل فأتى على خالد بن الوليد فأدخل يده فقال يا رسول الله أخذ القوم مرة وأخذت مرتين فقال: «كل وأطعم أهلك»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:-

المفهوم الأول:-

تحمل الرجل مسؤولية رعاية الأسرة؛ لأنه عن ذلك مسؤول أمام الله تعالى: ففي فعل خالد ﷺ حرص بين على تحمّل مسؤولية أسرته، ورعايتهم حقّ الرعاية، ودلالة واضحة على أن هذه المسؤولية راسخة في ذهنه يذكرها دائماً ولا ينساها، حتى أصبحت طبعاً فيه يريد دائماً الوفاء بما عليه تجاهها؛ لأنه يعلم أنه مسؤول عن ذلك أمام الله تعالى، ومطبّقاً فعلياً حديث الرسول ﷺ: «كُلُّكُمْ

(١) أخرجه ابن جرير الطبري بسنده (ثنا ابن بشار، ثنا أبو عامر، ثنا قرّة، عن الحسن) تهذيب الآثار: (٣/٢١٢).

رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالْإِمَامُ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنِ رَعِيَّتِهَا، وَالْحَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ». قَالَ فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^(١).

وفي رواية أخرى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ فَمَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالْأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلَا فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ»^(٢).

المفهوم الثاني: الحرص على الوفاء بحقوق الزوجة:-

ومن هذه الحقوق إطعام الزوجة إذا طعم، ففي حرصه على أخذ طعام لأهله حرص على تحصيل الخير وقلبه لهم، وتحملاً لواجب إطعام الأهل مما يطعم، فلا يؤثر نفسه بشيء عن أهله ولا يطيب له ذلك، وفي ذلك حرص على الوفاء بحقوق الزوجة، وحرص على

(١) صحيح البخاري: ك. الاستقراض، و: ك. الجمعة، و: ك. العتق، و: ك. الوصايا، و: ك. النكاح، و: ك. الأحكام.

(٢) صحيح البخاري: العتق، وصحيح مسلم: ك. الإمارة.

تحصيل ثواب ذلك عند الله، والتزام بما جاء في الأحاديث النبوية ومنها:

عَنْ مُعَاوِيَةَ الْقُشَيْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجَةٍ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوَهَا إِذَا كَتَسَيْتَ - أَوْ اكَتَسَبْتَ - وَلَا تَضْرِبَ الْوَجْهَ، وَلَا تُفْبِّحَ، وَلَا تَهْجُرَ إِلَّا فِي الْبَيْتِ». قَالَ أَبُو دَاوُدَ: «وَلَا تُفْبِّحَ» أَنْ تَقُولَ قَبْحَكَ اللَّهُ^(١).

- وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلَ فِي فِي امْرَأَتِكَ»^(٢).

- وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا، كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً»^(٣).

- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»^(٤).

(١) سنن أبي داود: ك. النكاح، وقال النووي في رياض الصالحين: ص (٨٥): «حديث حسن». والمسند للإمام أحمد.

(٢) صحيح البخاري: ك. الإيمان، و: ك. الجنائز، و: ك. المغازي، و: ك. المرضى، و: . الدعوات، و: ك. الفرائض، وصحيح مسلم: ك. الوصية.

(٣) صحيح البخاري: ك. النفقات، و: ك. الإيمان، وصحيح مسلم: ك. الزكاة، وسنن النسائي: ك. الزكاة، وسنن الدارمي: ك. الاستئذان.

(٤) صحيح مسلم: ك. الزكاة.

الموقف الرابع حرصه على إراحة أسرته

عن خالد بن الوليد أنه شكأ إلى رسول الله ﷺ الضيق في مسكنه فقال: «ارفع يديك إلى السماء، وسل الله السَّعة»^(١).

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق: -

الحرص على راحة الأسرة، وهذا من الرعاية التي يُسأل عنها رجل الأسرة، حتى لا يكون مقصراً في السعي على خير الأسرة. والسؤال عن سبل الخير لها. ففي هذا الموقف يظهر أنه ﷺ كان شديد الحرص على أن يوفي حق رعيته من أهله، وأنه يتحمل مسؤولية الراعي تحملاً لا يعتريه تقصير أو إهمال أو نسيان، فقد استفسر من الرسول ﷺ وأراد أن يعرف منه ﷺ ما يحقق السعة له ولأهله في مسكنه، قاصداً من ذلك راحته وراحة أهله، فأجابه الرسول ﷺ بما يكون سبباً لذلك وهو الدعاء مع الأخذ بالأسباب، فتوجيه الرسول له بالدعاء دلالة له على ما يسدد خطاه، ويحقق له البركة فيما يعمل، فلا يظنن ظان أن الدعاء وحده دون العمل يكفي ويحقق السعة للداعي، بل لابد من العمل؛ لأن الظاهر للرسول ﷺ أن خالداً لم يكن مقصراً في الأخذ بأسباب الرزق والسعة، فوجهه إلى ما يكمل ذلك، وإلا لكان دله على العمل كما دلّ غيره

(١) مجمع الزوائد: للهيثمى (١٠/١٦٩) قال الهيثمى: «رواه الطبراني بإسنادين، وأحدهما

حسن». وأخبار مكة: للفاكهي (٣/٣٤٤، ٣٤٥).

على ذلك (ما أكل ابن آدم طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده)^(١) فكان التوجيه بالدعاء مع العمل على تحصيل ما ينفع النفس والأهل دون اقتراف محرم.

وكان قول الرسول ﷺ تصديقاً لقوله تعالى: ﴿وَسَأَلُوا اللَّهَ مِنَ فَضْلِهِ﴾^(٢) فقد جعل الله تعالى الدعاء من أسباب تحصيل المنافع، ومن الدعاء الاستغفار، وهو سبب من أسباب السعة في الرزق والمخرج من الضيق على ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١١﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٢﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٣﴾﴾^(٣) وجاء في حديث الرسول ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ومن كل هم فرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»^(٤).

الموقف الخامس: طلاق زوجته وثناؤه عليها:

روى ابن أبي شيبة في مصنفه بسنده عن قيس بن أبي حازم قال طلق خالد بن الوليد امرأته فقال: أما إنني لم أطلقها من أمر ساءني، ولكن لم يصبها عندي بلاء^(٥).

(١) صحيح البخاري عن المقدم ﷺ كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٢) سورة النساء: آية (٣٢).

(٣) سورة نوح: الآيات (١٠ - ١٢).

(٤) سنن أبي داود، وسن ابن ماجه بإسناد صحيح.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: ما ذكر في الرخصة من الطلاق (٤/١٩٥).

وروى البيهقي في شعب الإيمان بسنده عن قيس بن أبي حازم قال: طلق خالد بن الوليد امرأته ثم أحسن عليها الثناء، فقيل له: يا أبا سليمان لأي شيء طلقتها؟ قال: ما طلقتها لأمر رابني منها ولا ساءني، ولكن لم يصبها عندي بلاء^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: «إنَّ أبغض عباد الله إلى الله العفريت» بكسر أوله أي: الشرير الخبيث من بني آدم «النفريت» أي: القوي في شيطنته. قال الزمخشري: العفر والعفرية والعفريت القوي المتشيطان، الذي يعفر قرنه، والياء في العفريت والعفارية للإلحاق، وحرف التأنيث فيهما للمبالغة، والتاء في عفريت للإلحاق كقنديل.

«الذي لم يرزأ» أي لم يصب بالرزايا في مال ولا ولد، بل لا يزال ماله موفراً وولده باقون؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبداً ابتلاه.

وأخرج ابن أبي الدنيا وغيره أن رجلاً قال: يا رسول الله، ما الأسقام؟ قال: «أو ما سقمت قط؟» قال: لا. قال: «قم عنا؛ فلست منا».

قال ابن عربي هذا إشارة إلى أنه ناقص المرتبة عند ربه، وعلامة ذلك صحة بدنه على الدوام، وهذا خرج مخرج الغالب، أو علم من حال ذلك في نقصانه ما أخبر عنه.

(١) شعب الإيمان: للبيهقي (١٧٩/٧).

المفهوم الثاني: نشاهد بكل أسف إذا حدث الطلاق بدأت الزوجة وأهلها بكيال التهم والشائعات على الزوج وأهله والعكس وكأنه لم يؤدم بينهما يوماً، ولم يكن للعشرة حق واجب، وهذا ما لم نجده عند خالد بن الوليد الذي أثنى على طليقته ويعطي مبرر الطلاق الذي لا يخدش به ولا بها، ولعل هذا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾ ألا ترانا نحتاج لمثل هذه الأخلاق الإسلامية السامية كبديل لما وصل إليه حال الطلاق الذي أصبح مرادفاً للسباب وكيال الشتائم وإلقاء التهم!

وطلق خالد بن الوليد زوجته ثم أحسن عليها الثناء؛ فقيل: لم طلقتها؟ قال: ما فعلته لأمر رابني ولا ساءني لكن لم يصبها عندي بلاء^(١).

الموقف السادس: عدله:

أخرج الطبراني بسنده عن طارق بن شهاب قال: لَطَمَ ابْنُ عَمِّ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَجُلًا مِثًّا فَخَاصَمَهُ عُمُهُ إِلَى خَالِدٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قَرِيشٍ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ لِيُجُوهِكُمْ فَضْلًا عَلَيَّ وَجُوهِنَا إِلَّا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ. فَقَالَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ: افْتَصَّ. فَقَالَ الرَّجُلُ لابن أخيه: الطَّم. فلما رفع يده قال: دعها لله عز وجل^(٢).

(١) فيض القدير (٢/٤٠٧، ٤٠٨).

(٢) المعجم الكبير: للطبراني (٤/١٠٥). قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح، مجمع الزوائد (٦/٢٨٩، ٢٩٠)، وكذا أخرجه عبدالرزاق في المصنف: =

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق :

المفهوم الأول: تحريم احتقار المسلمين :-

أخرج الإمام مسلم بسنده عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ». قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ وَغَمَطُ النَّاسِ»^(١).

- وأخرج مسلم بسنده عن مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشَّخِيرِ، عَنِ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارِ أَخِي بَنِي مُجَاشِعٍ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَطِيبًا فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»^(٢).

المفهوم الثاني: العدل والمساواة وعدم المحاباة :-

أخرج الإمام البخاري بسنده عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالَ: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حُبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدِّ مَنْ حُدِّدَ مِنْ حُدُودِ

= (٤٦٢/٩)، وابن أبي شيبة في مصنفه: ك. الديات - القود من اللطمة (٥/٤٦٤).

(١) صحيح مسلم: ك. الإيمان.

(٢) صحيح مسلم: ك. الجنة وصفة نعيمها، وسنن أبي داود: ك. الأدب، وسنن ابن

ماجة: ك. الزهد.

اللَّهِ». ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَإِنَّمِ اللَّهُ، لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا».

- وفي رواية عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «وَإِنَّمِ اللَّهُ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعُ مُحَمَّدٌ يَدَهَا»^(١).

المفهوم الثالث: عدل الإمام:-

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَبَا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبْتُهُ امْرَأَةً ذَاتَ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا ففَاضَتْ عَيْنَاهُ»^(٢).

- عَنْ عِيَّاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَّصِدٌّ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ

(١) صحيح البخاري: ك. أحاديث الأنبياء، و: . الحدود، وصحيح مسلم: ك. الحدود، وسنن أبي داود: ك. الحدود، وسنن الترمذي: ك. الحدود، وقال: حديث سنن صحيح. وسنن ابن ماجه: ك. الحدود.

(٢) صحيح البخاري: ك. الأذان، وك: الزكاة، وك: المحارِبين، وصحيح مسلم: ك. الزكاة، وسنن أبي داود: ك. الزهد، وقال: حديث حسن صحيح، وسنن النسائي: ك. آداب القضاة.

رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ»^(١).

- عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللَّهِ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ عَزَّ وَجَلَّ وَكَلَّمَا يَدِيهِ يَمِينِ الَّذِينَ يَغْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»^(٢).

المفهوم الرابع: إعانة الأهل على التزام الحق، وقطع أملهم في انتهاك الحقوق أمناً من أن تصيبهم عقوبة استناداً إلى قرابتهم من أولي الأمر، وهذا من نصرة الأهل.

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا نُنصِرُهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ نُنصِرُهُ ظَالِمًا؟
قَالَ: «تَأْخُذُ فَوْقَ يَدَيْهِ».

وفي رواية عنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصِرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصِرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجِرْهُ أَوْ تَمْنَعُهُ مِنَ الظُّلْمِ، فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»^(٣).

(١) صحيح مسلم: ك. الجنة وصفة نعيمها وأهلها، والمسند للإمام أحمد.

(٢) صحيح مسلم: ك. الإمارة، وسنن النسائي: ك. آداب القضاة.

(٣) صحيح البخاري: ك. المظالم، و: ك. الإكراه.

- وفي رواية عنه رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ «أَنْصُرَ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصْرْتَهُ مَظْلُومًا، فَكَيْفَ أَنْصُرُهُ ظَالِمًا؟ قَالَ: «تَكْفُهُ عَنِ الظُّلْمِ فَذَاكَ نَصْرُكَ إِيَّاهُ»^(١).

المفهوم الخامس: تأديب الأهل:-

كما كان من خالد بن الوليد مع ابن أخيه اللاطم لرجل فقد حكم بالقيود منه فعفا عنه. فإنه كان تأديباً لابن أخيه، وزجراً عن معاودته. وكذلك ما روي أنه صلى الله عليه وسلم أقاد من نفسه، فإنه كان من تواضعه لا بواجب عليه^(٢).

الموقف السابع: حرصه على إشراك أهله في الجهاد:

عن عبد الله بن قرط الأزدي قال: غزوت الروم مع خالد بن الوليد، فرأيت نساء خالد بن الوليد ونساء أصحابه مشمرات يحملن الماء للمهاجرين يرتجزن^(٣).

- وجه أبو بكر خالد بن الوليد إلى الإمامة وكان مسليمة قد تنبأ بها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج خالد بن الوليد بالمهاجرين والأنصار حتى إذا دنا من الإمامة نزل وادياً من أوديتهم، فأصاب

(١) سنن الترمذي: ك. الفتن. قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) معاصر المختصر: لأبي المحاسن يوسف بن موسى الحنفي (١١٨/٢).

(٣) أخرجه سعيد بن منصور بسنده (ثنا سعيد، نا ابن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن رشيح بن عبيد الحرمي، أن عبد الله بن قرط الأزدي حدثه قال) سنن سعيد بن منصور: ك. الجهاد (٣٣١/٢).

في ذلك الوادي مجاعة بن مرارة في عشرين رجلاً منهم، كانوا خرجوا يطلبون رجلاً من بني تميم، وكان أصاب لهم دماً في الجاهلية، فلم يقدروا عليه، فباتوا بذلك الوادي فلم ينبههم إلا خيل المسلمين قد وقفت عليهم، فقالوا من القوم فقالوا: بنو حنيفة قال: فلا أنعم لكم علينا، ثم نزلوا فاستوثقوا منهم، فلما أصبح دعاهم خالد بن الوليد، فقال: يا بني حنيفة، ما تقولون؟ فقالوا: منا نبي ومنكم نبي، فعرضهم خالد على السيف حتى بقى سارية بن عامر ومجاعة بن مرارة، فقال له سارية: يا أيها الرجل، إن كنت تريد هذه القرية فاستبق هذا الرجل - يعني مجاعة بن مرارة - فاستبقاه خالد مقيداً، وجعله في الخيمة مع امرأته، وقال: استوصي به خيراً، ثم سار بالمسلمين حتى نزل على كثيب مشرف على اليمامة، وضرب معسكره هناك، وخرج أهل اليمامة مع مسيلمة، وتصاف الناس، فلما التقى الناس واقتتلوا قتالاً شديداً فكانت جولة وانهزمت الأعراب، حتى دخلت بنو حنيفة خيمة خالد بن الوليد وفيها مجاعة مكبلاً عند أم تميم امرأة خالد، فحمل عليها رجل بالسيف فقال مجاعة: أنا لها جار فنعمت الحرة هذه^(١)... إلخ القصة.

المفهوم التربوي المستفاد من الموقف السابق :-

جَعَلُ نِسَائِهِ يَخْدُمُونَ الْمَجَاهِدِينَ، وَإِشْرَاكَ زَوْجَتِهِ فِي حُرُوبِهِ:

(١) الثقات (١٧٢/٢، ١٧٣)، والبداية والنهاية لابن كثير (٣٦٤/٦، ٣٦٥) بتصرف يسير.

ففي هذين الموقفين بيان أن النساء في المجتمع الإسلامي الأول كُنَّ يُشاركن في الغزو والجهاد على حسب ما تقتضيه طبيعتهم من أعمال، والتزام أزواجهن حتى في الحروب، وطاعتهم في أداء ما فيه مصلحة عامة، وحرصهن على نيل خير المشاركة في الجهاد بما يناسبهن من أعمال المنزل، حتى يتفرغ الرجال للقتال، وعدم ممانعة الأزواج في مشاركة النساء وحبهم في أن يحصلن على ثواب المشاركة. ولا يخفى خطورة مشاركة المرأة زوجها في الجهاد، مما يظهر مدى حرص نساء الجيل الأول على خدمة الإسلام وخدمة أزواجهن، فهلا سلك بنات الجيل سبيل أسلافهن في مشاركة الزوج الواجبات والتبعات وإن كبرت وعظمت.

* * *

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضي الله عنها

نبذة عن حياتها:

هي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قُصي القرشية الأسدية، زوج النبي ﷺ، وأول من صدقت ببعثته مطلقاً، لم يؤمن بالنبي ﷺ أحد قبلها، رجلاً كان أو امرأة.

كانت تدعى قبل البعثة الطاهرة، وأمها فاطمة بنت زائدة، قرشية من بني عامر بن لؤي، وكانت متزوجة قبل رسول الله ﷺ مرتين، فقد كانت عند أبي هالة بن زارة التميمي أولاً، ثم كانت عند عتيق بن عائذ، ثم تزوجها الرسول ﷺ، وقيل كانت أولاً عند عتيق، ثم عند أبي هالة.

وكانت موسرة تزوجها الرسول ﷺ قبل البعثة وعمره خمس وعشرون سنة بينما كان عمرها أربعين عاماً.

وأولاد الرسول ﷺ كلهم منها؛ إلا إبراهيم فقد كان من مارية القبطية، فقد ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطيب وهو الطاهر، سمي بذلك لأنها ولدته في الإسلام، وبناته الأربع؛ زينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة الزهراء.

شهد لها النبي ﷺ بخيريتها على كل نساء عالمها، حيث قال:

«خير نسائها خديجة بنت خويلد، وخير نسائها مريم بنت عمران»^(١).
كانت لرسول الله ﷺ الزوجة والأم والوزير الصادق، ولم يتزوج عليها إلى أن ماتت، ولما ماتت حزنَ عليها كثيراً وكان يثني عليها كثيراً.

ولسَبَقَ إسلامها وصدِّقَ إيمانها، ومؤازرتها رسول الله ﷺ وحسن معاشرتها بشرها ربُّها عز وجل بيت في الجنة من قصب^(٢) لا صخب فيه ولا نصب. كما جاء في الحديث المتفق عليه عند البخاري ومسلم، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

تُوِّفِيَتْ ﷺ سنة عشر من بعثة النبي ﷺ ودُفِنَتْ بالحجون في مكة، ونزل النبي ﷺ في حفرتها^(٣).

المواقف الأسرية في حياة السيدة خديجة بنت خويلد ﷺ

الموقف الأول: اختيارها رسول الله ﷺ ليتاجر في مالها

قال ابن إسحاق: «وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة، ذات شرفٍ ومالٍ، تَسْتَأْجِرُ الرُّجَالَ في مالها، وتُضَارِبُهُمْ إياه بشيء تجعله لهم، وكانت قريش قوماً تجاراً، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما

(١) البخاري: في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج خديجة. مسلم: في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين.

(٢) المراد به هنا: اللؤلؤ المجوف.

(٣) انظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء: ٤١٩/٣، وابن حجر العسقلاني: الإصابة: ٨/

بلغها، من صدق حديثه، وعظم أمانته، وكرم أخلاقه بعثت إليه، فعرضت عليه أن يخرج في مال لها إلى الشام تاجراً، وتُعطيه أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار، مع غلام لها يقال له ميسرة).

فقبله رسول الله ﷺ منها، وخرج في مالها ذلك، وخرج معه غلامها ميسرة، حتى قدم الشام إلى أن قال ابن هشام: «فلما قدم مكة على خديجة بمالها، باعت ما جاء به فأضعف أو قريباً»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

المفهوم الأول: عظم مكانة السيدة خديجة ﷺ :

حيث كانت بين قومها ذات شرف ومال مما جعلها كفتاً للرسول ﷺ وهذا ما ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(٢)، فاختار الله لنبيه ﷺ أعظم تربية لإنبات أشرف زرع.

المفهوم الثاني: حُسن اختيار الشريك، على أبلغ ما تكون الصفات الكريمة:

فخديجة ﷺ ما اختارت رسول الله ﷺ ليتاجر في مالها إلا بعد ما وصل إلى سمعها وتحقق في علمها من صدق حديثه، وعظم أمانته وكرم أخلاقه.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية: (١٧١/١، ١٧٢)، ط. الفنية المتحدة ١٩٧١م.

(٢) سورة النور: جزء من الآية (٢٦).

المفهوم الثالث: مجازاة من اتَّصَفَ بعظيم الصفات أفضل من غيره:

وذلك لتشجيعه على الوصول إلى مرتبة الإحسان، وترغيب غيره في الاقتداء به، والسَّيرِ على طريق الإتقان، وهذا مستفاد مما جاء في تلك الرواية من أَنَّ خديجة ﷺ أعطته أفضل ما كانت تُعطي غيره من التجار.

المفهوم الرابع: ضرورة استغلال الفرصة؛ للعمل الشريف:

فالرَّسول ﷺ لم يستنكف أن يعمل عند غيره، ولو كان صاحب العمل امرأة، مادام العمل شريفاً؛ يغني الإنسان عن سؤال الغير. قال رسول الله ﷺ: «ما أكلَ أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يده»^(١).

المفهوم السادس: إدخال الزوج المرتقب أو الزوجة في اختبار أو يوضع تحت المراقبة لمعرفة إمكانية الحياة معه في ظل أسرة واحدة، ويأتي بعد هذه الطريقة الاستبصار في السؤال عنه ومعرفة بواطن أموره حتى يتم الزواج على بصيرة وقناعة بإمكانية استمراره ويشهد لهذا أيضاً أمر النبي ﷺ بالنظر إلى المخطوبة، وعلل ذلك بأنه «أحرى بأن يؤدم بينكما»^(٢) أي أن تدوم المودة بينهما.

ولا شك أن في هذا الأمر سعة وتثبت قبل أن يتلبس الإنسان بأمر قد لا يكون الانفكاك منه يسيراً.

(١) البخاري: في صحيحه، كتاب البيوع، باب (١٥)، وكتاب الأنبياء باب (٣٧).

(٢) رواه الترمذي، كتاب النكاح، باب النظر إلى المخطوبة من حديث المغيرة بن شعبة.

الموقف الثاني: رغبتها في الزواج من رسول الله ﷺ:

قال ابن هشام: «وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة، مع ما أراد الله بها من كرامته، فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله ﷺ، فقالت له فيما يزعمون: «يا ابن عم، إني قد رغبت فيك؛ لقرابتك، وسطتك^(١) في قومك، وأمانتك، وحسن خلقك، وصدق حديثك» ثم عرضت عليه نفسها.

وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسباً، وأعظمهن شرفاً، وأكثرهن مالا، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه^(٢).

وقال ابن حجر فيما ينقله عن الواقدي مسنداً عن نفيسة بنت منية أخت يعلي: «فلما أن سافر النبي ﷺ في تجارتها، ورجع بربح وافر رغبت فيه فأرسلتني دسيساً إليه، فقلت له: ما يمنعك أن تتزوج؟، فقال: «ما في يدي شيء» فقلت: «فإن كُفيت ودُعيت إلى المال والجمال والكفاءة» قال: ومن؟، قلت: «خديجة»، فأجاب^(٣).

(١) السطة: من الوسط، والوسط من أوصاف المدح والتفضيل، ولكن في مقامين، النسب والشهادة.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ١/١٧٢، ١٧٣، ط. الفنية المتحدة: ١٩٧١م.

(٣) أحمد بن حجر العسقلاني: الإصابة: ٨/١٠١، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يستفاد من هذا الموقف عدّة مفاهيم تربوية أبرزها ما يلي :

المفهوم الأول: مشروعية التّحدث عن الآخرين بما يتّصفون به من صفات طيّبة .

وهذا مستفاد من تحدّث ميسرة أمام خديجة بالصفات الفاضلة التي شاهدها من رسول الله ﷺ وهذا لا يضير صاحب تلك الصفات، ولا يعده من المرأئين، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل عمل الخير، ويحمده الناس عليه؟، فقال ﷺ: تلك عاجل بشرى المؤمن^(١).

المفهوم الثاني: مكانة السيدة خديجة بين قومها، وعظم ما اتصفت به . حيث كانت حازمة شريفة لبيبة؛ لهذا كان كلّ قومها حريصاً على الزّواج منها لو يقدر عليه، كما نصّت على ذلك ألفاظ تلك الرواية .

المفهوم الثالث: مشروعية إبداء المرأة رغبته في الزّواج من رجل صالح :

فهذا لا ينال من كرامتها، ولا يضير عزّتها، بل يدلّ على حسن دينها، وعظم أخلاقها .

(١) مسلم: في صحيحه: كتاب البر، باب (١٦٦).

المفهوم الرابع: حياء السيدة خديجة عليها السلام :

فرغم أن إبداء رغبتها في الزواج من رسول الله صلى الله عليه وآله أمر يُقره الشَّرع، ولا ينكره العرف، إلا أنها لم تُحدِّث رسول الله صلى الله عليه وآله بذلك، ولكنها أرسلت نفيسة رسول سلام وتوفيق بينهما.

المفهوم الخامس: الصِّفات المطلوبة فيمن نختاره زوجاً لبناتنا وأخواتنا:

حيث قالت خديجة لرسول الله صلى الله عليه وآله: «يا ابن عم، إني قد رغبت فيك؛ لقرابتك، وسطتك في قومك وأمانتك، وحسن خلقك وصدق حديثك».

وإلى تلك الصِّفات المطلوبة في الزوج وأهميتها، يقول الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(١).

الموقف الثالث: تزوجها من رسول الله صلى الله عليه وآله:

قال ابن هشام: «فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه^(٢)، حتى

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب النكاح، باب الأكفاء، وأخرجه الترمذي من طريق آخر وقال إنه حسن كما ذكره محقق سنن ابن ماجة ١/٦٣٢.

(٢) جاء في بعض الروايات أن أبا طالب هو الذي ذهب مع رسول الله صلى الله عليه وآله، وأرى أنه لا تناقض في ذلك فيجوز أن يكون الاثنان قد ذهبا معه صلى الله عليه وآله.

دخل على خويلد بن أسد^(١)، فخطبها إليه فتزوجها.

وأصدقها رسول الله ﷺ عشرين بكرة، وكانت أول امرأة تزوجها ﷺ، ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت ﷺ^(٢).
وتزوجها النبي ﷺ وهو ابن خمس وعشرين سنة، وكانت هي بنت أربعين سنة^(٣).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية :-

المفهوم الأول: ضرورة مشاركة أقارب الزوجين في الزواج:

فلا ينفرد الفتى والفتاة بإقامة علاقة بينهما دون موافقة أقاربهما وتبريكاتهم ودعواتهم، فلا بد للبت من ولي أمر، ولا بد للفتى من إشراك أهله، فلا خاب من استخار ولا ندم من استشار، ولا أفلح من لم يكن له في هذا الأمر كبير.

المفهوم الثاني: مكانة السيدة خديجة ﷺ في قلب النبي ﷺ.

حيث ملأت عليه الدنيا كلها، وما تزوج عليها امرأة قط في حياتها وأخذت من الرسول ﷺ زهرة شبابه، وأعظم مراحل حياته، حيث تزوجها الرسول ﷺ وهو ابن خمس وعشرين وماتت وقد تجاوز

(١) وعن ابن عباس وعائشة ﷺ أن عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة زوج رسول الله ﷺ، وأن خويلد كان هلك قبل حرب الفجار.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ١٧٤/١.

(٣) انظر ابن حجر: الإصابة: ١٠٠/٨، ١٠١.

الخمسين، وبعد أن تجاوز الخمسين جمع في عصمته حوالي تسع نساء.

المفهوم الثالث: جواز أن تكون الزوجة أكبر سنًا من زوجها.

حيث كان عُمرُ السيدة خديجة رضي الله عنها يزيد على عمر النبي صلى الله عليه وآله وقت زواجه بها خمسة عشر عاماً، ولا ضير في ذلك مادام الزوج يعلم ذلك وله رغبة فيها مادام الأمر قائماً على الوضوح، خالياً من الغش والتزوير والتغريب.

المفهوم الرابع: الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن شهوانياً.

ففي زواج رسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة مع فارق السن بينهما وعدم زواجه بأخرى طيلة حياتها أكبر برهان وأقوى ردّ على أولئك الأفاكين من المستشرقين وأذئابهم، الذين يتهمون رسول الله صلى الله عليه وآله بأنه مزواج وبأنه شهواني.

فما بين العشرين والخمسين من حياة الإنسان هو الزمن الذي تستعر فيه شهوة الرجل، ويرغب في الزيادة من النساء، ولو أراد محمدٌ ذلك ما حال بينه وبين تحقيقه حائل، حيث لم يخرق عرفاً، ولم يخرج عن مألوف.

إنَّ كلَّ قارئ لسيرته صلى الله عليه وآله قبل النبوة وبعدها يُدرك أنَّ الرسول صلى الله عليه وآله كان في غاية العِفَّة، وذرورة الشرف، وأن ما حدث من تعدد كان بعد سن الخمسين ولم يكن الدافع لذلك هو مجرد الشهوة الإنسانية، وإنما

كانت الرّحمة والشّفقة ومصلحة الدّعوة والتأليف بين قلوب الأفراد والقبائل هي المحرك الأكبر.

ولماذا محمد وحده يُتَّهَمُ بهذا؟ فلماذا لم يوجه الاتهام إلى سليمان عليه السلام مثلاً، وقد صَحَّ عنه في شَرعنا وفي شَرع غيرنا أنه تزوج مائة امرأة جَمَعَ بَيْنَهُنَّ في وقت واحد؟

الموقف الرابع: هِبَّتُها زيدا لرسول الله ﷺ

قال ابن هشام: «وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم (زيد بن حارثة) فدخلت عليه عمته خديجة بنت خويلد وهي يومئذ عند رسول الله ﷺ، فقال لها اختاري يا عمة أي هؤلاء الغلمان شئت فهو لك.

فاختارت زيدا، فأخذته، فراه رسول الله ﷺ عندها فاستوهبته منها، فوهبته له، فأعتقه رسول الله ﷺ وتبّاه، وذلك قبل أن يُوحى إليه»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية: -

المفهوم الأول: ضرورة صلة الرّحم، والإحسان إليها.

حيث وصل حكيم بن حزام عمته خديجة، وخيّرهما بانتقاء من تراه

(١) السيرة النبوية: ٢٣٠/١.

من الغلمانِ فاخترت زيداً، وقد جاءت النصوص الشرعية من قرآن وسنة تترى في التزغيبِ في صِلَةِ الرَّحِمِ، والتَّحذِيرِ من قَطْعِهَا، ومن هذه النصوص قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا^ط وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ﴾^(١)، وقول الرسول ﷺ: «إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرَّحِمُ فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك، وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذلك» الحديث^(٢).

المفهوم الثاني: فضيلة زيد بن حارثة.

ويدل على ذلك اختيار خديجة إياه من بين سائر الغلمانِ، وقد دلت الأيام على حُسنِ هذا الاختيار، فقد كان زيد رضي الله عنه من السابقين إلى الإسلام، ومن الذين لهم مكانة خاصة في قلب رسول الله ﷺ.

المفهوم الثالث: حُسن استجابة الزوجة؛ لرغبة زوجها في الخير وفيما يُرضي الله عز وجل.

حيث بادرت السيدة خديجة رضي الله عنها بتحقيق رغبة رسول الله ﷺ، بأن تُهدي إليه زيداً.

(١) سورة النساء: جزء من الآية (٣٦).

(٢) البخاري، كتاب التفسير، سورة ٤٧، ومسلم في صحيحه، كتاب البر، باب (١٦).

المفهوم الرابع: فضيلة تحرير الرقيق.

فالإنسان في أصل حياته حرٌّ، ولكن البشر استعبد بعضهم بعضاً، فمن أعتق رقبة فقد أعاد لها حرَّيتها، ورجع بها إلى أصلِ فِطْرَتِهَا التي فَطَرَهَا اللهُ عليها، وكان له من الله أجرٌ عظيم من جنس ما فعل، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق رقبة مُسْلِمةً أعتق الله بكل عضو منه عضواً منه من النار، حتى فرجه بفرجه»^(١) متفق عليه.

المفهوم الخامس: إبطال التَّبني.

حيث أوضحت هذه الرواية أن هذا التبني كان قبل أن يُوحى إلى رسول الله ﷺ، فلما أوحى إليه ﷺ ونزل التحريم أبطل الله هذا التبني.

قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۗ﴾ ^(١) **﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَاِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾** ^(٢).

وعلى ذلك فما يفعله بعض الناس من تبني لآخرين وأخريات إنما هو حرام شرعاً، ويترتب عليه من الأضرار للمتبني ولمن تبناه ما هو ظاهر ومشاهد وملموس للجميع.

(١) البخاري: كتاب الكفارات، باب رقم (٦)، ومسلم: كتاب العتق، باب (٢٢/٢٥).

(٢) سورة الأحزاب: جزء من الآيتين (٤، ٥).

الموقف الخامس: موقفها من نزول الوحي أول مرة

أخرج البخاري وهو يحدث عن نزول الوحي أول مرة في غار

جراة:

«فرجع بها - أي بسورة العلق - رسول الله ﷺ تَرْجُفُ بوادره، حتى دَخَلَ على خديجة فقال: زَمُّونِي زَمُّونِي، فَرَمَلُوهُ حتى ذَهَبَ عنه الرَّوع، قال لخديجة: أي خديجة، ما لي لقد خَشِيتُ عَلَيَّ نَفْسِي، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كَلَّا أبشر، فوالله لا يخزيك الله أبداً، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلم، وتكسب المعدوم، وتُقْرِئ الضَّيف، وتُعِينُ على نوائب الْحَقِّ، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة، أخي أبيها، وكان امرءاً تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى».

فقالت خديجة: يا عم، إسمع من ابن أخيك.

قال ورقة: يا ابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا التاموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جذعاً، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ أو مُخرجي هم؟ قال ورقة: نعم، لم يأت رجلٌ بما جئت به إلا أودي، وإن يدركني يومك حياً أنصرك نصرأ مؤزرأ».

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يستفاد من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية :-

المفهوم الأول: الزوجة هي الملاذ العاطفي، والسكن النَّفسي قبل الجسدي لزوجها:

وذلك أن الرسول ﷺ حينما نزل عليه الوحي أول مرة وارتعدت أعضاؤه لم يذهب إلى أحدٍ سوى زوجته خديجة، وقال لها: زملوني زملوني، وعليه فإن الزوجة العاقلة يجب أن تفهم هذا جيداً، إنها الملتطف للزوج، إذا ارتفعت درجة حرارته، كانت هي المسكن له، وإذا ارتفع ضغط دمه، كانت هي المهدئة له، وإذا ارتفع صوته كانت هي الخافضة له، فإذا لم تستطع ذلك فقد أهملت وظيفتها، بل خرجت عن فطرتها قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾^(١)، وأشنع من ذلك وأبشع إذا كانت الزوجة هي سبب ضغط الدم، وارتفاع الحرارة، وانفلات الأعصاب، وإطلاق لسان الزوج بما يعي وما لا يعي.

المفهوم الثاني: وجوب وقوف الزوجة بجوار زوجها في الشدائد، وتذكيره بما يُزيح غمته، ويُذهب غلته، ويقوي قلبه، ويُفرح كربه.

فالرسول ﷺ لما خشي على نفسه قالت له: والله لا يخزيك الله

(١) سورة الروم: جزء من الآية (٢١).

أبدأ، ثم دَلَّلتُ على صِدْقِ حُكْمِهَا تَدْلِيلًا يَسْتَرِيحُ لَه قَلْبُ النَّبِيِّ ﷺ، ولا يشعر أنها تُجامله حيث قالت له: «فوالله إنك لتصل الرِّجْم وتصدق الحديث. إلخ».

المفهوم الثالث: ضرورة إشراك الآخرين وطلب مساعدتهم وقت الحاجة.

ويؤخذ هذا المفهوم من موقف خديجة، حيث لم تكتف بطمأنه الرسول ﷺ من جانبها بل ذهبت إلى ورقة بن نوفل، فما كان منه إلا أن طمأنه على نفسه، وبيّن له حقيقة الأمر.

المفهوم الرابع: وقوف الطّغاة أمام أهل الحق وإخراجهم من ديارهم منهج متّحد لهم في كل زمان ومكان.

تكلم الله عن جميع الرُّسل وقومهم في آية واحدة، فقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾﴾.

المفهوم الخامس: وجوب مُناصرة أهل الحق وعدم التخلّي عنهم.

ويؤخذ هذا المفهوم من قول ورقة بن نوفل لرسول الله ﷺ: «ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك» وفي رواية أخرى: «أنصرك نصراً مؤزراً»^(١).

(١) سورة إبراهيم: الآية (١٣).

(٢) البخاري: في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب (٣).

قال رسول الله ﷺ فيما يرويه مسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله» وفي لفظ آخر للبخاري: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»^(١).

الموقف السادس: أول من آمن به ﷺ وآزره

قال ابن هشام: «وآمنت به خديجة بنت خويلد، وصدقت بما جاءه من الله وآزرتة على أمره، وكانت أول من آمن بالله ورسوله ﷺ وصدقت بما جاء منه، فخفف الله بذلك عن نبيه ﷺ، لا يسمع شيئاً مما يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له، فيحزنه ذلك، إلا فرّج الله عنه بها إذا رجع إليها، تُثبّته، وتُخفّف عليه، وتُصدّقه وتُهوّن عليه أمر الناس، رحمها الله تعالى»^(٢).

وقال ابن هشام أيضاً، وهو يحدث عن وفاتها ﷺ: -

«فتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بوفاة خديجة، وكانت له وزير صدقٍ على الإسلام يشكو إليها».

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق: -

يؤخذ من هذا الموقف عدّة مفاهيم تربوية على رأسها ما يلي: -

(١) البخاري: في صحيحه، كتاب الإكراه، باب (٧)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر، باب (٣٢).

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ٢٢٤/١، ٤٥/٢، ٤٦، ابن حجر: الإصابة: ١٠٠/٨.

المفهوم الأول: ضرورة المسارعة لتصديق الحق ومناصرة أهله.

حيث إن هذه المُسَارَعَةَ تَفَعَّلُ فِعْلَهَا الإيجابي في نفوس الدُّعاة والمُخْلِصِينَ، حيث يَشْعُرُونَ بِأَتَمِّهم ليسوا وحدهم في الميدان، فيشجعهم ذلك على الاستمرار؛ لما يرون من قبولٍ لدعوتهم، ومن ثمرةٍ لغرسهم.

المفهوم الثاني: ضرورة مشاركة الزوجة في تحمُّل الآلام والمصائب.

تَسْمَعُ شَكْوَى زَوْجِهَا فَتُسْرِي عنه بأملٍ مرتقب، وبمستقبلٍ زاهرٍ، وتحثُّو عليه بِلَمْسَةِ حَنَانٍ وَبِبَسْمَةِ إِشْرَاقٍ، فالزَّوج ليس مجرد جامعٍ للمال، أو بقرةٍ حلوباً إن جفَّ ضرعها ولم يرتج نفع من ورائها تخلص صاحبها منها، لا.. لا.. ثم لا.. ثم لا.. فمكانة الزَّوج في قلب زوجته أعظم من هذا وأكبر، وفي شرع الله أكرم وأخطر.

المفهوم الثالث: ضرورة اختيار الأمراء لوزراء صالحين.

إنهم إن فعلوا ذلك كان ذلك دليلاً على إرادة الله بهم خيراً، وإلا كان دليل سوء عليهم، فقد قال رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالْأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صَدُقٍ، إِنْ نَسِيَ ذَكَرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سَوْءٍ، إِنْ نَسِيَ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعْنَهُ»^(١).

(١) أخرجه أبو داود في سننه في كتاب الإمارة، باب رقم (٤) وقال عنه النووي في رياض

الصالحين إسناده جيد على شرط مسلم، انظر: النووي، رياض الصالحين: ٣/٣٦٥،

ط. نزار الباز.

الموقف السابع: الله يقرؤها السلام ويبشرها بيت في الجنة

أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «أتى جبريل النبي ﷺ فقال: «يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشّرها بيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»^(١).

قال ابن حجر: «زاد الطبراني في الرواية المذكورة: فقالت: هو السلام، ومنه السلام، وعلى جبريل السلام. وللنسائي من حديث أنس، قال: قال جبريل للنبي ﷺ إن الله يقرئ خديجة السلام، فقالت: إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك يا رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته».

وزاد ابن السني من وجه آخر: «وعلى من سمع السلام إلا الشيطان»^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يستفاد من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية

المفهوم الأول: خدمة المرأة زوجها.

فمن الأمور الواجبة على المرأة أن تقوم بشؤون المنزل، من

(١) البخاري، صحيح الإمام البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب تزويج النبي خديجة، وفضلها.

(٢) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري: ١٧٢/٧.

خدمة للزوج والأولاد، وذلك بعكس ما ينادي به أصحاب التمرّد على منهج الله، والخروج على فطرته .

يقول الرسول ﷺ: «المرأة في بيت زوجها راعية وهي مسؤولة عن رعيّتها»^(١).

المفهوم الثاني: فضيلة السلام .

وكيف أنّه تحية المسلمين، هدية من الله رب العالمين لخلقه منذ الخليفة الأول، آدم عليه السلام، وقال ﷺ: «لما خلق الله آدم قال: اذهب فسلم على أولئك - نفر من الملائكة - جلوس - فاستمع ما يجيبونك، فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه ورحمة الله»^(٢).

وترجع أهمية تلك الصيغة إلى أن معناها الدعاء بالسلامة من كل سوء، كما أنّ السلام فيه مجلبة للمودة، ونفي للحقد والضغائن بين المسلمين، وطمأنة لصاحب البيت أو الجالس أو الواقف، فربما فرح أحدهم من القادم عليه، فإذا سمع منه السلام اطمأن واستبشر .

وبناء عليه فما يفعله المسلمون من صيغ غير هذه الصيغة المشروعة من قولهم صباح الخير ومساء الخير، أو تحية غير المسلمين ليس من هدي الإسلام في شيء .

(١) البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب (١١)، ومسلم في صحيحه كتاب الإمارة باب (٢٠).

(٢) البخاري: صحيح الإمام البخاري، كتاب (أحاديث الأنبياء)، باب (خلق آدم)، ومسلم، صحيح الإمام مسلم، كتاب (الجنة)، باب (فضائل الإسلام).

المفهوم الثالث: استحباب التبشير بالخير.

فقد قال ﷺ: «بشُّروا ولا تنفروا»^(١)، كما ثبت عنه في الصحيح أنه لما استأذن عليه أبو بكر قال: ائذن له وبشِّره بالجنة، وكذا مع عمر وعثمان.

المفهوم الرابع: بيان فضل خديجة عند ربِّها عزَّ وجل.

وبيان شيء مما أعدَّ الله لها في الجنة، ولا غرو في ذلك فلها قدم سبق وصدق عند الله ورسوله ﷺ.

المفهوم الخامس: فقه السيدة خديجة ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: «قال العلماء في هذه القصة دليل على وفور فقهها؛ لأنها لم تقل: «وعليه السلام»، كما وقع لبعض الصحابة، حيث كانوا يقولون في التشهد «السلام على الله» فنهاهم النبي ﷺ عنها، وقال: «إن الله هو السلام، فقولوا: «التحيات لله».

فعرفت خديجة أن الله لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوقين؛ لأن السلام اسم من أسماء الله، وهو أيضاً دعاء بالسلامة، وكلاهما لا يصلح أن يرد به على الله، فكأنها قالت: كيف أقول عليه السلام والسلام اسمه ومنه يطلب، ومنه يحصل،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب (الأنبياء)، باب (خلق آدم)، ومسلم في صحيحه في كتاب (الجنة)، باب (يدخل الجنة قوم أفئدة الطير).

فيستفاد منه أنه لا يليق بالله إلا الثناء عليه، فجعلت مكان رد السلام عليه، الثناء عليه، ثم غايرت بين ما يليق بالله وما يليق بغيره فقالت: «وعلى جبريل السلام»، ثم قالت: «وعليك السلام»، ويستفاد منه رد السلام على من أرسل السلام وعلى من بلغه»^(١).

الموقف الثامن: تزويجها زينب لابن خالتها (أبي العاص بن الربيع) وإهداؤها قلادة نفيسة:

ذكر كتاب السيرة والتراجم واللفظ لابن إسحاق: «أن أبا العاص كان من رجال مكة المعدودين، مالاً وأمانة وتجارة، وكان لهالة بنت خويلد، وكانت خديجة خالته، فسألت خديجة رسول الله ﷺ أن يزوجه، وكان رسول الله ﷺ لا يخالفها، وذلك قبل أن ينزل عليه الوحي، فزوجه، وكانت تعده بمنزلة ولدها»^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية التالية:-

المفهوم الأول: وجوب اختيار الزوج على أحسن ما تكون الصفات.
فاختيار الرسول ﷺ والسيدة خديجة ﷺ إياه لأن يكون زوجاً لابنتهما لم يكن بسبب قرابته من خديجة حيث كانت خالته، ولا من رسول الله ﷺ حيث كان يلتقي معه في الجد الثالث (عبد

(١) ابن حجر: فتح الباري، ٧/١٧٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، ٢/٢١٤، والإصابة: ٧/٢٠٧.

مناف بن قصي)، إنما كان لما يتمتع به من حميد الخصال، فهو من رجال مكة المعدودين مالا وأمانةً وتجارةً.

وقد أثنى عليه الرسول ﷺ، كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ خطب، فذكر أبا العاص ابن الربيع فأثنى عليه في مصاهرته إياه فأحسن، وقال: «حدّثني فصدقني ووعدني فأوفى لي»^(١).

وقد كان هذا الذي فعله ﷺ قبل نبوته، هو ما أوصى به ولاة أمور النساء بعد نبوته، حيث قال: «إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه، وإلا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض»^(٢).

المفهوم الثاني: ضرورة اتفاق الزوجين فيما لا يغضب الله عز وجل، وأن تحقيق الزوج لرغبة زوجته فيما لا ضرر فيه وفيما يعود بالنفع على الجميع أمرٌ مُستحبٌ، ولا ينقص من قدر الرجل بل يزيد من توثيق عرى الزوجية.

وهذا يؤخذ من ألفاظ تلك الرواية والتي تنص على أن رسول الله ﷺ كان لا يخالف خديجة.

الموقف التاسع: قلاذتها ورقة النبي ﷺ لرؤيتها

أخرج الإمام أحمد في مسنده، والإمام أبو داود في سننه عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما بعث أهل مكة فداء أسراهم بعثت زينب

(١) البخاري: في صحيحه، كتاب الشروط، باب (٦)، ومسلم، كتاب (فضائل الصحابة)،

باب (فضل فاطمة بنت النبي، واللفظ له).

(٢) سبق تخريجه قريباً.

بنت رسول الله ﷺ في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها، كانت لخديجة، أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا، فقالوا: نعم يا رسول الله، فأطلقوه وردوا عليها الذي لها»^(١).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية:-

المفهوم الأول: جواز قبول المال فداء للأسير.

كما فعل الرسول ﷺ في أسرى بدر من المشركين، وكما قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَّخْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ فَإِمَّا مَأْ بُعْدُ وَإِمَّا فِدَاءٌ﴾^(٢).

المفهوم الثاني: الكلُّ أمام التشريع الإلهي سواء، فالحاكم الأعلى وكنائس الطريق أمامه متساويان.

المفهوم الثالث: إشراك الرسول ﷺ صحابته الكرام في الرأي، وعدم الانفراد بالقرار فيما فيه فسحة من الأمر، ما لم يصادم نصاً إلهياً، أو يمثل مخالفة شرعية.

(١) الإمام أحمد، المسند: ٢٧٦/٦، وأبو داود: في السنن، كتاب (الجهاد)، باب (١٢١).

(٢) سورة محمد: جزء من الآية (٤).

المفهوم الرابع: استحباب إهداء أهل العروس لابنتهم ما يحبها لزوجها.

فإن كان تجهيز العروس وتأثيث بيت الزوجية أمراً مفروضاً على الزوج، فلا مانع من أن تشارك أسرة الفتاة بشيء يكون في متناول قدرتهم، وألا يكونوا مجبورين على ذلك.

المفهوم الخامس: بشرية الرسول ﷺ، وحنانه الذي لا يوصف، ورحمته التي لا تُقَدَّر.

فهو وإن كان نبياً إلا أن نبوته تلك لم تخرجه عن بشريته، فهو يألم كما يألمون، ويفرح كما يفرحون، ويرقُّ كما يرقون، فما أن شاهد تلك القلادة إلا وقد ثارت في قلبه الشجون، فرق قلبه الرحيم لابنته زينب، ولزوجته خديجة، فزينب بَعَثَتْ بأفضل وأكرم ما عندها فداءً لزوجها، فتلك القلادة كريمة على زينب؛ لأنها من أمها، فكلما شاهدتها أو تحسستها تذكرت أمها التي لقيت ربها، كما أن تلك القلادة كريمة على رسول الله ﷺ، فهي قلادة الحبيبة التي لن ينساها أبداً، أفيرضى أن تخرج تلك القلادة من عند ابنته؛ لتقع في نصيب أحد المسلمين يبيعها كأبي ذهب، لا قيمة له إلا سعره، ولا ذكرى له إلا عند رسول الله ﷺ وابنته زينب؟.

المفهوم السادس: الموقف النبيل للصحابة الكرام ﷺ تجاه رسوله ﷺ:

حيث قدروا هذا الموقف العاطفي والشعور الإنساني لرسول الله ﷺ وهذا ليس بغريب عليهم تجاه نبيهم ﷺ فلئن قال الله في حق نبيه:

﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١)، فقد قال في حق أصحابه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾^(٢).

الموقف العاشر: ما أبدل الله رسوله ﷺ خيراً منها

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عائشة رضي الله عنها: «كان النبي ﷺ إذا ذكرت خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً، فقلت: «ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق، قد أبدلك الله عز وجل بها خيراً منها».

قال: «ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبتني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني منها الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»^(٣).

وأخرج الإمام البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «استأذنت هالة بنت خويلد - أخت خديجة - على رسول الله ﷺ، فعرف استئذان خديجة^(٤)، فارتاع^(٥) لذلك فقال: اللهم هالة، قالت: فغرت فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز

(١) سورة التوبة: جزء من الآية (١٢٨).

(٢) سورة الفتح: جزء من الآية (٢٩).

(٣) الإمام أحمد، المسند، ١٨٨/٦.

(٤) أي صفة استئذان خديجة لشبه صوتها بصوت أختها، فتذكر خديجة بذلك.

(٥) أي فزع، والمراد تغير، وفي بعض الروايات فارتاح لذلك، أي اهتز لذلك سروراً.

قريش حمراء الشدقين^(١)، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيراً منها^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق

يؤخذ من هذا الموقف المفاهيم التربوية الآتية:-

المفهوم الأول: المكانة السامية لخديجة ﷺ في قلب النبي ﷺ.

حيث فاقت مكانتها ﷺ مكانة جميع زوجات الرسول ﷺ وقد كان من مظاهر هذه المكانة ما يأتي:-

أ - الإكثار من ذكرها، حتى أمام ضرائرها.

ب - صلة صاحباتها وحببياتها، فالرسول ﷺ اهتز بمجرد سماعه صوت هالة الذي كان يشبه صوت أختها خديجة.

قال ابن حجر معلقاً على هذا الحديث: «وفي الحديث أن من أحب شيئاً أحب محبوباته، وما يشبهه، وما يتعلق به»^(٣).

وقال ﷺ مؤيداً هذا المفهوم، فيما يخص صحابته الكرام: «فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم»^(٤).

(١) ذهب كثير من العلماء إلى أن هذا التعبير كناية عن سقوط أستانها، حتى لم يبق داخل فيها إلا اللحم الأحمر من اللثة وغيرها.

(٢) البخاري: صحيح الإمام البخاري، كتاب (مناقب الأنصار)، باب (تزويج النبي ﷺ خديجة).

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ١٧٤/٧.

(٤) الترمذي، السنن، كتاب (فضائل الصحابة)، باب (٥٨).

ج - ومن مظاهر تلك المكانة للسيدة خديجة في قلب النبي ﷺ نزوله في قبرها أثناء دفنها بالحجون في مكة^(١).

د - كذلك حزنه الشديد عليها، حتى خشي عليه حتى تزوج عائشة^(٢).

هـ - لما كان يوم فتح مكة وبعد مضي أكثر من عشر سنوات على وفاتها اختار الرسول ﷺ له مكاناً إلى جوار قبرها ليشرف منه على فتح مكة، حيث ضربت له قبة هناك^(٣).

المفهوم الثاني: أن تلك المكانة لم تكن لمجرد عرض من أعراض الدنيا وإنما كانت لأسباب دينية في المقام الأول:-

فقد كانت أوّل من آمن بالنبوة قبل أي رجل وأي امرأة، وكانت تصدّقه بينما كان الناس يكذبونه، وكانت تُجند مالها لخدمة دين ربّها ورسالة رسولها ﷺ.

المفهوم الثالث: فضيلة السّبق إلى الخير، وتجنيد المسلم كل طاقاته في خدمة دين الله، وابتغاء مرضاته.

وهذا مفهوم مترتب على المفهوم السابق.

المفهوم الرابع: الغيرة أمر فطري في المرأة، بل أمر محبوب منها، وفيها. فإنّها إن دلّت على شيء فإنما تدل على حبّ الزّوجة لزوجها،

(١) ابن حجر، الإصابة، ١٠٣/٨، ١٠٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ١٠٣/٨، ١٠٤.

(٣) انظر: بنت الشاطي عائشة عبدالرحمن، تراجم سيدات بيت النبوة: ٢٢٨.

وهذه دلالة طيبة، ولكن يجب أن تكون تلك الغيرة بقدر، فإن زادت على حدّها انقلبت إلى ضدّها.

فإن جعلت الزوجة من نفسها رقيباً على أقوال الزوج وأفعاله وتصرفاته، وحركاته، وسكناته، واتصالاته، وعلاقاته، قلبت حياته وحياتها إلى جحيم، وحولت الحبّ بينهما إلى كراهية، وعرضت حياتها الزوجية للدمار، وأبناءها للتشريد والهلاك.

المفهوم الخامس: الحبّ القلبي إنما هو رزق يسوقه الله تعالى بقدر معلوم؛ لمن شاء من عباده تجاه خلق من مخلوقاته.

فالحبّ ليس سلعة تُباع وتُشترى، وإنّما هو مِنحةٌ من الوهابّ الكريم.

أخرج الإمام مسلم في صحيحه أن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما غرث على نساء النبي ﷺ إلا على خديجة، وإنّي لم أدركها».

قالت: «وكان رسول الله ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: «أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة»، قالت: «فأغضبته يوماً فقلت: خديجة؟».

فقال رسول الله ﷺ: «إنّي قد رزقت حُبّها»^(١).

وقال أيضاً في سبب مَيْلِهِ القلبي تجاه عائشة أكثر من بقية نساءه اللاتي في عصمته: «اللهم هذا قَسَمِي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»^(٢).

(١) الإمام مسلم، صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة ﷺ.

(٢) أبو داود: في سننه، كتاب النكاح، باب في القسم بين النساء.

المفهوم السادس: أن الأولاد هبة من الله تعالى، ولا دخل للناس فيها. وهذا مأخوذ من قول الرسول ﷺ: «ورزقني الله منها الولد»، والله تعالى يقول: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾^(١)، فالأمر كله راجع إلى حكمة الله تعالى وقدرته فيجب أن نسلم الأمر لله تعالى فلا اعتراض من عاقرٍ أو عقيم، ولا سخط ممن رزق إناثاً دون الذكور.

* * *

(١) سورة الشورى: الآيتان (٤٩، ٥٠).

السيدة رُقِيَّة بنت رسول الله ﷺ

نبذة عن حياتها:

اسمها ونسبها:

هي رُقِيَّة بنت محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصي الهاشميَّة القرشيَّة ابنة رسول الله ﷺ.

أُمُّها: هي أم المؤمنين السيدة خديجة بنت خوليد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشية، من أشرف قريش.

ميلادها ﷺ :

ولدت السيدة رُقِيَّة ﷺ في بيت رسول الله ﷺ مع السيدة خديجة ﷺ بمكة بعد السيدة زينب ﷺ ، فكانت الثانية من بنات الرسول ﷺ على الصحيح.

حياتها في بيت النبوة ﷺ :

شَبَّتْ السيد رُقِيَّة ﷺ في بيت رسول الله ﷺ وأصبحت في سنِّ الزواج خطبها عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب بن عمِّ الرسول ﷺ ، وخطب أختها الصغرى السيدة (أم كلثوم) عتيبة بن أبي لهب أخو عتبة: أو العكس على اختلاف بين العلماء وكان ذلك قبل النبوة. فلَمَّا بُعث رسول الله ﷺ كَذَّبَ القرشيون وعلى رأسهم أبو لهب، وأنزل الله عزَّ وجل سورة المسد: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَّا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

وَأَمْرَاتُهُ حَمَالَةَ الْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ﴿٥﴾ (١).

قال أبو لهب لابنيه: رأسي من رؤوسكما حرام إن لم تُطلقا ابنتي محمد ﷺ، وقالت لهما أمهما حمالة الحطب: إن رُقِيَّةَ وأم كلثوم صبئتا فطلقاهما! فطلقاهما قبل الدُّخول. ثم ما لبث أن تزوجها سيدنا عثمان بن عفان ؓ، وذلك بعد إسلامه. وولدت له بعد ذلك ولداً سماه عبد الله وبه كان يكنى، ونقره ديك فمات فلم تلد له بعد ذلك (٢).

- هجرتها وزوجها ﷺ :

لما اشتد أذى المشركين بالصحابة الكرام ؓ في مكة أمرهم الرسول ﷺ بالهجرة إلى الحبشة؛ لأنَّ فيها ملكاً لا يُظلم أحدٌ عنده. فكانت ﷺ وزوجها في مقدمة المهاجرين إلى الحبشة، وظلَّ بأرض الحبشة مع بقية المهاجرين إلى أن وصلتهم شائعات مفادها أن قريشاً ثابت إلى رشدِها، ومالت فئة منها إلى الإسلام عن تأثر واقتناع منهم سيدنا حمزة بن عبد المطلب وسيدنا عمر بن الخطاب ؓ، وقد أعزَّ الله عزَّ وجلَّ بهما الإسلام فقررا العودة مع بعض المهاجرين إلى مكة المكرمة؛ لكنهما لما عادا إلى مكة مع من عادوا وجدوا أن المشركين قد زأدوا من إيذاء المسلمين، فهاجروا مرة ثانية إلى الحبشة. وبذلك جمعت

(١) سورة المسد: الآيات (١ - ٥).

(٢) الإصابة ص ١٦٨٦، ١٦٨٧ بتصرف.

السيدة رقية وزوجها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه الهجرتين جميعاً إلى الحبشة .

ثم لما هاجر المسلمون إلى المدينة كانت هي وزوجها أيضاً رضي الله عنه من المهاجرين إليها، وبذلك جمعت هي وزوجها بين الهجرات الثلاث .

الهجرتان إلى الحبشة والهجرة الكبرى التي كانت إلى المدينة المنورة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام .

- مرضها ووفاتها رضي الله عنها :

لما هاجر سيدنا عثمان والسيدة رُقَيَّة رضي الله عنهما إلى المدينة أصاب السيدة رُقَيَّة رضي الله عنها مرض الحصبة، وذلك لما خرج النبي ﷺ إلى بدر فتخلف عليها بسيدنا عثمان رضي الله عنه عن بدر، فماتت يوم وصول زيد بن حارثة مبشراً بوقعة بدر، وانتصار المسلمين، وقتل المشركين، وقيل: وصل لما دفنت رضي الله عنها ^(١)، وكان دفنها بالبقيع .

المواقف الأسرية في حياة السيدة رقية رضي الله عنها :

لم أستطع العثور على مواقف أسرية للسيدة رقية بنت سيد البشر ﷺ من خلال الكتب التي اطلعت عليها إلا الموقفين التاليين :

(١) الإصابة ص ١٦٨٧ بتصرف .

الموقف الأول: هجرتها مع زوجها ﷺ :

حينما اشتد إيذاء المشركين بالمسلمين، وأذن رسول الله ﷺ لصحابته بالهجرة إلى الحبشة فهاجر بعضهم وكان ممن هاجر سيدنا عثمان بن عفان ؓ فقد هاجر إليها الهجرتين، وهاجرت معه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ، ورضي الله عنها.

فعن الزبير بن بكار قال: وكانت السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ عند عتبة بن أبي لهب ففارقها، وتزوجها عثمان بن عفان ؓ بمكة، وهاجرت معه إلى أرض الحبشة، فولدت له عبد الله وبه كان يكنى. وقدمت معه إلى المدينة وتخلف عن بدر عليها بإذن من رسول الله ﷺ وضرب له رسول الله ﷺ سهمان مع أهل بدر. قال وأجري يا رسول الله قال: «وأجرك»^(١).

واستمرت ﷺ مع زوجها وبقية المسلمين الذين هاجروا معها إلى الحبشة ينعمون بالاستقرار والأمن والحرية التامة في تادية عباداتهم دون حدوث أية مضايقات لهم من أحد، وذلك بسبب مَلِكِهَا الذي أكرمهم غاية الإكرام، ولم يمكث المسلمون بها سوى ثلاثة أشهر، فقد خرجوا إليها في رجب وأقاموا بها شعبان ورمضان، ورجعوا في شوال من سنة خمس^(٢). وذلك عندما نمت

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٢١٧/٩) وقال: رواه الطبراني وروى عن الزهري بعضه ورجالهما إلى قائلها ثقات.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٣١/١٥) تحقيق طه عبدلرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري والسيد محمد عبدالمعطي، ط. شركة الطباعة الفنية المتحدة ومكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

إلى علمهم أن المسلمين يزدادون قوة، وأنهم يمكنهم أن يعيشوا في مكة دون أن تُقدر الجاهلية بِصَلْفِهَا وَحُمُقِهَا على أن تُسيء إليهم أو تنال منهم، فقد أسلم من الرجال من تهابه قريش، وله بينها منزل رفيعة، وشأن مرموق؛ فرجعوا إلى مكة، ولكن الجاهلية سرعان ما انطلقت مسعورة غير عابئة بمن أسلم من رجالها تسوم المؤمنين صنوف العذاب الأليم، لا يردعها رادع من دين، ولا يزرعها زاجر من خلق أو رحم^(١).

والسيدة رُقيّة وزوجها سيدنا عثمان بن عفان من بين الذين هاجروا ثانية إلى الحبشة رضي الله عنهم أجمعين. (وبهذا تفرد السيدة رقية رضي الله عنها ابنة رسول الله ﷺ بأنها الوحيدة من بناته الطاهرات التي كُتِب لها الهجرة إلى بلاد الحبشة، ومن ثم عُدت من أصحاب الهجرتين)^(٢).

قال الإمام الذهبي - رحمه الله - عن هجرة السيدة رُقيّة وعثمان رضي الله عنهما: هاجرت معه إلى الحبشة الهجرتين جميعاً^(٣).

وعن النضر بن أنس عن أبيه قال: خرج عثمان برقية إلى الحبشة مهاجراً فاحتبس خبرهما فأتت النبي ﷺ امرأة فأخبرته أنها رأتهما، فقال النبي ﷺ: «قَبَّحَهُمَا اللهُ إِنْ عَثْمَانُ أَوْلَ مِنْ هَاجِرٍ بِأَهْلِهِ» يعني

(١) هجرة الرسول وصحابته في القرآن والسنة، للدكتور أحمد عبدالغني الجمل، ص ٩٩، ط. أولى (١٩٨٩م)، ط. ٤؛ دار الوفاء - مصر.
(٢) تفسير القرطبي (٤/٢٤٢)، والمواهب اللدنية (٢/٦١).
(٣) سير أعلام النبلاء (٢/٢٥١).

من هذه الأمة^(١). واستمرت بأرض الحبشة إلى أن (رجع زوجها مع من رجع إلى مكة فرجعت معه، ثم هاجرت معه ﷺ إلى المدينة، ومرضت بالمدينة).

لما خرج النبي ﷺ إلى بدر فتخلف عليها سيدنا عثمان من بدر، فماتت يوم وصول زيد بن حارثة مبشراً بوقعة بدر، وقيل وصل لما دفنت^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

يستفاد مما سبق ما يلي:

المفهوم الأول: البرّ بالوالدين وطاعتهما:

إن السيدة رُقِيَّةَ ﷺ في هجرتها إلى أرض الحبشة وتركها لوالديها وأخواتها وبقية أهلها إرضاء لوالدها الذي أمرها بالهجرة مع من أمرهم دليل قاطع على برّها بوالديها، والتزامها بأوامرهما، وسماعها لكلامهما، وتنفيذ ما يأمرانها به، مهما كلفها ذلك من ألم النفس على فراق الأهل والأوطان، والبعد عن الأب والأم والإخوة والأخوات، لأنّ غايتها إرضاء الوالدين وكفى، وفي ذلك توجيه للمسلمين رجالاً ونساءً إلى طاعة الوالدين، وتنفيذ أوامرهما، مع الالتزام بما ألزمهم به طالما أن في ذلك طاعة لله ولرسوله ﷺ.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة ص ١٦٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ١٦٨٧.

المفهوم الثاني: تعاون الزوجة مع زوجها:

- في اصطحاب السيدة رقية رضي الله عنها زوجها في الهجرتين إلى الحبشة دليل أيضاً على متابعتها لزوجها، وذهابها معه أينما ذهب، ومصاحبته له في أي مكان يرغب في الذهاب إليه غير متبرمة، ولا متأففة، ولا متمردة على زوجها ولا رافضة الذهاب معه.

المفهوم الثالث: طاعة الزوجة لزوجها في غير معصية:

- كما أن في هجرتها مع زوجها رضي الله عنها أيضاً دليل على طاعتها لزوجها وحسن تبعل منها له، ودليل أيضاً على أنها كانت ملازمة لزوجها ووفية له في السراء والضراء، وكانت تقاسمه الحياة في مرّها كما قاسمته في حلوها. وقد قيل: خير النساء المبقية على بعْلِها فهي تؤثر راحة زوجها على راحة نفسها^(١).

الموقف الثاني: طلبها الطلاق من زوجها إرضاءً لله تعالى:

كانت السيدة رُقَيْة رضي الله عنها متزوجة عتبة بن أبي لهب فلما نزلت سورة المسد طلب النبي صلى الله عليه وآله منه أن يطلقها كما طلبت هي ذلك الطلاق منه.

(١) المرأة في التصور الإسلامي، عبدالمتمعال الجبري، ص ١٣٥، ١٣٦ بتصرف، ط. (٢) - مصر - مكتبة وهبة (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م)، وطبع مطبعة الدعوة الإسلامية بمصر. وانظر عناية القرآن الكريم بالأسرة، للدكتور أحمد عبدالغني النجولي الجمل، ص ١٥٧، بحث منشور في مجلة أصول الدين بطنطا - مصر - يناير (٢٠٠٢م).

فمن قتادة بن دعامة قال: كانت رقية عند عتبة بن أبي لهب، فلما أنزل الله تبارك وتعالى ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^(١) سأل النبي ﷺ عتبة طلاق رقية وسألته رقية ذلك فطلقها، فتزوج عثمان بن عفان رقية وتوفيت عنده^(٢).

المفاهيم التربوية المستفادة من الموقف السابق:

المفهوم الأول: الغضب لله تعالى:

- في طلب السيدة رقية ﷺ من عتبة بن أبي لهب الطلاق دليل على غضبها لله عز وجل، وعدم موافقتها على إبقاء العلاقة الزوجية بينها وبين ابن عدو الله أبي لهب، إذ ضحت بهذا الزواج مرضاة لوجه الله الكريم، لذا: علينا أن نتعلم من هذه السيدة الطاهرة التقية النقية التي رفضت الزواج من ابن رجل يكد للإسلام والمسلمين بالليل والنهار ويمتلئ قلبه حقدًا وحسدًا على الإسلام وأهله، ليت الناس يتعظون من هذا الموقف العظيم ويراعون الله في معاملاتهم مع أعداء الإسلام، فتكون لهم مواقف حاسمة ضد الذين يكدون للإسلام وأهله ويجعلون مرضاة الله عز وجل هدفهم، ولا يقدمون عليها أي شيء حتى يكتب الله عز وجل لهم العزة والغلبة والمنعة.

المفهوم الثاني: كما أن في طلبها ﷺ الطلاق من عتبة دليل أيضاً

(١) سورة المسد: الآية (١).

(٢) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٢١٦/٩، ٢١٧)، وعزاه للطبراني، ثم قال: وفيه زهير بن العلاء ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان فالإسناد حسن.

على انضمامها لوالدها، ومراعاتها لشعوره، وقطع العلاقة بينها وبين أقرب الناس إليها بعد أهلها ألا وهو الزوج، وذلك لأن أهل هذا الزوج آذوا والدها الكريم الرسول ﷺ إيذاءً شديداً، فما أحرصها على والدها، وما أحنها عليه، وما أبقاها على علاقتها الطيبة على هذا الوالد الكريم النبي العظيم ﷺ، وما أرعاها لمشاعره ولكرامته، وأين هذا التصرف من أناس تصدر منهم إهانات لآبائهم وأمهاتهم، غير عابئين بشعورهم، ولا مقدرين لما بذلوه من حياتهم وأموالهم وأوقاتهم لتربيتهم، أين هذا التصرف من تصرفات أخرى تصدر من أناس عاقين لوالديهم، لا يراعون في آبائهم إلا ولا ذمّة؟ أين هذا التصرف من تصرف آخرين (فرطوا في البر والإحسان بالآباء والأمهات، فمن الأبناء من يسبُّ أباه وأمه أو يلعنهما، ومنهم من يؤذيها ويضربهما، بل لقد وصلت الأمور إلى أبعد من ذلك، مما يدل دلالة واضحة على انحراف الأخلاق والآداب، وعلى كفران النعمة، وإنكار الفضل والحنان والرحمة التي في قلوب الأبوين لولدهما زمن احتياجه إليهما)^(١)؛ لذا فمن الواجب على الأبناء الحفاظ على الوالدين ومراعاة شعورها، والتضحية بكل غال ونفيس لإرضائها وإدخال السعادة على نفوسها، وبالتالي ينال رضاها، ويعيش مُحاطاً بحنانها، مَرَعِيّاً ببركاتهم؛ فينال رضى ربّه، وعظيم فضله، وجميل عطايها، ورحماته في الدنيا والآخرة.

(١) من وصايا القرآن الكريم (البر بالوالدين في الياة وبعد الممات) للدكتور أحمد عبدالغني النجولي الجمل ص ١١، ط. أولى (١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م)، مكتبة ابن كثير - الكويت، ودار ابن حزم - لبنان.

المراجع

- الآحاد والمثاني، أحمد بن عمر بن الضحاك الشيباني، ط. أولى، دار الراجعية، الرياض (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- آداب الصحبة، أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق مجدي فتحي السيد، ط (١)، دار الصحابة للتراث، طنطا - مصر.
- الأحاديث المختارة، أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي، ط (١)، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة (١٤١٠هـ).
- إحياء علوم الدين للإمام أبي حامد الغزالي، ط. دار البيان العربي بالقاهرة.
- أخبار المدينة لعمر بن شبة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦م.
- أخبار مكة، للفاكهي، ط. ثانية، دار خضر، بيروت ١٤١٤هـ.
- أدب الدنيا والدين للماوردي، تحقيق حمزة النشرتي وآخرين، ط. المكتبة القيمة - القاهرة.
- الأدب المفرد، للإمام البخاري، ط. دار البشائر الإسلامية بيروت (١٤٠٩هـ).
- أساس البلاغة للزمخشري، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- أسباب النزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي، عالم الكتب (د. ت).
- الاستذكار، ابن عبد البر، تحقيق سالم محمد عطا، ط. (١)، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط (١)، دار الجيل، بيروت (١٤١٢هـ)، وط (١) دار إحياء

- التراث العربي (١٣٢٨هـ / ١٩٩٢م)، وط. مكتبة الكليات الأزهرية، تحقيق
د. طه محمد الزيني (١٣٩٦هـ / ١٩٨٦م)، وط. دار الكتب العلمية، لبنان،
وط. دار الفكر، بيروت (١٤٩٨هـ / ١٩٧٨م).
- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد
المعروف بابن الأثير، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان،
ط. أولى (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م) وط. دار الشعب، القاهرة، وط. دار
الفكر، بيروت - لبنان (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م)، (١٩٩٥م).
- الأسرة التكوينية والحقوق والواجبات: دراسة مقارنة في التشريع والقوانين،
د. محمد أحمد حمد أحمد، دار القلم بالكويت، ط. أولى (١٤٠٣هـ /
١٩٨٣م).
- إسعاف المبطل، للسيوطي، المكتبة التجارية، مصر (١٩٦٩م).
- أسمى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب شخصيته
وعصره، علي محمد محمد الصلابي، مكتبة الصحابة، الإمارات
(١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م).
- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق علي محمد البجاوي، ط
(١)، دار الجيل، بيروت (١٤١٢هـ / ١٩٩٢م)، وط (١) دار إحياء التراث
العربي (١٣٢٨هـ)، وط دار الكتب العلمية بيروت، وط. مؤسسة الحلبي
وشركاه، القاهرة (د. ت. ت.). وط. دار صادر، بيروت، ط. (١)
(١٣٢٨هـ)، وط. بين الأفكار الدولية، الأردن (٢٠٠٤م)، وط. (١)
مكتبة الكليات الزهرية، تحقيق د. طه محمد الزيني (١٣٩٦هـ /
١٩٧٦م)، وط. مطبعة السعادة، مصر، ط (١)، (١٣٢٨هـ)، ودار
الفكر، بيروت، ط (١)، (١٤٢١هـ).
- أصحاب الرسول (ص)، محمود الحصري، ط. أولى سنة ١٩٩٩م.

- أضواء البيان، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، ط. دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٤١٥هـ، تحقيق: مكتب البحوث والدراسات.
- الأعلام للزركلي، طبع دمشق، وط (٢) القاهرة.
- أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، عمر رضا كحالة، ط (٥)، بيروت، مؤسسة الرسالة (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).
- إعلام الموقعين، لابن القيم ط. دار الفكر، بيروت.
- أنساب الأشراف، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر.
- الإنسان في التصور الإسلامي، محمود حمدي زقزوق، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف المصرية، العدد ٢٣، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م).
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، ط (١) دار الفكر العربي (١٣٥١هـ-١٩٣٣م)، وط (٢)، (١٣٨٧هـ)، وط. دار الفكر (١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ومكتب المعارف، بيروت، وط. دار الريان، مصر (١٤٠٨هـ).
- تاج العروس، السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي - مكتبة الحياة - بيروت (د. ت).
- تاريخ ابن خلدون، مؤسسة جمال للطباعة والنشر.
- تاريخ الإسلام، للذهبي، ط (١)، دار الغد العربي، القاهرة (١٣٨٧هـ/١٩٩٦م)، وط. دار الكتاب العربي (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- تاريخ أصبهان، أبو نعيم الأصبهاني، ط. أوروبا.
- تاريخ الأمم والملوك، محمد بن جرير الطبري، ط. أولى، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٧هـ)، وط. دار المعارف بمصر، وط. دار صادر، بيروت (١٣٥٨هـ).

- تاريخ الأمة العربية - دراسات في عصر الخلفاء الراشدين - للدكتور/ عبد الفتاح علي شحاته، مطبعة زهران، طبعة (١٣٩٠هـ / ١٩٧١م).
- التاريخ الأوسط: للبخاري، ط. أولى، دار الوعي، حلب، القاهرة (١٩٧٧م).
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ط. بيروت، دار الكتب العلمية.
- تاريخ الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، ترتيب علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط (١)، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م).
- تاريخ الخلفاء، للسيوطي، ط. دار الكفر (١٩٧٤م).
- تاريخ الدعوة إلى الله في عهد الفاروق عمر، د. يسري هاني، دار اليقين، مصر (د. ت).
- التاريخ الكبير، إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ط. دار الفكر، تحقيق السيد النووي (د. ت). وط. مكتبة ديار بكر (د. ت).
- تاريخ مدينة دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن هبة الله بن عبد الله بن عساكر الشافعي، ط. دار الفكر، بيروت (١٩٩٥م)، تحقيق محب الدين أبي سعيد، عمر بن عزيمة العمري، وط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تحفة الأحوذني، للمباركفوري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، (١٤١٠هـ)، وط. بيت الأفكار الدولية، الأردن.
- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة، ط. أولى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٣م).
- تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة من روايات الطبري والمحدثين، د. محمد أمحزون، ط (١)، دار طيبة، مكتبة الكوثر، الرياض ١٤١٥هـ.

- تخريج الأحاديث والآثار: للزيلعي، ط. أولى، دار ابن خزيمة، الرياض ١٤١٤هـ.
- تذكرة الحفاظ، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي، بترتيب علي بن أبي بكر الهيثمي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م). وط. دار إحياء التراث العربي، دار الفكر العربي، بيروت ط (٤)، عن ط. دائرة المعارف العثمانية، ط. حيدرآباد (١٣٧٧هـ).
- تذكرة السامع والمتعلم في أدب العالم والمتعلم، ابن جماعة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت.
- تراجم سيدات بيت النبوة، عائشة بنت عبد الرحمن بنت الشاطيء، ط. دار الريان للتراث - مصر، وط. دار الفكر، ودار الحديث - القاهرة (٢٠٠٣م).
- تربية الأولاد في الإسلام، د. عبد الله علوان، ط. دار السلام، حلب (سوريا)، ط (٣) (١٤١٠هـ / ١٩١٨م).
- الترغيب والترهيب، المنذري، ط (١)، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٧هـ)، وط. دار إحياء الكتب العربية - مصر.
- التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي، ط. دار الكتاب العربي، لبنان (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م) الطبعة الرابعة.
- التعديل والتجريح، أبو الوليد الباجي، ط (١)، دار اللواء للنشر، الرياض (١٩٨٦م).
- تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي، ت (٣٢٧هـ)، ط. المكتبة العصرية، صيدا.
- تفسير الثعالبي، المسمى بالجواهر الحسان، عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف أبي زيد الثعالبي، تحقيق عليم حمد معوض وآخرون، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت (د.ت).

- تفسير عبد الرزاق، عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ط. مكتبة الرشد، الرياض (١٤١٠هـ) ط. الأولى، تحقيق د. مصطفى سالم محمد.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ط. دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ)، ودار الريان للتراث، دار إحياء التراث العربي (الحلبي) مصر، وط. دار مصر للطباعة.
- التفسير الكبير، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي، ط. دار الكتب العلمية، (١٤٢١هـ)، ط. الأولى، ط. دار إحياء التراث العربي.
- تفسير المنار، للشيخ محمد رشيد رضا، القاهرة (١٩٣٥م)، بيروت، دار المعرفة (د. ت).
- تفسير الوسيط، الواحدي النيسابوري، تحقيق د. أحمد عبد الغني الجمل وآخرون، ط. دار الكتب العلمية - بيروت.
- تقريب التهذيب، ابن حجر، ط (١) سوريا، دار الرشيد (١٩٨٦م)، وط. دار المعرفة - لبنان، ط (٢)، (١٣٩٥هـ).
- التلخيص الحبير، ابن حجر العسقلاني، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني، المدينة المنورة، دار النشر سنة ١٣٨٤هـ.
- تلقيح فهوم أهل الأثر، عبد الرحمن بن علي بن محمد، أبو الفرج بن الجوزي، ت (٥٩٧هـ)، ط. شركة دار الأرقم، بيروت (١٩٩٧م، الأولى).
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري ت (٤٦٣هـ)، ط. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب (١٣٨٧هـ)، تحقيق مصطفى بن أحمد العلوي محمد عبد الكبير.
- تهذيب الآثار، ابن جرير الطبري، ط. المدني، القاهرة، تحقيق محمود شاكر.
- تهذيب الأسماء واللغات للنوي، ط (١)، دار الفكر، بيروت (١٩٩٦م).

- تهذيب التهذيب، لابن حجر، ط. (١)، دار المعرفة، بيروت (١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م)، وط. المعرفة، لبنان (١٤١٧هـ)، ودار الفكر، بيروت (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م)، وط. دار الكتب العلمية، ودار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (٢)، (١٤١٣هـ / ١٩٩٣م)، وطبع مؤسسة الرسالة، ط (١)، تحقيق بشار معروف (١٤١٣هـ).
- تهذيب سيرة ابن هشام، عبد السلام هارون، ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج المزي، ط (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٩٨٠م)، وط. دار الفكر بيروت (١٩٩٤م).
- الثقات، محمد بن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط وحسين الأسعد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١)، (١٤٠٤هـ)، وط. مطبعة دائر المعارف العثمانية بحيدر أباد، الهند، ط (١)، (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠)، وط (١)، دار الفكر، بيروت (١٩٧٥م)، تحقيق السيد شرف الدين.
- جامع الأصول في أحاديث الرسول (ص)، محمد بن الأثير الجزري، ط (١)، دار الفكر، بيروت (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- جامع البيان للإمام الطبري، ط. دار الفكر، بيروت (١٤٠٥هـ)، وط. دار الكتب العلمية.
- الجامع لشعب الإيمان، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسن البيهقي، تحفة، وراجع نصوصه وخرج أحاديثه د. عبد العلي عبد الحميد حامد، وعنى بنشره الدار السلفية بومباي - الهند، ط (١)، (١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م).
- الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (ت ٢٥٦هـ)، ط. دار ابن كثير، اليمامة، بيروت (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، الثالثة. تحقيق د. مصطفى ديب البغا.

- الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ط. وزارة الثقافة المصرية، وط. دار إحياء التراث العربي، بيروت ط (١)، (١٤٣٦هـ / ١٩٩٥م)، وط. دار الفكر، بيروت (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، تحقيق حسن أحمد إسبر - دار المفتي - السعودية - ط (١)، (١٤١٨هـ / ١٩٩٨م).
- الجرح والتعديل، محمد بن إدريس بن المنذر الرازي، ط (١)، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٧١هـ / ١٩٥٢م).
- جمهرة أنساب العرب، للقرشي، تحقيق د. محمد علي الهاشمي، ط. دار القلم، دمشق.
- الجهاد، لابن المبارك، ط. الدار التونسية، تونس.
- الحسن بن علي، علي محمد الصلابي، مكتبة الإيمان، المنصورة (د. ت).
- حلية الأولياء وطبعة الأصفياء، أبو نعيم الأصفهاني، ط (٤)، ط. دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٥هـ)، ودار صادر، بيروت، وطبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، (١٤٢٣هـ)، وط. الخانجي، مصر.
- حياة الصالحين، عبد المنعم قنديل (د. ت).
- حياة الصحابة، محمد يوسف الكاندهلوي، تحقيق محمد سيد، الدار الذهبية للنشر والتوزيع، القاهرة، وط. إقرأ، بالرياض، وط. دار ابن حزم، بيروت.
- خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، ط (٥)، مكتب المطبوعات، بيروت، حلب ١٤١٦هـ.
- دائرة المعارف الإسلامية - جماعة من المستشرقين - ترجمة أحمد الشتناوي وآخرون، د. ن. د. ت.

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي - ط . دار الفكر (١٩٩٣م).
- دلائل النبوة، إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، تحقيق محمد محمد الحداد، دار طيبة، الرياض (د. ت).
- دور اللغة في تفسير القرآن، د. أحمد طاهر عبد الرحمن النقيب، مصر، المنصورة، ط (١)، (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- الذرية الطاهرة، محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، خرج أحاديثه سعد المبارك الحسن، ط. الدار السلفية، الكويت، ط (١)، (١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م).
- رجال صحيح البخاري، أبو نصر الكلاباذني، ط. أولى، دار المعرفة، بيروت (١٤٠٧هـ).
- رجال صحيح مسلم، أبو بكر بن علي بن منجويه الأصفهاني، ط (١)، بيروت، دار المعرفة (١٤٠٧هـ).
- روح المعاني، محمود الألوسي البغدادي، (ت ١٢٧٠هـ)، ط. دار إحياء التراث، بيروت، بدون.
- رياض الصالحين للنووي، ط. مطبعة الأنوار المحمدية - القاهرة، مكتبة نزار الباز، مكة والرياض، يحيى بن شرف النووي - تحقيق علي عبد الحميد أبو الخير (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).
- زاد المسير، ابن الجوزي.
- زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم، وتحقيق محيي الدين عبد الحميد، نشر دار الفكر، بيروت، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، وط. المطبعة المصرية ومكبتها، ومؤسسة الموسوعة، بيروت (١٣٩٩هـ).
- الزهد، نهاد بن السري، تحقيق عبد الرحمن النجار الفريدي، دار الخلفاء، الكويت (١٤٠٦هـ).

- السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي - محمد بن منصور الحلبي - مؤسسة النشر الإسلامي - إيران - د.ت.
- سلسلة آل البيت، دكتور حمزة النسرتي، القاهرة، مطابع الأهرام.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر مكتبة المعارف - الرياض.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني.
- سنن ابن ماجه، ط (٢)، دار الفكر العربي، لبنان، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي وط. دار ابن حزم، بيروت، ط (١)، (١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، وط. دار الحديث، مصر (١٩٧٩م).
- سنن أبو داود، ط (١)، ط. محمد علي السيد حمصي (١٩٦٩م)، وط. دار ابن حزم، بيروت، وتحقيق محيي الدين عبد الحميد.
- سنن الترمذي، ط (١)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٨٧م)، وط. دار ابن حزم، بيروت، ط (١)، (١٤٢٢هـ)، ودار إحياء التراث، بيروت، وطبع مصطفى الحلبي، ط (٢)، مصر (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).
- سنن الدارقطني، ط. دار المعرفة، بيروت (١٩٦٦م)، تحقيق السيد عبد الله هاشم اليماني.
- سنن الدارمي، ط. دار الريان للتراث، القاهرة (١٩٨٧م)، وتحقيق أحمد شاکر وآخرون، ودار إحياء السنة النبوية، ودار إحياء التراث - لبنان، وط (١)، دار الكتاب العربي - بيروت (١٤٠٧هـ).
- سنن سعيد بن منصور، ط. أولى، الدار السلفية، الهند (١٩٨٢م).
- السنن الصغرى للبيهقي، ط. مكتبة الدار، المدينة المنورة (١٤١٠هـ/١٩٨٩م).

- السنن الكبرى، للبيهقي، الناشر مكتبة الباز، مكة، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ودار النهضة، مكة.
- السنن الكبرى، للنسائي، ط. أولى، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١١هـ / ١٩٩١م)، تحقيق سليم البذاري وزميله، وط. مصطفى الحلبي، مصر (١٣٨٣هـ / ١٩٦٤م).
- سنن النسائي (المجتبى) ط. دار الحديث، القاهرة (١٩٨٧م)، وط. مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب (١٣٨٣هـ / ١٩٨٦م)، ودار المعرفة، لبنان، ط (١)، (١٤١١هـ / ١٩٩١م)، وط. مصطفى الحلبي، مصر.
- سنن النسائي الصغرى، ط (١)، المدينة المنورة، مكتبة الدار (١٩٨٩م).
- سير أعلام النبلاء، الإمام الذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط وزميله، ط (٩)، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت (١٤١٣هـ)، وط (٣)، ط. مؤسسة الرسالة - بيروت (١٩٨٥م)، وط (٧)، (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، وط. دار الفكر - بيروت، وط (١١)، (١٤١٩هـ / ١٩٩٨م).
- السيرة الحلبية، العلي بن برهان الدين الحلبي، ط. مطبعة البابي الحلبي، مصر ط (١)، (١٩٦٤م).
- السنة، لابن أبي عاصم الشيباني، المكتب الإسلامي بيروت الطبعة الثانية (١٤٠٥هـ).
- سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالح، تحقيق عادل عبد الموجود. ط. دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١١)، (١٤١٤هـ / ١٩٩٣م).
- سيرة السيدة عائشة (رضي الله عنها أم المؤمنين)، للسيد سليمان الندوي، عربيه وحققه وخرّج أحاديثه محمد رحمة الله حافظ الندوي، ط (١) دمشق، دار القلم (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

- السيرة النبوية، لابن حبان.
- السيرة النبوية، لأبي محمد عبد الملك بن هشام، ط. دار البيان العربية، القاهرة، وط. دار الكتب العلمية، لبنان، وط. المكتبة التجارية الكبرى (١٣٥٦هـ)، وط. دار الجيل (١٤١١هـ) لبنان، وط. المكتبة التوفيقية، وط. مكتبة الكليات الأزهرية (١٩٧٤م)، وط. دار المعرفة لبنان، وطبعة الفنية المتحدة، القاهرة، وطبع مكتبة علي صبيح وأولاده، مصر. وط. مصطفى الحلبي، مصر (١٩٥٥م).
- السيرة النبوية، علي محمد الصلابي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، ط (١)، (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م).
- شذرات الذهب، ابن العماد، ط. دار السيرة، بيروت.
- الشباب، هاشم محمد علي المشهداني، موقع زاد الداعي على شبكة الإنترنت.
- شرح معاني الآثار للطحاوي - تحقيق محمد زهري النجار، ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ط (١)، (١٣٩٩هـ).
- شرح النووي على صحيح مسلم، ط. دار الشعب، مصر.
- شعب الإيمان البيهقي، ط (١) الهند، وطبع دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١) (١٤١٠هـ / ١٩٩٠م)، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي (ت ٤١٨هـ)، ط. دار طيبة، الرياض (١٤٠٢هـ)، تحقيق د. أحمد سعد حمدان.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى اليحصبي (٥٤٤هـ)، ط. دار الفكر، بيروت، دون تاريخ.

- الشمائل المحمدية والخصائل المصطفوية - للترمذي، ط. مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت.
- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان محمد بن حبان أحمد أبو حاتم التميمي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، ط (٢)، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م)، وط (١)، دار المعرفة، بيروت ٢٠٠٠م.
- صحيح ابن خزيمة، ط. المكتب الإسلامي، بيروت (١٩٧٠)، تحقيق محمد مصطفى أعظمي.
- صحيح البخاري بحاشية السندي.
- صحيح البخاري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط. دار إحياء التراث العربي، وتحقيق مصطفى ديب البغا، ط (٣)، دار ابن كثير، بيروت (١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، وط. دار الأفكار الدولية، الأردن، وط. دار الشعب، مصر، وط. دار الصفوة، ط (١٤١٢هـ). وط. الكليات الأزهرية، القاهرة (١٣٩٧هـ/ ١٩٨٧م)، وط (١) دار الفكر (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، ودار الجيل (١٤١٢هـ)، ودار الريان، القاهرة، ودار المعرفة، لبنان، للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بردزبه البخاري الجعفي، دارالصفوة للطباعة والنشر والتوزيع، ط (١)، (١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م).
- صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر المكتب الإسلامي.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (١٣٧٥هـ/ ١٩٥٥م)، وط. دار الأفكار الدولية، الأردن، وط. دار الشعب، مصر (١٣٩٠هـ)، ودار إحياء الكتب العربية، مصر، وط. دار الفكر، بيروت.

- صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين النووي، ط. دمشق، مكتبة الغزالي، بيروت، مؤسسة مناهل العرفان، ط. دار الشعب، مصر (د. ت).
- صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر المكتب الإسلامي، الألباني في الجامع الصغير.
- صفة الصفوة أبو الفرج ابن الجوزي، ط. دار ابن خلدون، وتحقيق محمود فاخوري ومحمد رواس، ط (٢)، دار المعرفة، بيروت (١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م).
- صور من حياة الصحابة، عبد الرحمن رأفت باشا، ط. دار الأدب الإسلامي.
- صور من حياة الصحابة، عبد الحميد عبد الرحمن السحبياني (د. ت).
- الطبقات، خليفة الخياط، ط (٢)، دار طيبة، الرياض (١٩٨٢م).
- طبقات الحفاظ، للسيوطي، ط. أولى، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٣هـ).
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، ط. دار التحرير ودار الشعب، القاهرة، ط. دار صادر، بيروت (١٩٥٧م)، وط. لجنة نشر الثقافة الإسلامية بالقاهرة (١٣٥٨هـ)، وتحقيق سهيل كيالي، ط (١) بيروت (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ودار الفكر، بيروت، ط. (١٤١٤هـ / ١٩٩٤م).
- العبر في أخبار من غبر، الإمام الذهبي، ط. الكويت.
- عناية القرآن الكريم بالأسرة، د. أحمد عبد الغني النجولي الجمل، بحث منشور في مجلة كلية أصول الدين، جامعة الأزهر بطنطا، عدد يناير (٢٠٠٢م).
- عون المعبود، شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٥هـ)، الثانية.

- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة دار الهجرة، إيران، ط (٢)، (١٤٠٩هـ).
- غريب الحديث، الخطابي، ط. جامعة أم القرى، مكة المكرمة (١٤٠٢هـ).
- غريب الحديث، لابن قتيبة، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري أبو محمد، تحقيق د. عبد الله الحيدر، الطبعة الأولى (١٣٩٧هـ).
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن علي أبو الفضل الشهير بابن حجر، ط. دار الفكر، بيروت، وتحقيق طه عبد الرؤوف سعد ومصطفى محمد الهواري والسيد محمد عبد المعطي، طبع شركة الطباعة الفنية المتحدة، ومكتبة الكليات الأزهرية (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م)، وتحقيق محب الدين الخطيب، ط. دار المعرفة، بيروت، وط (١)، دار الريان للتراث، مصر بعناية محمد فؤاد عبد الباقي وآخرين، وط. دار الأفكار الدولية، الأردن.
- فتح القدير، للشوكاني، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤م).
- الفتنة ووقعة الجمل، سيف بن عمر الضبي الأسدي، ط (١)، دار النفائس، بيروت (١٣٩١هـ) تحقيق أحمد راتب عمروش.
- فتوح الشام، عبد الله بن عمر الواقدي، ط. دار الجيل، بيروت.
- فتوح البلدان للبلاذري، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
- فتوح مصر وأخبارها، ابن عبد الحكم، ط (١)، القاهرة، مكتبة مدبولي (١٤١١هـ / ١٩٩١م).
- فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، دار ابن الجوزي، السعودية (١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، وتحقيق وحي الله محمد عباس، ط (١)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).

- الفصول في الأصول، أحمد بن علي الرازي الجصاص، تحقيق د. عجيل النشمي (د. ت)، ط (١)، (١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م).
- فقه السنة.
- فقه السيرة، د. محمد رمضان البوطي، ط. السابعة، دار الفكر، بيروت (د. ت).
- فقه السيرة، للشيخ محمد الغزالي، ط. دار الكتب الحديثة بالقاهرة، الطبعة السابعة (١٩٧٦م).
- الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي، د. مصطفى الخن، د. مصطفى البغا، أ. علي الشربجي، دار القلم، دمشق، ط (٥)، (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- الفهرست، لابن النديم، ط. دار المعرفة، بيروت (١٩٧٨م).
- في ظلال القرآن، الأستاذ سيد قطب، ط (٧)، دار الشروق، بيروت والقاهرة (١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م).
- فيض القدير، المناوي، ط (١)، المكتبة التجارية، مصر (١٣٥٦هـ).
- القاموس الفقهي، وسعدي أبو حبيب، ط (٢)، دار الفكر (١٤٠٨هـ).
- القاموس المحيط، للفيروزآبادي، ط. ثالثة، المطبعة المصري (١٩٣٣م).
- الكاشف، للذهبي، ط (١)، دار القبلة للثقافة، جدة (١٩٩٢م).
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، ط. دار الكتب العلمية (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م)، وط. دار صادر، بيروت (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م).
- الكامل في الضعفاء: ابن عدي، ط. دار الفكر، بيروت.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس فيما اشتهر على ألسنة الناس، لإسماعيل العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، ط (٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٥هـ)، وط. دار التراث.
- كشف القناع، منصور بن يونس البهوتي، د. ن - د. ت.

- كلمات القرآن تفسير وبيان، الأستاذ الشيخ حسين محمد مخلوف، بيروت، المطبعة الأميرية (١٩٢٨م).
- كنز العمال، المتقي الهندي، ط. التراث الإسلامي، حلب (١٣٩٥هـ)، ومؤسسة الرسالة (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- كواكب حول الرسول (ص) وقضية التعدد، د. عبد الحلیم خفاجي، ط. دار الوفاء، المنصورة - مصر، ط (٣)، (١٤١٥هـ / ١٩٩٤).
- لباب النقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، المكتبة القيمة (د. ت).
- لسان العرب، ابن منظور، ط. دار المعارف، مصر (د. ت)، ومنشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان ط (١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م). وط. دار صادر، بيروت، وط. أدب الحوزة، إيران، ط (١).
- لسان الميزان، لابن حجر، ط. ثالثة، مؤسسة الأعلمي، بيروت (١٩٨٦م).
- مجمع الأحباب، مختصر حلية الأولياء، محمد بن الحسن الواسطي.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، ط. دار الريان للتراث، القاهرة (١٤٠٧هـ)، وط. دار الفكرة، وط. مكتبة المقدسي، القاهرة (د. ت)، وط. دار الكتاب العربي، بيروت (١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م).
- محبة الله تعالى عند الإمامين الجليلين ابن تيمية الحراني وابن قيم الجوزية، إعداد عمر أحمد الراوي: دار الكتب العلمية، بيروت، ط. أولى (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).
- المحرر الوجيز في لطائف الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

- المحلى لابن حزم، ط. المطبعة المنيرية بمصر (١٣٥٠هـ)، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري أبي محمد (ت ٤٥٦هـ).
- المحلى، ط. دار الآفاق الجديدة، بيروت، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي.
- مختار الصحاح، لمحمد بن أبي بكر الرازي، ط. مكتبة لبنان، بيروت (١٩٩٥م)، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م).
- مختصر تفسير ابن كثير، د. محمد علي الصابوني، دار التراث العربي (١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- مختصر منهاج القاصدين، لابن قدامة المقدسي، ط. دار البيان بدمشق.
- مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري، د. عبد الله بن محمد الرفاعي، دار المعراج الدولية، السعودية. ط (١)، (١٤١٤هـ/١٩٩٤م).
- المرأة في التصور الإسلامي، عبد المتعال الجبري، ط (٢)، مكتبة وهبة، مصر (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط (١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١١هـ/١٩٩٠م)، ومكتبة النصر الحديثة، الرياض (د. ت)، ودار المعرفة، بيروت، ط (١)، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).
- المسند للإمام أحمد بن حنبل، مؤسسة قرطبة، مصر، ط (٢)، مطبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الفكر (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م)، و ط. دار الأفكار الدولية للأردن، ط (١)، (٢٠٠٠م)، ودار صادر، بيروت.
- مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي (ت ٤٥٤هـ)، ط. مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٧هـ/١٩٨٦م) ط. الثانية، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي.

- مسند ابن الجعد، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، تحقيق عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (٢)، (١٤١٧هـ / ١٩٩٦م).
- مسند أبي داود الطيالسي، سليمان بن داود الفارسي البصري الطيالسي، (ت ٢٠٤هـ)، ط. دار المعرفة، بيروت، تحقيق مجدي فتحي السيد.
- المسند، أبو بكر الحميدي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.
- مسند أبي عوانة، ط. دار المعرفة، بيروت، تحقيق أيمن بن عارف الدمشقي.
- مسند أبو يعلى، الموصلي، تحقيق حسين سليم، ط (١)، دار المأمون للتراث، دمشق (١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م).
- المصباح المنير، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط (٧)، القاهرة، المطبعة الأميرية (١٩٢٨م).
- المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ودار الفكر، بيروت، ط. أولى (١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م).
- المغني: لابن قدامة، ط. مكتبة ابن قتيبة.
- مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا، عبدالرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ).
- المنهاج في شرح صحيح مسلم، شرح النووي على صحيح مسلم، لإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مزي النووي، ط. بيت الأفكار الدولية.
- مشاهير علماء الأمصار، أبو حيان البستي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٥٩م).

- مصنف عبدالرزاق، عبدالرزاق بن همام، ط (٢)، المكتب الإسلامي، بيروت (١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م).
- مصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة، ط (١)، الدار السلفية، بومباي - الهند، ط. مكتبة الرشد، الرياض (١٤٠٩هـ)، تحقيق كمال يوسف الحوت.
- معالم التنزيل، للبخوي، ط. دار الفكر، بيروت (١٣٩٩هـ).
- معتصر المختصر، أبو المحاسن يوسف بن موسى الحنفي، ط. عالم الكتب، بيروت.
- المعجم الأوسط، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ط. دار الحرمين، القاهرة (١٤١٥هـ).
- معجم الصحابة، عبد الباقي بن قانع، ط (١)، المدينة المنورة، مكتبة الغرباء الأثرية (١٤١٨هـ).
- المعجم الكبير، للطبري، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي، ط (٤)، مكتبة العلوم والحكم، الموصل (١٩٨٣م).
- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط (٣)، القاهرة.
- المعرفة والتاريخ، أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٩٩٩م).
- المجموع، شرح المذهب، يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، بيروت (د. ت).
- مكارم الأخلاق، أبو بكر القرشي، ط. مكتبة القرآن، القاهرة (١٩٩٠م).
- من وصايا القرآن الكريم، البر بالوالدين في الحياة وبعد الممات، د. أحمد عبد الغني الجمل، ط (١)، ابن كثير وابن حزم، الكويت ولبنان (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م).

- المتتخب من كتاب أزواج النبي (ص) أبو عبد الله الزبير بن بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيري، ط (١)، مؤسسة الرسالة، بيروت (١٤٠٣هـ).
- المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (١٤١٥هـ / ١٩٩٥م).
- المتتقى، لابن الجارود، ط. أولى، مؤسسة الكتاب، بيروت (١٩٨٨م)، تحقيق عبد الله عمر الماوردي.
- موارد الظمان، الهيثمي، تحقيقي محمد عبد الرزاق حمزة، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.
- موسوعة الفداء في الإسلام، للدكتور/ أحمد الشرباصي، ط. دار الجيل، بيروت، ط (١)، (١٤١٦هـ / ١٩٩٦)، (١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م).
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار المأمون بمصر، ط (١)، (١٣٥٧هـ)، ط (٢)، (١٩٩٣م).
- المواهب اللدنية، للشيخ محمد بن عبد الباقي الزرقاني، طبعة عام (١٢٩١هـ)، وط. دار الشعب، مصر.
- مولد العلماء ووفياتهم، محمد بن عبد الله الربيعي، ط (١)، دار العاصمة، الرياض (١٤١٠هـ).
- المنطلق، محمد أحمد الراشد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط (١٥)، (١٤١٠هـ / ١٩٩١م).
- نزهة الفضلاء، تهذيب سير أعلام النبلاء.
- نسب قریش، الزبيدي، تحقيق أ. ليعي برد غنسال، ط. دار المعارف.
- نصب الراية، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، تحقيق محمد يوسف البنوري، نشر دار الحديث، مصر (١٣٥٧هـ).

- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ط. المكتبة العثمانية، مصر (١٣١١هـ)، ط. دار الكتب العلمية، بيروت (١٣٩٩هـ)، طبعة عيسى الحلبي (١٣٨٣هـ)، تحقيق صلاح محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط (١)، (١٤١٨هـ / ١٩٩٧م).
- نهاية الأرب أحمد بن عبد الوهاب النويري، دار الكتب المصرية (١٩٢٤هـ).
- نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي (ص) المختار، سيد الشيلبي، القاهرة، مكتبة الجمهورية العربية.
- نيل الأوطار، لمحمد بن علي الشوكاني، ط. مصطفى الحلبي بمصر.
- هجرة الرسول (ص) وصحابه في القرآن والسنة، دكتور أحمد عبد الغني النجولي الجمل، ط (١)، دار الوفاء، مصر (١٩٨٩م).
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي، ط. دار حياء التراث، بيروت (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٠م) تحقيق أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى.
- الورع، للإمام أحمد بن حنبل، تحقيق زينب إبراهيم القاروط، ط. دار الكتب العلمية، بيروت.

تم بحمد الله

قبس من مقدمة الموسوعة

"... وانطلاقاً من ذلك فإن اللجنة التربوية تقدم مشروعها الموسوعي الثالث: "موسوعة المفاهيم التربوية في أسر الآل والأصحاب الأطهار الأخيار"، بعد أن وفقها الله تعالى في البدء بإنجاز موسوعتها الثانية: "المفاهيم التربوية في أسر الأنبياء عليهم السلام" وذلك بعد موسوعتها الأولى "موسوعة الأسرة".

إن هذه الموسوعة تعدّ الأولى من نوعها في موضوعها - حسب علمنا - ومن ثم فسوف تسد ثغرة في المكتبة العربية الإسلامية يستشعرها من يعيش قريباً من سير هؤلاء العظماء، فأنى اتجهت أو طالعت -عزيزي القارئ- تجد عقب التاريخ الإسلامي وشذى عطر الهدى للقرب من مصدر التربية الموحى إليه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يتجلى بوضوح عند تعامل هؤلاء العظماء، نعني آل النبي وصحابته الأطهار الأخيار رضوان الله عليهم أجمعين كل مع أسرته التي يعيش معها، من الوالدين والزوج والولد ومن العم والخال وما تفرع منهم، في إطار من فنون التعامل المتحلية بكاملات السلوك. ولكي يتم تفعيلها وحسن الاستفادة منها فإن هذه الموسوعة تحتاج إلى أن تكون جزءاً أساسياً من مكتبة الأسرة، يطالعها أفرادها من مختلف الأعمار، حتى يقتبس الجميع منها ما يُفيد ويعدّل السلوك ويقوم النفوس".

